السعادة وتنمية الصحة النفسيَّة
الجزء الثاني
مسئولية الأسرة في الإسلام وعلم النفس

الكتاب الأول
الأسرة والتوافق الأسري

الدكتور كمال إبراهيم مرسي

بطاقة فهرسة
فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

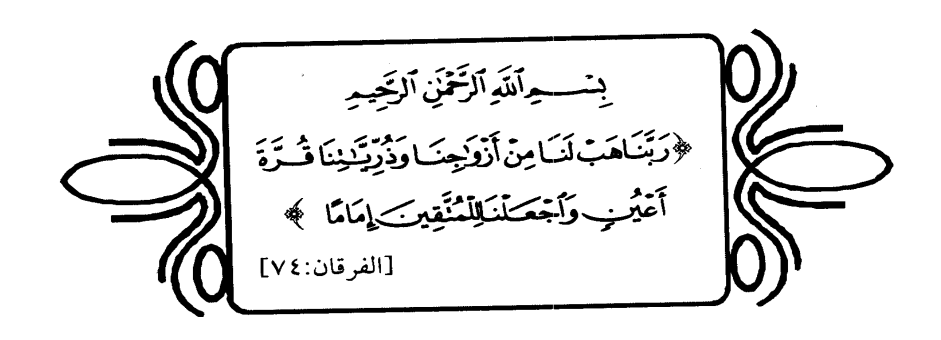
مرسي، كمال إبراهيم
الأسرة والتوافق الأسري / د. كمال إبراهيم مرسي. ط١ – القاهرة: دار النشر للجامعات، ٢٠٠٨.
٢٠٦ص، ٢٤سم.
تدمك ٥ ٢٧٤ ٣١٦ ٩٧٧
١ – الأسرة – علم النفس
أ- العنوان
١٥٨,٢٤

تاريخ الإصدار: ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م
حقوق الطبع: محفوظة للمؤلف
رقم الإيداع: ٢٠٠٨/١٤٥٠٨
الترقيم الدولي: ISBN: 977 – 316 – 274 – 5
الكود: ٣/٢٩٩

دار النشر للجامعات
ص.ب (١٣٠ محمد فريد) القاهرة ١١٥١٨
ت: ٢٦٣٤٧٩٧٦ – ٢٦٣٢١٧٥٣ ف: ٢٦٤٤٠٠٩٤
E-mail: darannshr@link.net

الأسرة

والتوافق الأسري


بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ
﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ
أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾
[الفرقان: ٧٤]

تقديم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد ﷺ .

أما بعد، فقد صدر الكتاب الأول من الجزء الثاني من سلسلة السعادة وتنمية الصحة النفسية بعنوان: الأسرة التعريف والوظائف والأشكال سنة ٢٠٠٣ ، وبعد نفاذ الطبعة الأولى أضفنا إليه في الطبعة الثانية موضوع «التوافق الأسري» وهو موضوع جديد في مجالات العلاقات الأسرية أو التربية الأسرية، وعلم النفس الأسري وعلم الاجتماع العائلي والصحة النفسية، فالكتابات فيه بالعربية قليلة رغم أهميته الكبيرة في تكوين شخصية الإنسان .

وصدر الكتاب في ثوبه الجديد من بابين: الباب الأول عن الأسرة ووظائفها، ويضم ثلاثة فصول: الفصل الأول عن تعريف الأسرة، والفصل الثاني عن أهداف الأسرة ووظائفها، والفصل الثالث عن أنماط الأسرة . والباب الثاني عن التوافق الأسري ويضم خمسة فصول: الأول عن تعريف التوافق الأسري وأهميته، والثاني عن تحليل عملية التوافق الأسري والثالث عن التوافق الأسري مع أحداث الحياة، والرابع عن التوافق الزواجي، والخامس عن الإرشاد والعلاج الأسري.

وقد عدلنا عنوان الكتاب ليدل على محتواه الجديد إلى: «الأسرة والتوافق الأسري في الإسلام وعلم النفس» وقمنا بتنقيح الباب الأول وتعميق معلوماته، وحاولنا التنسيق بين محتوياته ومحتويات الباب الثاني ، واتبعنا في إعداد هذا الكتاب «منهج التأصيل الإسلامي للمعرفة في علم النفس»، فاستفدنا بما جاء في القرآن الكريم والسنة الشريفة وجهود علماء المسلمين وغير المسلمين عن الأسرة ووظائفها وأهميتها وأشكالها، وعن التوافق الأسري مع أحداث الحياة العادية والحلوة والمرة وعن الإرشاد والعلاج الأسري وفق شروط منهج التأصيل الإسلامي في التأليف

والتي من أهمها الآتي [١] :

١- تبني التصور الإسلامي لطبيعة الإنسان وأهدافه في الحياة مع الالتزام بتشريعات الإسلام في العلاقات الأسرية .

٢- الالتزام بتوجيهات الوحي مع عدم تعطيل العقل ، لكي نستفيد من الوحي والعقل في مناقشة الموضوعات.

٣- الاستفادة من المعارف النفسية في القرآن والسنة وما خلَّفه علماء المسلمين من تراث حول الأسرة والتوافق الأسري.

٤- تمحيص النظريات الحديثة في علم النفس الأسري وعلم الاجتماع العائلي والإرشاد الأسري والزواجي وأخذ ما يتفق منها مع تشريعات الإسلام في الأسرة والتوافق الأسري وترك ما يعارضها أو لا يتفق معها [٢] .

ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يعلمنا ما ينفعنا ، وأن ينفعنا بما يعلمنا ، وأن يزدنا علمًا ، وأن يجعل هذا الكتاب من العلم النافع .

د. كمال إبراهيم مرسي

مدينة نصر – القاهرة

في ٢٥ جمادى الثاني ١٤٢٩ هـ

الموافق ٣٠ يونيو ٢٠٠٨ م

---

(١) هذه الشروط أشرنا إليها في كتابنا عن الزواج وبناء الأسرة، ورأينا التذكير بها في مقدمة هـذا الكتاب .

(٢) أشرنا إلى خطة التأليف وفق التأصيل الإسلامي للمعرفة في علم النفس بشيء من التفـصيل في المرجع الآتي:

كمال إبراهيم مرسي (٢٠٠٤) **الزواج وبناء الأسرة** . الكويت: دار القلم ص ١٥ و ١٦ .

المحتويات

الباب الثاني: التوافق الأسري

الباب الأول
الأسرة ووظائفها(*)

مقدمة الباب الأول

الفصل الأول: تعريف الأسرة

الفصل الثاني: أهداف الأسرة ووظائفها

الفصل الثالث: أشكال الأسرة

(*) نشر هذا الباب بفصوله الثلاثة في كتاب بعنوان «الأسرة: التعريف والوظائف والأشكال» سنة ٢٠٠٣ عن طريق دار القلم للنشر والتوزيع بالكويت

مقدمة الباب الأول

يستخدم العلماء والباحثون في علم النفس الأسري وعلم الاجتماع العائلي مصطلحين رئيسين : أحدهما الأسرة التقليدية والثاني الأسرة الحديثة . ويقصد بالأسرة التقليدية جماعة من رجل وامرأة بينهما علاقة زواج رسمية وأبنائهما وأقاربهما الذين يعيشون معهما في معيشة مشتركة، أما الأسرة الحديثة فيقصد بها جماعات مختلفة في الوظائف والأهداف والبناء منها : جماعة من رجل ورجل أو امرأة وامرأة وتسمي "أسرة الجنس الواحد" أو جماعة من مجموعة رجال ونساء في معيشة واحدة، بحيث يكون كل رجل زوجًا لكل النساء والمرأة زوجة لكل الرجال في الجماعة، وتسمي " أسرة الزواج الجماعي"، أو جماعة من رجل وامرأة ليس بينهما زواج رسمي، وتسمي "أسرة المعاشرة"، أو جماعة من رجل وامرأة بينهما زواج رسمي أو بدون زواج ويعيشان معًا، ولا يتحمل أي منهما مسئولية الأعمال المنزلية ولا رعاية الأطفال ولا الإنفاق على الأسرة، وتسمي "أسرة فندقية" حيث يأوي كل زوج إلى المبيت مع الزوج الآخر، وقضاء أوقات الفراغ والإجازات والعطلات الرسمية معه، يستمتع به ولا ينفق عليه ولا يرعاه . فكل منهما مسئول عن نفسه وليس عن الآخر (Ingoldsly,1995).

وقد أدي تعدد الأسر الحديثة واختلاف أشكالها إلى غموض مفهوم الأسرة ودلالاته، مما دعا كثيرًا من العلماء والباحثين إلى الاجتهاد في تعديل مصطلح الأسرة وتوسيع مفهومة ودلالاته ليشمل الأسرة التقليدية والأسرة الحديثة معًا . وقد شجعهم على ذلك المعني القاموسي لكلمة Family في اللغة الإنجليزية وغيرها من اللغات الأوربية التي تعني الألفة والعشرة والائتلاف والتعود والرفقة (Mancie,et al.2000) (بيري ١٩٩٨ وموسوعة الأسرة ،٢٠٠٣) .

أما في اللغة العربية فإن كلمة الأسرة من الأَسْرِ أي القيد والرباط الذي لا ينطبق إلا على الأسرة التقليدية، التي تقوم على رباطَيْ الزواج والدم أو قيدي الزواج

والدم اللذين يشدان أفراد الأسرة ويعصبانهم بقوة في جماعة الأسرة التقليدية ولا ينطبق على الأسر الحديثة .

وهذا يعني أن الأسرة في اللغة العربية محددة المعني وتدل على جماعة لها خصائصها التي تميزها عن غيرها من الجماعات، ولا يصح استخدام كلمة أسرة للدلالة على أية جماعة أخرى إلا من قبيل المجاز أو الكناية أو التشبيه البليغ . فتقول "أسرة المدرسة" كناية عن أن المدرسة جماعة يسودها التماسك والترابط والمودة والمحبة وكأنها أسرة واحدة، لأن التماسك والمودة والمحبة من خصائص "جماعة الأسرة" .

ونخلص من هذا التحليل لمفهومي الأسرة: التقليدية والحديثة إلى أن شكوى بعض الباحثين من غموض مفهوم الأسرة وتعدد دلالاته خاص بالمجتمعات الغربية ولغتها وظروفها الاجتماعية والثقافية ولا تنسحب هذه الشكوى على مفهوم الأسرة في المجتمعات الإسلامية التي لا تعترف إلا بالأسرة التقليدية وترفض ما عداها من الأسر الحديثة .

ونتناول في هذا الباب تعريف الأسرة في اللغة العربية والشريعة الإسلامية والاصطلاح في علمي النفس والاجتماع العائلي، ثم نستخلص منه الخصائص المميزة لجماعة الأسرة، ونجعلها معايير نحتكم إليها في مناقشة بعض مفاهيم الأسرة الحديثة، التي دعا إليها المناهضون للأسرة التقليدية في القرن العشرين – لاسيما في النصف الأخير منه – في أوروبا وأمريكا، وأقاموا الحجج والأدلة على فشل الأسرة التقليدية، وأضرارها على الصحة النفسية والجسمية والاجتماعية للفرد والمجتمع، وزعموا أن أنظمتهم الأسرية الحديثة هي الأفضل والأحسن للحياة العصرية .

وقد دخل بعض علماء الاجتماع وعلم النفس الأسري العرب جُحْرَ الضَّبِّ وراء هؤلاء المناهضين للأسرة، وناقشوا في كتبهم فِكْر هذا الفريق حول تقلص وظائف الأسرة، والتمرد على تقسيم العمل في الأسرة، وتحرير المرأة من الظلم في الأعمال المنزلية والأمومة، والمساواة بين الجنسين في الأدوار الاجتماعية والحرية

الشخصية والمصلحة الفردية . وقدموا في مناقشاتهم أدلة وبراهين على منطقية هذا الفكر وارتباطه بالتنوير والتطوير في الحياة الأسرية . وهم - من وجهة نظرنا المتواضعة - يمهدون تمهيدًا مباشرًا أو غير مباشرٍ لزعزعة الأسرة بمفهومها التقليدي، ويزينون المفاهيم الأسرية الحديثة ؛ لتكون مقبولة أو على الأقل غير مستهجنة في المجتمعات الإسلامية .

ولا يختلف اثنان من علماء الاجتماع العائلي وعلم النفس الأسري من العرب وغير العرب، المسلمين وغير المسلمين على أن مفهوم الأسرة مفهوم محلي مرتبط بثقافة المجتمع وعاداته وتقاليده ومعتقداته، ويختلف في مدلوله - كثيرًا أو قليلًا - من مجتمع إلى آخر وقد نجد مفاهيم أسرية مقبولة في مجتمع وغير مقبولة في مجتمع آخر. لذا لا بأس أن تظهر مفاهيم أسرية مقبولة في المجتمعات الغربية وغير مقبولة في المجتمعات الإسلامية .

ومع قناعتنا أن مفهوم الأسرة المسلمة مفهوم سماوي أو مفهوم اجتماعي من عند الله، فقد حدد الله أهداف الأسرة ووظائفها والحقوق والواجبات فيها والعلاقات بين أفرادها، وهو مفهوم ثابت لا تعديل فيه ولا تطوير، وسوف يظل كما هو دون تحريف أو تعديل إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

ومع قناعتنا أيضًا أننا لسنا في حاجة إلى تعديل مفهوم الأسرة أو توسيعه أو تغييره بأنظمة أسرية حديثة بقدر حاجاتنا إلى فهم معني الأسرة في لغتنا وشريعتنا وتطبيقه كما يريد الله، حتى نرضيه سبحانه، وننعم بالسعادة في الدنيا والآخرة .

ومع قناعتنا بكل هذا فسوف نناقش بعض مفاهيم الأنظمة الأسرية الحديثة مناقشة موضوعية، ونحكم عليها من الناحيتين العلمية والعملية في ضوء خصائص الأسرة في اللغة العربية والشريعة الإسلامية، وفي ضوء مصلحة الفرد والجماعة في الحياة الدنيا والآخرة . وسوف نركز في مناقشتنا لهذه المفاهيم على الإجابة عن ثلاثة أسئلة هي :

١- هل حجج المناهضين للأسرة التقليدية قوية في الدلالة على عدم صلاحية هذه الأسرة للحياة العصرية الحديثة؟

٢- هل تتفق مفاهيم الأنظمة الأسرية الحديثة التي يدعو إليها المناهضون للأسرة مع مفهوم الأسرة في اللغة العربية والشريعة الإسلامية ؟

٣- هل حققت هذه الأنظمة ما فشلت فيه الأسرة التقليدية كما يزعم المناهضون لها ؟

وسوف نحاول تقديم الأدلة المنطقية والموضوعية على أن المفهوم التقليدي للأسرة هو المفهوم الدقيق والوحيد للأسرة، وما عداه من مفاهيم لا يدل على الحياة الأسرية لاسيما في المجتمعات الإسلامية .

ومع قناعتنا بأننا لسنا في حاجة إلى هذه الأدلة لكي نتمسك بمفهوم الأسرة التقليدية لأنه بمعناه ومدلوله جزء لا يتجزأ من عقيدتنا الإسلامية، التي لا نحيد عنها فـ "ليس للمؤمن ولا للمؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرًا أن تكون له الخيرة من أمره" ومع هذا نناقش فكر المناهضين للأسرة والأنظمة التي دعوا إليها مناقشة علمية، ونقدم الأدلة العقلية على صحة أو خطأ مزاعمهم تقديمًا يتفق مع منهجهم في التفكير دون تعصب أو تحيز، معتمدين في ذلك على قواعد إسلامية ثلاث في الحوار مع الآخر هي :

١- ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف:٢٩] فمفهوم الأسرة التقليدية مفهوم سماوي من عند الله ، ومن شاء يؤمن ويتمسك به، ومن شاء يرفضه ويتخلى عنه .

٢- ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ [فُصِّلَت:٣٤] فنقدم الأدلة على أهمية الأسرة التقليدية، وبطلان الأنظمة الأسرية الحديثة، ونلتزم بالموضوعية والعقلانية والحكمة والموعظة الحسنة في الحوار والمناقشة .

٣- ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون:٦] فإذا استمر الخلاف حول مفهوم الأسرة فلنا أن نتمسك بالأسرة التقليدية ولهم أن يتمسكوا بالأنظمة الأسرية الحديثة، وسوف يعلمون من له عقبى الدار في الدنيا والآخرة .

ويتكون هذا الباب من ثلاثة فصول: يتناول الفصل الأول تعريف الأسرة في اللغة العربية والشريعة الإسلامية ، وفي الاصطلاح عند علماء النفس والاجتماع والخدمة الاجتماعية ، ويناقش الفصل الثاني أهداف الأسرة التقليدية ووظائفها النفسية والاجتماعية والروحية ، ويعرض الفصل الثالث أنماط الأسرة التقليدية: الممتدة والنواة وبناءها الاجتماعي.

* * *

الفصل الأول
تعريف الأسرة

تعريف الأسرة في اللغة والشرع :

الأسرة في اللغة من الأَسْر[1] وتعني القيد أو الربط بشدة والعَصْب، وتؤخذ أيضًا بمعني الدرع الحصين، وبمعني الرهط والعشيرة. فيقال أسرة الفرد هي أقاربه من قبل أبيه أو هي رهطه أو عشيرته التي يتقوى بها (مختار الصحاح: ٢٧) .

أما في الشرع فقد أخذت الأسرة بمعنيين هما الأهل والعائلة . والأهل[2] من أَهِل أي أَنِس واستراح وهدأ واطمأن، وأزال الوحشة . ومنها الأهلية أي الصلاحية، والقدرة على تحمل المسئولية (مختار الصحاح: ٢٧ المعجم الوسيط: ١٧). ويشيرُ هذا المعني إلى أن أسرة الفرد هي أهلة الذين يأنس بهم، ويستريح إليهم، ويشعر بالأمن والأمان معهم، ويجدهم سندًا له . فأهل الرجل هم أخص الناس به، وهم زوجته وأبناؤه وأقاربه، أو هم عشيرته التي يعتز بها ويساندها وتسانده (المعجم الوسيط: ٣١) .

وقد استخدم القرآن الكريم والسنة الشريفة الأهل بمعني الأسرة في مواضع كثيرة، فعندما بَشّرت الملائكة زوج سيدنا إبراهيم عليه السلام بالحمل والإنجاب وتعجبت من هذه البشري "قالوا أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد" (سورة هود: ٧٣) . وقال سبحانه للوط عليه السلام "وأسر بأهلك" (سورة هود: ٨١) وقال عن موسى عليه السلام " فلما قضي موسى الأجل وسار بأهله" (سورة القصص: ٢٨) وقال عن إسماعيل عليه السلام "وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيًا" (سورة مريم: ٥٥) وقال لسيدنا محمد عليه الصلاة والسلام "إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا" (سورة الأحزاب: ٣٣) . وقال للمؤمنين "يأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة" (سورة التحريم:٦). وقال الرسول "خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي" (رواه البخاري) .

أما المعني الثاني فيأخذ الأسرة بمعني العائلة . فعائلة الرجل هي زوجته وأولاده ومن يكفلهم من الأقارب لأبيه، الذين يضمهم بيت واحد ومعيشة مشتركة[٣] (المعجم الوسيط: ٦٦) وقد أشار القرآن الكريم والسنة الشريفة في بعض الآيات والأحاديث إلى الأسرة بهذا المعني، فقال تعالي للرسول عليه السلام "ووجدك عائلا فأغنى" (سورة الضحى: ٨) أي وجدك يا محمد فقيرًا في حاجة إلى من يعيلك فأغناك الله وأعالك . وقال تعالي أيضًا للمؤمنين "وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء، إن الله عليم حكيم" (سورة التوبة: ٢٨) أي إذا خفتم الفقر بسبب منع المشركين من الاقتراب من المسجد الحرام في مواسم التجارة ، فسوف يعيلكم الله ويغنيكم من فضله إذا افتقرتم، فهو سبحانه العائل لكم (مخلوف، ١٩: ٢٥٢) وأشار الرسول إلى الأسرة بمعني العائلة في قوله صلي الله عليه وسلم: "كفي بالمرء إثما أن يضيع من يعول" (رواه أبو يعلى) أي يضيع أسرته التي يعولها . وقال "أفضل دينار ينفقه المرء دينار ينفقه على عياله"

والعائلة مؤنث العائل وهي من عال يَعَيل[٤] وعادة يسمي الأبناء "عَيالا" ويسمي الأب معيلا لأبنائه والأم معيلة لأبنائها . ولا يسمي الآباء عيالًا حتى ولو كانوا عالة على أبنائهم، لأن الآباء كبار وليسوا صغارا، وسبق لهم أن عالوا أبناءهم، مما يجعل الأبناء من عمل الآباء وملكا لهم . فقد قال رسول الله صلي الله عليه وسلم لرجل "أنت ومالك ملك لأبيك". وهذا يعني إعالة الابن لأبيه هي من عمل الأب الذي يكون عالة على ابنه إذا احتاج إليه .

ويشيرُ معني العائلة إلى الاعتمادية المتبادلة بين أفراد الأسرة ، فكل فرد في الأسرة عالة على الآخرين فيها لأنه في حاجة إليهم، ولا يستغني عنهم، وهو في الوقت نفسه يعول الآخرين في الأسرة ؛ لأنهم في حاجة إليه ولا يستغنون عنه .

ويظهر معنى العائلة في الإعالة المتبادلة في الواجبات والحقوق المتبادلة بين أفراد الأسرة، حيث تكون واجبات الزوجة حقوقًا للزوج، وواجبات الزوج حقوقًا للزوجة، وواجبات الآباء حقوقًا للأبناء، وواجبات الأبناء حقوقًا للآباء . وهكذا

يفتقر كل فرد في الأسرة إلى الآخرين فيها، لكي يحصل على حقوقه، فهو عالة عليهم، وفي الوقت نفسه هم عالة عليه لأنهم في حاجة إليه لكي يحصلوا على حقوقهم عنده، والتي لا يحصلون عليها إلا إذا قام هو بواجباته نحوهم، فالزوج لا يستغني عن زوجته، والزوجة لا تستغني عن زوجها، والأبناء لا يستغنون عن الآباء، والآباء لا يستغنون عن الأبناء، فالجميع عائل للآخرين في الأسرة وفي الوقت نفسه عالة عليهم.

ونخلص من تعريفات الأسرة في اللغة والشرع إلى أن مفهوم الأسرة يتضمن الأَسْر والأهل والعائلة، حيث يشير الأَسْر إلى رباطي الزواج والدم اللذين يربطان أفراد الأسرة ويعصبانهم معًا بقوة وشدة. فرباط الزواج الذي فيه أَسْر اختياري، يجعل الزوج أسيرًا عند الزوجة بإرادته، والزوجة أسيرة عند زوجها بإرادتها وموافقتها على الدخول في قفص الزوجية الذهبي.

أما رباط الدم وصلة الرحم فأَسْر إجباري طبيعي، فكل إنسان أسير والديه وأخوته وأقاربهَ الذين لم يختارهم ولم يختاروه، ولا يستطيع أي منهما الانفكاك من الآخر، لاسيما في المجتمعات الإسلامية التي تحرم التبني، وتمنع تغيير النسب. قال تعالى: ﴿ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ ﴾ [الأحزاب: ٥] وقال رسول الله "من دعي إلى غير أبيه وهو يعلم أنه ليس بأبيه فالجنة حرام عليه". ويشير مفهوم الأهل إلى وظيفة أساسية في الأسرة هي توفير الأنس والمودة وإزالة الوحشة بين أفراد الأسرة، فيعيشون في أمن وطمأنينة واستقرار. أما مفهوم العائلة فيشير إلى وظيفة ثانية في الأسرة، وهي إعالة أفراد الأسرة والإنفاق عليهم وتوفير حاجاتهم المعيشية. وبذا يستوي أن تقول أسرة أو أهل أو عائلة فكل يشير إلى خاصية أساسية في جماعة الأسرة ولا توجد هذه الخاصية إلا في الأسرة.

وزبدة هذه الخلاصة أن الأسرة كما نفهمها في اللغة العربية والشريعة الإسلامية جماعة اجتماعية تقوم على ثلاث ركائز هي:

١ - الأسْر أو القيد الاختياري في الزواج، والإجباري في القرابة وصلة الرحم .

٢- الأنس والمودة وإزالة الوحشة عن أفراد الجماعة وتحقيق الأمن والطمأنينة لهم .

٣- الإعالة لأفراد الجماعة ومساندتهم والإنفاق عليهم والتضحية من أجلهم .

تعريف الأسرة في الاصطلاح :

يقصد بتعريف الأسرة في الاصطلاح تعريفات علماء الاجتماع الأسري أو العائلي وعلم النفس الأسري أو سيكلوجية العلاقات الأسرية وهي تعريفات كثيرة قال بها علماء غربيون، وأخذ بها علماء الاجتماع وعلم النفس الاجتماعي العرب، ولا بأس من اقتطاف بعضها بما يحقق لنا تعريف الأسرة في الاصطلاح :

"الأسرة جماعة من الزوجين وأبنائهما، وقد تتسع فتشمل الأجداد والأحفاد والأقارب، الذين يعيشون في معيشة مشتركة وتحت سقف واحد". (Ogburn, 1968)

"الأسرة جماعة من الأشخاص تربطهم روابط الزواج والدم، ويتفاعلون معًا وجهًا لوجه ويعيشون تحت سقف واحد وفي معيشة مشتركة تقوم على العطاء والتضحية(Burgess,1953)"

"الأسرة جماعة نفسية لها خصوصية، تقوم على روابط الزواج والدم، ويسودها المودة والرحمة والتضحية والرعاية المتبادلة بين أفرادها. (Muncie & Sapsford,2000)

"الأسرة جماعة اجتماعية بيولوجية نظامية، تتكون من رجل وامرأة بينهما زواجٌ شرعي وأبنائهما، وتقوم بإشباع حاجات أفرادها وتنشئة الأطفال" (الموسوعة الأمريكية عن عفيفي، ١٩٩٦).

"الأسرة بناء اجتماعي مكون من مراكز وأدوار اجتماعية، ولها معايير تنظم العلاقات بين أفرادها، وتبين ما لهم من حقوق وما عليهم من واجبات (Mattessich & Hill,1986)"

ومع تعدد هذه التعريفات فإنها تتفق على أن الأسرة "جماعة اجتماعية نواتها امرأة ورجل بينهما زواج شرعي وأبناؤهما ، وقد تمتد أفقيًا أو رأسيًا وتضم: الأجداد ، والأحفاد ، والأقارب الذين يعيشون في معيشة مشتركة وتحت سقف واحد، ويتفاعلون معًا وجهًا لوجه، ويسودها المودة والمحبة والرحمة، وتقوم الحياة فيها على التضحية والرعاية المتبادلة وتنشئة الأطفال وحماية كبار السن" .

وهذا يعني أن تعريف الأسرة في الاصطلاح يقوم على الركائز التي يقوم عليها تعريف الأسرة في اللغة والشرع، وهي: الأَسْر والأهل والإعالة، فالأسرة في الاصطلاح مفهوم يشير إلى جماعة اجتماعية مرتبطة بروابط الزواج والدم (من الأَسْر)، ويسودها الود والأنس والمحبة (من الأهل)، وتوفر الرعاية لأفرادها والإعالة لهم (من العائلة) .

خصائص جماعة الأسرة

وفي ضوء تعريف الأسرة في اللغة والشرع والاصطلاح نخلص إلى أن الأسرة جماعة كأي جماعة اجتماعية لها وظائف وأهداف ومعايير تنظم العلاقات بين أفرادها، وقيادة تقودها، وواجبات يقوم بها أفرادها، وحقوق يحصلون عليها . ومع هذا فإنَّ جماعةَ الأسرةِ لها خصائص تميزها عن غيرها من الجماعاتِ في المجتمع، بعض هذه الخصائص تدل على الأسرة دلالة قاطعة، وبعضها الآخر يدلُّ عليها دلالة قوية . من هذه الدلالات الآتي :

أولًا – الدلالات القاطعة على جماعة الأسرة.

ويقصد بها الخصائص التي توجد في جماعة الأسرة ولا توجد في غيرها من الجماعات، فهي خصائص تدل على الأسرة دلالة قاطعة . من أهم هذه الخصائص الآتي:

١ – تنشأ جماعة الأسرة **بالزواج الشرعي** بين رجل وامرأة، فلا تطلق أسرة إلا على جماعة تنشأ بالزواج الشرعي، الذي يربط بين رجل وامرأة برباط اختياري إرادي، فإذا انحل هذا الرباط قبل الإنجاب انتهت الأسرة، ولم يعد لها وجود .

فرباط الزواج يدل على جماعة الأسرة دلالة قاطعة لأنه لا تنشأ جماعة بالزواج إلا جماعة الأسرة .

٢- تكتمل جماعة الأسرة وتكبر **بالإنجاب** الذي ينشئ روابط الدم بين المولود ووالديه وأقاربه، وتسمي صلة الرحم أو روابط القرابة، وهي روابط إجبارية إلزامية لا يختارُها أحد، ولا يستطيع أحد الانفكاك منها . فكل مولود في الأسرة ينسب إلي والديه . قال تعالي: ﴿ ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [الأحزاب: ٥]. ولا تقوم أية جماعة على روابط الدم إلا جماعة الأسرة .

٣- **تتحدد المراكز الاجتماعية في جماعة الأسرة** بعوامل بيولوجية، فالرجل يشغل مراكز الزوج والأب والجد لأنه ذكر، والمرأة تشغل مراكز الزوجة والأم والجدة لأنها أنثي، أما المراكز في الجماعات الأخرى غير الأسرة فتحددها عوامل ثقافية ، ولوائح وقوانين مكتوبة وغير مكتوبة ، ولا توجد جماعة تتحدد فيها المراكز بعوامل بيولوجية إلا جماعة الأسرة .

٤- تتكون جماعة الأسرة من أفراد من الجنسين ومن **أعمار مختلفة** ، ولا توجد جماعة غير الأسرة تتكون بالزواج من رجل وامرأة، وبعد الإنجاب تضم الصغار والكبار معًا . ويستمر التباين في الأعمار بين أفراد الجماعة وفي جميع مراحل نموها، حيث يكبر الوالدان إلى الشيخوخة ويكبر الصغار إلى المراهقة والرشد .

٥- **الإنجاب وتنشئة الأطفال** أهم وظائف الأسرة، ولا توجد أية جماعة غير الأسرة تقوم بوظيفة الإنجاب، لاسيما في المجتمعات الإسلامية التي لا تقبل الإنجاب بدون زواج شرعي، وتحرم الزنا، وتعده من الكبائر .

٦- **الواجبات والحقوق في جماعة الأسرة متقابلة،** فواجبات الزوج حقوق لزوجته عليه، وواجبات الزوجة حقوق لزوجها عليها، وواجبات الوالدين حقوق لأبنائهما عليهما، وواجبات الأبناء حقوق لوالديهم عليهم (Dallos & Sapsford, 2000: 128) . وتدل هذه الخاصية على الأسرة دلالة قاطعة لأنها لا توجد إلا في الأسرة، ولا توجد أسرة إلا والواجبات والحقوق فيها متقابلة .

ثانيًا – الدلالات القوية على الأسرة :

ويقصد بها خصائص أساسية تقوم عليها الحياة الأسرية المستقرة، وإذا نزعت هذه الخصائص كلها أو بعضها من جماعة الأسرة تتصدع وتتفكك وتفقد مبررات وجودها، وإذا وجدت هذه الخصائص كلها أو بعضها في جماعة غير جماعة الأسرة تصبح كالأسرة في ترابطها وتماسكها، وتجعلها مصدر أمن وأمان لأفرادها ، وتدفعها إلى النجاح والتفوق . ومن أهم الخصائص التي تدل على جماعة الأسرة دلالة قوية ، ولا توجد الحياة الأسرية إلا بها ، الآتي :

١- تقوم العلاقات الأسرية على **المودة والمحبة والتضحية المتبادلة،** فالزوج يضحي من أجل زوجته، والزوجة تضحي من أجل زوجها، والوالدان يضحيان من أجل أبنائهما، والأبناء يضحون من أجل والديهم . وإذا وجدت هذه العلاقات (المودة والمحبة والتضحية) في جماعة غير الأسرة كانت كالأسرة من حيث العلاقات بين أفرادها، ويطلق عليها أسرة مجازًا، وهي ليست أسرة في الواقع . أما إذا نزعت هذه العلاقات من جماعة الأسرة فإنها تكون أسرة من الناحية البنائية وليست أسرة من الناحية الوظيفية؛ لأنها فقدت وظيفتها في توفير المودة والمحبة والرحمة بين أفرادها، وأصبحت عرضة للتفكك .

٢- توفر جماعة الأسرة لأفرادها الصغار والكبار **الرعاية والمعيشة،** وتشبع لهم حاجاتهم الجسمية والنفسية والاجتماعية والروحية . وإذا وجدت جماعة غير الأسرة توفر لأفرادها الرعاية، وتشبع لهم حاجاتهم، فإنها تكون كالأسرة من حيث الوظيفة وليس البناء والتكوين . وإذا تقاعست جماعة الأسرة عن رعاية أفرادها، وأهملت في إشباع حاجاتهم فإنها تكون أسرة غير طبيعية، أو أسرة مريضة في حاجة إلى الإرشاد والمساعدة المادية والمعنوية حتى تستعيد عافيتها في رعاية أفرادها .

٣- تقوم القيادة في جماعة الأسرة **برعاية أفرادها وحمايتهم والإنفاق عليهم والتضحية من أجلهم** ولا تكون هذه مسئوليات القيادة إلا في جماعة الأسرة، فالقوامة في الأسرة ولاسيما الأسرة المسلمة تتضمن – بالإضافة إلى مسئوليات

الإشراف والتوجيه واتخاذ القرارات - القيام بمسئوليات الإنفاق على أفراد الأسرة والرعاية لهم والرحمة بهم وخدمتهم وحمايتهم، مما يجعل مسئوليات القيادة في الأسرة مختلفة عن مسئوليات القيادة أو الرئاسة في الجماعات الأخرى .

فالقيادة في الأسرة تكليف وليست تشريفًا لمن يقوم بها، لأن القائد - وهو الأب في الأسرة الأبوية أو الأم في الأسرة الأمومية - مرتبط بأفراد أسرته بروابط الزواج أو الدم التي تُلْزِمُه بخدمة ورعاية وحماية مَنْ يعول أو يقود، فهو منهم وهم منه، يفرح لفرحهم ويحزن لحزنهم، ولا يسعد إلا بسعادتهم، ولا توجد هذه الروابط والمشاعر عند القائد إلا في جماعة الأسرة، وإذا وجدت في غير الأسرة كان القائد فيها كالأب أو الأم في مشاعره نحو أفراد الجماعة . أما إذا نزعت هذه المشاعر من القائد في الأسرة فقد ضيع مَنْ يعول، أي ضيع جماعة الأسرة التي يقودها، وفقد خاصية من خصائص القيادة أو القوامة فيها . وتدل **"مسئولية القيادة عن الرعاية والإنفاق والتضحية"** على جماعة الأسرة دلالة قوية لأنها لا توجد إلا في الأسرة، وإذا وجدت في جماعة أخرى كان القائد فيها كالأب أو الأم وكانت الجماعة التي يقودها كالأسرة، وكان أسلوبه في القيادة من النمط الأبوي الذي يحرص على مصلحة الجماعة ومصلحة أفرادها.

٤- تعيش جماعة الأسرة **معًا في مكان واحد مدة طويلة**، فالأسرة مكان يأوي إليه أفرادها ويتفاعلون معًا فيه، ويعيشون فيه معيشة مشتركة دائمة مدة طويلة، ويشتركون معًا في ثقافة واحدة، ويكتسبون خبرات متشابهة إلى حد كبير في العادات والتقاليد والقيم والمعتقدات (Dallos & Sapsford, 2000: 128) وتدل خصوصية المكان واستمرارية الحياة ووحدة الثقافة على جماعة الأسرة دلالة قوية، لأنها - أي الخصوصية - قد توجد في جماعات غير الأسرة لكن لا توجد أسرة بدون خصوصية المكان والزمان والثقافة .

التمرد على الأسرة التقليدية

تعرضت الأسرة بمفهومها التقليدي الذي أشرنا إليه للنقد والتجريح من

الحركات المناهضة للأسرة Anti-Family Movements والتي دعت إلى التخلي عن الأسرةِ التقليدية واستبدالها بأنظمة أسرية مناسبة للحياةِ العصرية، تحمي المرأة من الظلم، وتصون حرية الفرد وحقوقه، وتحقق للأطفال الأمن والاستقرار النفسي والاجتماعي، الذي فشلت الأسرة التقليدية في تحقيقه .

من زعماء هذه الحركات: الشيوعيون وحركاتُ تحرير المرأة وبعضُ علماء الاجتماع العائلي والطبُّ النفسي الراديكالي(٥) ، وكثيرٌ من المفسدين في الأرضِ وضعاف النفوس الذين تمردوا على نظام الزواج التقليدي، وعلى توزيع الأدوار في الأسرة وفق الجنس، وعلى الإنجاب وتربية الأطفال، وعلى الأخلاق والفضيلة . ومع قناعتنا بسخافة اتهاماتهم للأسرة التقليدية وعدم منطقيتها، وضعف حججهم، وزيف ادعاءاتهم، وعدم صلاحية الأنظمة الأسرية الحديثة لقيام حياة إنسانية كريمة . ناهيك عن معارضة فِكْرهم لعقيدتِنا الإسلاميةِ ولعاداتنا وتقاليدنا، ومع هذا سوف نعرضُ لِفكرهم ومزاعمهم، ونناقش الأنظمة الأسرية الحديثة التي قامت عليها بإيجاز وموضوعية، ثم نبين ما فيها من زيف، ونقدم الدليل من اللغة العربية والشريعة الإسلامية وعلم النفس الأسري وعلم الاجتماع العائلي وعلم الصحة النفسية على زيف فكرهم وبطلان ادعاءاتهم، وفساد أنظمتهم الاجتماعية .

والذي يدعونا إلى عرض هذه الفكر والأنظمة الأسرية في هذا الموضع من الكتاب، هو ما كتبه بعض الباحثين العرب نقلًا عن المراجع الأجنبية حول غموض مفهوم الأسرة بمعنى Family ، وصعوبة تحديده، وتعدد معانيه، واختلاف الجماعات التي يدل عليها، ومناقشتهم - أي الباحثين العرب - للأنظمة الأسرية البديلة وكأنها أنظمة أسرية مُتطورة أو حديثة، وهي من وجهة نظرنا أنظمة فاسدة، لا تصلح لقيام حياة أسرية وفق معتقداتنا وعاداتنا وتقاليدنا .

يضاف إلى هذا أن البعض من هؤلاء الباحثين باتوا مقتنعين بمزاعم المناهضين للأسرة التقليدية، حول تخلي الأسرة الحديثة عن معظم وظائفها، وظُلمُ الرجل للمرأة في الحياة الأسرية التقليدية، والدعوة للمساواة بين الجنسين في الأدوار

الاجتماعية، وتحرير المرأة من أدوارها التقليدية ومن قوامة الرجل، وتخليصها من التقسيم الظالم للأدوار الاجتماعية في الأسرة وغيرها من المزاعم، التي قبلها هؤلاء الباحثون العرب كليًا أو جزئيًا أو سكتوا عنها، وهي من وجهة نظرنا دعوات للانحراف النفسي، وسوف يظهر زيف هذه المزاعم في مناقشاتنا لفِكْر المناهضين للأسرة والأنظمة الأسرية الحديثة التي قامت عليها .

فِكْر المناهضين للأسرة التقليدية :

تعددت انتقادات المناهضين للأسرةِ التقليدية وشملت مفهوم الأسرة ونظام الحياة الأسرية والمبادئ التي تقوم عليها . فالشيوعيون عدّوا الأسرة التقليدية نظامًا رأسماليًا يكرس سيطرة الرجال على النساء، ودعوا إلى هدمه والقضاء عليه لتحرير المرأة من سيطرة الرجل البرجوازي(٧) . (Elliot, 1987) وأرجعت جماعات تحرير المرأة الظلم الذي وقع على المرأة عبر العصور إلى تقسيم العمل في الأسرة التقليدية وتسخيرها للأعمال المنزلية وتربية الأطفال وخضوعها للرجل، ودعت إلى هدم الأسرة التقليدية، واستبدالها بأنظمة أسرية حديثة، تقوم على المساواة بين الجنسين في العمل خارج البيت، وتخليص المرأة من أدوارها التقليدية في الأسرة، التي حَطّت من شأنها وظلمتها لسنوات طويلة . (Ingoldsby & Smith, 1995)

وذهب بعض علماء الاجتماع العائلي إلى أن الأسرة التقليدية لم تعد مناسبة للحياة الأسرية في المجتمعات الحديثة بعد خروج المرأة للعمل، وتخلي الأسرة عن معظم وظائفها إلى جماعات أخرى متخصصة، وتمرد الشباب على الزواج والإنجاب، وارتفاع معدلات الطلاق، وتفكك روابط القرابة ، ودعا هذا الفريق إلى أنظمة أسرية بديلة، وتطوير أساليب الزواج بما يحقق الحرية الجنسية والمصلحة الفردية للرجل والمرأة، ويسعدهما في الحياة دون قيود ولا معوقات. (Muncie et al, 2000: 32)

ونظر علماء حركة الطب النفسي الراديكالي إلى الأسرة التقليدية كنظام مخرب لفردية الإنسان وشخصيته، وأرجعوا مشكلات الأطفال والمراهقين وانحرافاتهم

السلوكية وأمراضهم النفسية إلى الظلم الذي يقع عليهم في الأسرة، فيدمر شخصياتهم، ويفسد حياتهم . فالأسرة - من وجهة نظر هذه الحركة - تنمي الفصام والجناح والاضطراب عند الأطفال، بسبب جهل الوالدين وتسلطهما وظلمهما وانحرافاتهما ومشكلاتهما الزواجية والشخصية . ودعا هذا الفريق إلى تخليص الأبناء من هذا النظام السيئ، ورعايتهم في أحضان مربيات مؤهلات علميًا وتربويًا، وتنشئهم كما يريد المجتمع وليس كما يريد آباؤهم البيولوجيون . فالتربية الجيدة يقوم بها التربويون، ولا يقدر عليها الكثير من الآباء والأمهات البيولوجيين . (Laing, 1971; Cooper, 1972)

أما المفسدون في الأرض فقد أرجعوا مشكلات الشباب النفسية والجسمية والجنسية والاجتماعية إلى نظام الزواج، الذي تقوم عليه الأسرة التقليدية، وفلسفته البائسة، وإجراءاته المعقدة، وآثاره المدمرة للفرد والجماعة، ودعوا إلى الحرية الشخصية في ممارسة الجنس بدون زواج، وإلى الزواج بدون إنجاب، وإلى هدم الأسرة التقليدية، واستبدالها بأنظمة أسرية حديثة، تناسب الحياة العصرية، وتحقق للشباب الحرية والانطلاق دون قيود باسم الفضيلة والقيم، ولا عراقيل باسم الدين والأخلاق . فالزواج وبناء الأسرة مسألة شخصية وليست مسألة اجتماعية ولا دينية(Rigby, 1974) .

ومع اختلاف هذه الحركات في الأيدلوجيات[٨] والأهداف فإن أصحابها يجمعون على أن الأسرة بمفهومها التقليدي في طريقها إلى الزوال، إن لم تكن قد ماتت فعلًا في كثير من المجتمعات، واستدلوا على ذلك من التغيرات التي طرأت على الأسرة الأمريكية في العصر الحديث من زيادة في معدلات الطلاق، وضعف الروابط القرابيه، والانصراف عن الإنجاب وتربية الأطفال، والتمرد على الزواج والإقبال على ممارسة الجنس بدون زواج، وخروج المرأة إلى العمل وتخليها عن دوريها في الأعمال المنزلية والأمومة، وانتهاء سلطة الرجال على النساء، ومروق الأبناء عن سيطرة الآباء وظلمهم ، وهذا يؤكد - من وجهة نظرهم - هدم مقومات

الأسرة التقليدية، والقضاء عليها، ويمهد الطريق لبزوغ أنظمة اجتماعية بديلة تكون قادرة على توفير حياة أسرية، تلبي مطالب الحياة العصرية في الحرية والاستقلالية، وتدعيم الحقوق الفردية دون التزامات أو مسئوليات نحو الآخرين .

ومن الملاحظ أن المناهضين للأسرة مع تنديدهم بنظام الأسرة التقليدية، وسخطهم على الحياة الأسرية فيها، لم يتخلوا عن مفهوم الأسرة، ودعوا إلى توسيعه ليشمل الأنظمة الأسرية الحديثة، وجعلها أنظمة أسرية طبيعية وليست أنظمة شاذة أو منحرفة، أو جعلها أنظمة بديلة للأسرة التقليدية، توفر للإنسان الأمن والاستقرار، وتعطيه الحب والمودة والمساندة، ولا تحرمه من حقوقه في الفردية والحرية والاستقلالية، ولا ترهقه بمسئوليات والتزامات نحو الآخرين، فيعيش في سعادة واستمتاع بنفسه، وينطلق في الحياة دون قيود .

وقد أشرنا إلى أن الأنظمة الأسرية الحديثة لا ينطبق عليها مفهوم الأسرة لا في لغتنا العربية ولا شريعتنا الإسلامية ولا عاداتنا وتقاليدنا الاجتماعية، ومع قناعتنا أنها أنظمة منحرفة غير مقبولة من كثير من العلماء حتى في المجتمعات الغربية التي نشأت فيها، إلا أننا سوف نناقشها مناقشة علمية تقوم على التعريف بها والفلسفة التي تقوم عليها ، وما حققته للفرد والمجتمع من أمن وأمان وصحة نفسية واجتماعية .

الأنظمة الأسرية الحديثة :

قامت على فِكرْ المناهضين للأسرة التقليدية أنظمة أسرية عديدة في كثير من المجتمعات، ولاسيما في أوروبا وأمريكا ونقدم تعريفًا بأربعة منها فيما يلي:

١- أسرة المعاشرة Cohabitation family:

وتسمي أسرة الشريكين غير المتزوجين Unmarried Couple Family ويقصد بها جماعة من اثنين: رجل وامرأة يعيشان معًا بدون زواج من أجل الاستمتاع الجنسي والمودة والمحبة، وليس من أجل الإنجاب وتربية الأطفال، ودون التزامات

من أي منهما نحو الآخر . فأسرة المعاشرة من أجل الاستمتاع المتبادل بين الرجل والمرأة في النواحي الجنسية والعاطفية (Asen,1995) .

وبزغت فكرة "أسرة المعاشرة" في مقالة نشرتها مارجريت ميد M . Mead الأنثروبولوجية[٩] في جامعة كولومبيا سنة ١٩٦٦ بعنوان "الزواج في خطوتين: Marriage in two Steps تنشأ في الخطوة الأولي "أسرة معاشرة" يعيش فيها الرجل مع المرأة بدون زواج رسمي، بهدف تنمية المودة والمحبة وممارسة الجنس، وبدون تحمل أية مسئوليات مالية أو اجتماعية في الأسرة . وتسمي ميد هذه المرحلة بمرحلة الزواج الفردي Individual marriage التي تهدف إلى تحقيق التفاهم، واختبار المشاعر، وسبر أغوار الشخصية، فإن ائتلف الرجل والمرأة انتقلا إلى الخطوة الثانية، وإن اختلفا افترقا بدون طلاق ولا مشكلات اجتماعية أو التزامات مالية أو إنجاب .

وتنشأ في الخطوة الثانية أسرة الإنجاب بالزواج الرسمي، أو ما تسميه ميد الزواج من أجل الوالدية Parental marriage أي الإنجاب وتربية الأطفال وتحمل المسئولية (Dickinson & leming, 1990: 188)

ومن متابعة فكرة ميد تبين أنها لم تحقق الاستقرار الأسري، حيث وقف الكثير من الشباب عند "أسرة المعاشرة" ولم ينتقلوا إلى أسرة الإنجاب، واستمروا في ممارسة الجنس بدون زواج، مما أدي إلى انتشار أسر المعاشرة في أوروبا وأمريكا بين الشباب والأرامل والمطلقات . وحتى الحالات القليلة التي انتقلت من المعاشرة إلى الإنجاب وتزوجت رسميًا، لم يستمر زواجها طويلًا، وانتهت بالطلاق، ولم يتحقق الاستقرار الأسري الذي كان مأمولًا من الزواج في خطوتين(Elliot, 1986:185)

وتبين من دراسات كثيرة أن أسر المعاشرة تعاني مشكلات عديدة، بسبب الملل والغيرة والخلافات بين الرجل والمرأة، وغموض العلاقات الأسرية وعدم المسئولية في الحياة الأسرية، والشك والخوف من المستقبل . فالحرية والاستقلالية التي تقوم عليها أسرة المعاشرة تضعف الروابط بين الرجل والمرأة، فلا يأنس كل من

الشريكين إلى الآخر، ولا يطمئن إليه بعد اقتناعه أن المعاشرة لممارسة الجنس، وليست للسكن والأمن والمودة والحب .

وتواجه أسر المعاشرة صعوبات كثيرة في الإنفاق وفي العلاقات الاجتماعية بين الرجل والمرأة، اللذين يتعرضان للضغوط النفسية والاقتصادية والانفعالية بسبب الخلافات وانعدام المودة والمحبة بينهما، والأنانية والحرية الفردية التي تعجل بهدم علاقة المعاشرة، وترك كل منهما الآخر إلى معاشرة أخرى . فأسر المعاشرة لا تربطها روابط ثابتة، ولا تحكمها أخلاق لأنها من أجل الجنس لا من أجل الحب والمودة .

يُضاف إلى هذا أن حياة المعاشرة لم تخلص المرأة من الأعمال المنزلية . فقد وجد أن معظم النساء في أسر المعاشرة يقمن بالأعمال المنزلية، ويتعرضن للاستغلال والنبذ من الرجال الذين عاشروهن، ثم ملوا الحياة معهن، وفارقوهن إلى غيرهن، وتكون النتيجة خسارة للمرأة وحط من شأنها(Elliot, 1986)

وتتعرض المرأة للتأزم في أسر المعاشرة أكثر من الرجل، بسبب الغيرة التي تأكل قلبها، وخوفها من المستقبل كلما تقدم بها السن، وهي تتوقع أن يتحول الرجل عنها إلى أخرى أكثر شبابًا وجمالًا، فلا تشعر بالأمن معه، وتعيش في ضغوط حتى تأتي لحظة الفراق وهدم أسرة المعاشرة، فتعاني أعراض الصدمة أو "أعراض ما بعد صدمة هدم أسرة المعاشرة" التي تشبه إلى حد كبير "أعراض ما بعد صدمة الطلاق" في الأسرة التقليدية، وهي أعراض مؤلمة تظهر في أمراض سيكوسوماتيه أو اضطرابات نفسية أو عقلية أو انحرافات سلوكية، حيث تشكو النساء أكثر من الرجال بعد هدم أسرة المعاشرة من أمراض الحساسية وضغط الدم والصداع وقرحة المعدة، واضطراب النوم والقلق والتوتر والاكتئاب وغيرها .

٢- أسرة الكيميون Commune family:

يقصد بها مجموعة من الرجال والنساء لا يرتبطون بروابط زواج ولا قرابة[٦]، ويعيشون معًا يمارسون أنشطة مشتركة، وتقوم حياتهم الأسرية على الحرية في ممارسة الجنس، وتدعيم الحقوق الفردية وتحقيق المساواة بين الرجال والنساء في العمل

خارج البيت، وفي الأدوار الاجتماعية في الأسرة . فالجميع يشتركون في الأعمال المنزلية والإنفاق، وإدارة شئون الكيميون، ولا سلطة للرجال على النساء، ولا للآباء على الأبناء . ويتولى تربية الأطفال مربيات متخصصات في التربية وعلم النفس، قادرات على تنشئتهم وفق ما يريد المجتمع وليس كما يريد الآباء والأمهات .

والملكية في الكيميون جماعية وليست فردية، ومسئولية تربية الأطفال مسئولية المجتمع وليست مسئولية الوالدين البيولوجيين، وممارسة الجنس على المشاع، فكل رجل يمارس الجنس مع كل النساء، وكل امرأة تمارس الجنس مع كل الرجال، وتوزيع الأدوار الاجتماعية لا يرتبط بالجنس حيث يشترك الرجال والنساء معًا في أداء الأعمال المنزلية، وفي الكسب والإنفاق والقوامة . فالرغبة في الكنس والطبخ والرقص واللبس والعطف والحنان وتربية الأطفال ليس لها علاقة بالخصائص البيولوجية للرجل والمرأة (Dallos & Sapsford, 2000: 151)

لكن الدراسات على أسر الكيميونات في أوروبا والكيبيوتز في إسرائيل Kibbutz والكلوخز في الصين وروسيا أشارت إلى أن المساواة لم تتحقق بين الرجال والنساء، ولم يختفِ تقسيم العمل وفق الجنس في هذه الكيميونات، حيث كانت الأدوار الوسيلية من نصيب الرجال والأدوار التعبيرية من نصيب النساء .

والطريف في أسر الكيميونات أن بعض الرجال والنساء لم تروقهم ممارسة الجنس على المشاع، وفضلوا الخصوصية في العلاقة الجنسية، فارتبط كل رجل بامرأة واتخذها كزوجة له، وكوَّن معها ومع أبنائهما أسرة داخل الكيميون، ورفضا مشاركة الآخرين لهما في السكن أو في تربية الأبناء (Dreitzel, 1973) وهذا يعني أن الحياة في الكيميونات غير مقبولة ممن اشتركوا فيها .

يضاف إلى هذا أن أسر الكيميونات حققت الحرية في ممارسة الجنس بدون زواج لكنها لم تحقق المساواة بين الرجل والمرأة، ولم تخلص المرأة من الأعمال المنزلية ولا من

سيطرة الرجل، ولا تزال تربية الأطفال مشكلة بين الآباء والأمهات البيولوجيين والمربيات المتخصصات بسبب التنازع حول المسئولية في التربية .

٣- أسرة الجنس الواحدOne – Sex Family :

هي جماعة من رجلين أو امرأتين بينهما علاقة زواج رسمية أو غير رسمية، يعيشان معًا ويعاشر أحدهما الآخر معاشرة الأزواج، وتسمي أسرة الشريكين من جنس واحد *One – Sex Pairings Family* ، وتقوم على أساس أن الجنسية المثلية أسلوب حياة Way of life وطريقة طبيعية في الإشباع الجنسي، وليست مرضًا أو انحرافًا بعد أن رفعتها الجمعية الأمريكية للطب النفسي من قائمة الانحرافات أو الشذوذ أو الاضطرابات، وعدتها سلوكًا جنسيًا سويًا شأنها في ذلك شأن الجنسية الغيرية .

فممارسة الجنسية المثلية Homosexual في أسرة الجنس الواحد سلوك طبيعي في كثير من المجتمعات الغربية، يتبادل فيها طرفا العلاقة الحب والمودة وكأنهما رجل وامرأة، فتمارس المرأة الجنس مع امرأة مثلها دون الحاجة إلى رجل، وتسمي "أسرة السحاقLesbin Family " ويمارس الرجل الجنس مع رجل مثله دون الحاجة إلى امرأة، وتسمي "أسرة اللواط Gay Family . (Elliot, 1986)"

وتشير الدراسات إلى أن هذا النظام قد حقق المساواة بين الرجل والمرأة في ممارسة الجنسية المثلية، لكنه لم يحقق المساواة بين الرجلين والمرأتين في الحياة الأسرية. فقد تبين أن أحدهما يقوم بدور الزوج، والآخر يقوم بدور الزوجة في الممارسة الجنسية، ويكون الزوج مسئولًا عن الأدوار الوسيلية في العمل والكسب والإنفاق والقوامة، وتكون الزوجة مسئولة عن الأدوار التعبيرية في الطاعة والأعمال المنزلية والرعاية للزوج والعطف والحنان علية (Janosik & Green, 1992: 272)

وتبين أن الرجل المخنث الذي يقوم بدور الأنثى في أسرة اللواط يعمل على تغيير في تكوينه البيولوجي، بتعاطي هرمونات الأنوثة التي تضعف عضلاته، وتسقط شعر اللحية والشارب، وتنمي الغدد الثديية، وتزيد الشحوم في أماكن مختلفة من

جسمه . أما المرأة المسترجلة التي تقوم بدور الذكر في أسرة السحاق، فتعمل أيضًا على تغيير تكوينها البيولوجي، بتعاطي هرمونات الذكورة التي تقوي عضلاتها، وتنمي الشعر في أماكن مختلفة من جسمها . ولعنة الله على المرأة المسترجلة والرجل المخنث، اللذين يعبثان بخلق الله وساء ما يفعلون .

٤ - الأسرة الزواجية Conjugal family:

ويقصد بها جماعة من رجل وامرأة بينهما زواج رسمي وأبنائهما الصغار، في معيشة مشتركة، تقوم على أساس أن الزواج لإشباع حاجات الزوجين للجنس وليس الإنجاب وتربية الأطفال . وهذا يجعل الأسرة الزواجية مختلفة عن الأسرة النواة التقليدية، فهي وإن كانت مثلها تقوم على الزواج الرسمي، إلا أن الزواج في الأولى غاية وليس وسيلة، وفي الثانية وسيلة وليس غاية، فالرجل والمرأة يتزوجان في الأسرة الزواجية من أجل الإشباع الجنسي واستمتاع كل منهما بالزوج الآخر، أما في الأسرة النواة التقليدية فيتزوج الرجل والمرأة من أجل الأسرة والإنجاب وتربية الأطفال.

وجاءت فكرة الأسرة الزواجية من مبادئ المذهب البروتستانتي في القرنين ١٦ و١٧، التي طورها جودي Goode عالم الاجتماع الأمريكي في القرن العشرين وأسس عليها نظامًا أسريًا يدعم الحقوق الفردية والحرية الشخصية في الحياة الأسرية، فيكون كل شخص حر في اختيار مَنْ يتزوج؟ ومتي يتزوج؟ ومتي يطلق؟. فالزواج للزوجين وبهما، والأسرة من أجل إسعادهما واستقرارهما واستمتاعهما، وليست من أجل الإنجاب ولا روابط القرابة .

وتُقَدِّم الأسرة الزواجية مصلحة الفرد على مصلحة الجماعة، وتركز على رعاية الزوجين Couple – Oriented activities ، أكثر مما تركز على رعاية الأطفال Child – Oriented activities ، وتؤكد على حقوق الزوجين أكثر مما تؤكد على واجباتها والتزاماتها نحو الأقارب . فالأسرة الزواجية منعزلة لا تقيم وزنًا لروابط الدم أو القرابة . وتقوم على تحقيق المساواة بين الرجل والمرأة في الزواج وفي العمل

خارج البيت، دون سلطة لأحدهما على الآخر ، ودون سلطة للآباء على الأبناء . فالجميع أحرار من الالتزامات الأسرية والقرابية، والجميع يعملون من أجل تحصيل حقوقهم ومصالحهم الشخصية، ولكل منهم الحرية في الاستمرار في الأسرة أو الانفصال عنها وفق مصلحته ، وليس مصلحة الآخرين (Janosik & Green, 1992: 272)

وقد أشارت الدراسات إلى أن عمر الأسرة الزواجية قصير، لأنها تحمل عوامل هدمها في فلسفتها، التي تقوم على الحرية الشخصية والمصلحة الفردية والأنانية والاستقلالية، وهي مبادئ لا تصلح لقيام حياة أسرية مستقرة، ولا تؤدي إلى بناء أسرة متماسكة .

تعقيب على الأنظمة الأسرية الحديثة :

من عرضنا لفكر المناهضين للأسرة التقليدية ومن مناقشاتنا للأنظمة الأسرية الحديثة نخرج بالتعقيب الآتي :

١ - لا ينطبق مفهوم الأسرة في اللغة العربية على المفاهيم الأسرية الحديثة التي ظهرت في النصف الثاني من القرن العشرين في أوروبا وأمريكا، لأن هذه الأنظمة لا يتوافر فيها خصائص الأَسْر الاختياري أو الإجباري، فلا يرتبط أفرادها بروابط زواج ولا روابط قرابة، مما يجعلها جماعات اجتماعية وليست جماعات أسرية، فهي لا تتضمن: الأَسْر أو القيد الاختياري في الزواج، ولا الأَسر أو القيد الإجباري في روابط الدم والقرابة وصلة الرحم . ولا يعني تسمية بعض الباحثين لها أُسرًا بمعني Families أنها كذلك في اللغة العربية؛ لأنها جماعات ليس لها نصيب من معنى الأسرة في العربية، ولا يجوز أن تسمى أسرة .

٢- لا ينطبق مفهوم الأسرة في الشريعة الإسلامية على المفاهيم الأسرية الحديثة، لأنها تدلُّ على جماعات لا يتوافر فيها الأنس وإذهاب الوحشة والإعالة المتبادلة، وتقوم الحياة فيها على الفردية والاستقلالية وتقديم مصلحة الفرد على الجماعة . مما يجعلها حياة جماعية أو اجتماعية هدفها تحقيق مصالح مشتركة بين

الأفراد، لكنها ليست حياة أسرية فيها أنس وإذهاب وحشة وإعالة متبادلة، وتضحية من أجل الآخرين. ولن يتحقق مفهوم الأسرة في الشريعة إلا في جماعة تبنى على الزواج الشرعي، الذي يأسر كلا من الزوجين في الأسرة بميثاق غليظ، يلزمه بإيناس الآخر والأنس إليه ورعايته وحمايته والسكن إليه ، قال تعالى في الزواج الذي تبني به الأسرة ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الروم: ٢١]

فالزواج في الشريعة الإسلامية وسيلة لبناء الأسرة التي يجد فيها الزوجان الأمن والأمان، فلا أمن ولا أمان ولا مودة صادقة، ولا حب حقيقي بين الرجل والمرأة إلا بالزواج الذي يربط كل منهما بالآخر، ويلزمه بحسن عشرته . وهذا لا يتوافر في الأنظمة الأسرية الحديثة ويجعلنا نرفضها بكل ثقة ونتشبث بالأسرة التقليدية .

٣- لم تحقق مفاهيم الأنظمة الأسرية الحديثة في المجتمعات الغربية إلا الحرية للرجل والمرأة في ممارسة الجنس بدون زواج، أو ممارسة الجنسية المثلية في اللواط والسحاق . وهذه الحرية هدمت الأخلاق، وضيعت الفضيلة، وحطت من شأن الرجل والمرأة، وجعلت ممارسة الجنس ممارسة حيوانية، أدت إلى تفشي الأمراض والأوجاع والاضطرابات .

وممارسة الجنس بدون زواج لا تصلح لبناء أنظمة أسرية مستقرة، لأنها ممارسة بدون ضوابط تجعل الجنس غاية وليس وسيلة، وتحط من شأن الرجل والمرأة، وتجعلهما كالحيوانات في الحصول على ملذات جسدية قصيرة، لا تحقق لهما الأمن والأمان والمودة والمحبة .

ويرفض كثير من الناس في المجتمعات الغربية ممارسة الجنس بدون زواج، فالدراسات تشير إلى أن أكثر من ٨٠٪ من الشباب يفضلون ممارسة الجنس في الزواج الرسمي، ولا يُقْبلون على الإباحية الجنسية .

أما في المجتمعات الإسلامية فهي أشد تمسكًا بالزواج الشرعي، وتجريم الزنا واللواط والسحاق، التي غلظ الإسلام عقوبتها . قال تعالي في وصف المؤمنين ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَـٰفِظُونَ ۝ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝ ﴾ [المؤمنون: ٥-٧] أي من أراد الإشباع الجنسي بدون زواج أو باللواط أو السحاق أو ممارسة العادة السرية فهو من المجرمين المعتدين على حدود الله . والأنظمة الأسرية الحديثة من هذه الممارسات التي فيها تَعَدٍّ على حدود الله، ولا تصلح أن تكون أُسرًا .

٤- لم تستطع الأنظمة الأسرية الحديثة هدم المبادئ التي تقوم عليها الأسرة التقليدية، فلم تتحرر المرأة في الكيميونات من مسئوليات الأعمال المنزلية وتربية الأطفال، ولم يتم القضاء على تقسيم العمل وفق الجنس في أسر المعاشرة أو الجنس الواحد أو الكيميونات، ولم يتحسن وضع المرأة الاجتماعي في هذه الأنظمة الأسرية مما يعني أنها أنظمة فاشلة، ولم تكن بديلًا ناجحًا للأسرة التقليدية، ولم توفر الحياة الأسرية، ومن العبث تسميتها أسرًا .

٥- لم يقدم المناهضون للأسرة الحجج المقنعة لهدم المبادئ التي تقوم الأسرة التقليدية عليها، فلا تزال مبادئ: "ربط ممارسة الجنس بالزواج وتوزيع الأدوار في الأسرة وفق الجنس والإنجاب وتنشئة الأطفال وروابط الدم والقرابة تحظى بتقدير واحترام كثير من الناس حتى في المجتمعات الغربية . ولا يزال الكثير من الشباب يُعدِّون الزواج والإنجاب وتكوين الأسرة وتنشئة الأطفال أمنيات غالية في الحياة . وهذا يدحض فكر المناهضين للأسرة ويهدم الأنظمة التي قامت عليها، ويجعلنا نقف مع المؤيدين للأسرة التقليدية Pro family Movements وهم معظم علماء النفس الأسري والاجتماع العائلي في جميع أنحاء العالم، والذين يؤكدون على أنَّ الأسرةَ التقليديةَ هي أفضل نظام اجتماعي يحمي الأخلاق والفضيلة، ويحقق الأمن والاستقرار للفرد والمجتمع .

٦- الأسرة التقليدية نظام اجتماعي تؤيده كل التشريعات السماوية، وتحث عليه. وقد جاء الإسلام الدين الخاتم فجعل الزواج نصف الدين، وربط بر الوالدين وصلة الرحم بعبادة الله، وحدد الحقوق والواجبات المتقابلة في الأسرة، وأقام الحياة الأسرية على التضحية المتبادلة والمساواة بين الرجل والمرأة في الحقوق والتكامل في الواجبات، وَقَسّم الأدوار الاجتماعية وفق طبيعة كل منهما ومتطلبات الحياة .

فالأسرة التقليدية المسلمة نظام اجتماعي إلهي، يحقق مصلحة الفرد والجماعة ومصلحة الرجل والمرأة، ومصلحة الآباء والأبناء، ويقوم على المساواة بين الجنسين والتضحية المتبادلة بينهما، وتوزيع المسئوليات بين الرجل والمرأة وفق طبيعتهما، ويحقق التكامل بينهما في رعاية الأسرة دون ضرر ولا ضرار .

وهذا يجعلنا نخلص من مناقشة فِكرْ المناهضين للأسرة التقليدية والأنظمة التي قامت عليه إلى أن المفهوم التقليدي للأسرة هو المفهوم الوحيد الذي يدل على جماعة الأسرة بمعناها اللغوي في اللغة العربية، وبمعناها الشرعي في الشريعة الإسلامية، وبمعناها الاصطلاحي عند معظم علماء النفس الأسري والاجتماع العائلي ولاسيما في المجتمعات الإسلامية، التي تقدس الحياة الأسرية التقليدية، وتجعلها من العبادات التي يثاب عليها المسلم في الدنيا والآخرة . فلا تغيير ولا تعديل في مفهوم الأسرة عندنا، لأنه مفهوم ثابت وصالح للإنسان في كل زمان ومكان .

ولا يوجد مبرر علمي ولا عقلي ولا ديني يدعونا إلى إعادة النظر في مفهوم الأسرة، فليس من العلم أن ندخل جُحر الضَّبِّ وراء بعض الباحثين غير المنضبطين بقيم الحق والعدل والخير في الدعوة إلى التخلي عن مفهوم الأسرة أو تعديله، وهدم المبادئ التي تقوم عليها الأسرة التقليدية . فالأسرة في لغتنا الجميلة وفي شريعتنا الغراء وفي اصطلاح علمائنا الأفاضل تقوم على الأَسْر أو القيد والأُنس والإعالة .

(١) جذع كلمة "الأَسْر" هو أَسَرَ، ويستخدم بثلاثة معان، تقوم على الربط والعَصْب والقيد : فأَسَرَه يأسره أسرًا أي شده بالإسار أو القيد فهو أسير . وأَسَرَه تعني خَلَقَه وجمع أعضاء جسمه، وشدها بعضها إلى بعض من غير رخاوة، فأحكم خَلْقه . وأَسَرَ الشيء أي عَصَبَه وشدَّه بالقيد حتى يجتمع . قال تعالى: ﴿ نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ ﴾ (سورة الإنسان : ١٨) أي خلقناهم ذا قوة وشدة في الخَلْق والخُلُق فتبارك الله أحكم الخالقين .

(٢) جذع كلمة الأهل هو أَهَلَ وأَهِلَ، وتؤخذ منه اشتقاقات عديدة بمعان مختلفة: فتأهل الرجل أي تزوج، وأتيت أهلا أي استأنس ولا تستوحش، وأهَّل به أي رحب به، وأَهَلَ به أي أنس به، وأَهْلٌ لكذا جدير به، وقادر على القيام به . وتَأَهَّل للعمل أي حصل على الخبرات والمعلومات والمهارات اللازمة للعمل، وأَهْلُ البيت سكانه، وأهل الشيء أصحابه، وأهل الرجل أسرته . (انظر المعجم الوسيط ج ١ ص ٣١ و ٣٢ والمعجم الوجيز ص ومختار الصحاح ص ٢٧) .

(٣) أحيانًا تؤخذ الأسرة بمعني أوسع من العائلة، حيث يقصد بالعائلة أبناء الرجل وزوجته في بيت واحد، في حين يقصد بالأسرة أبناء الرجل وزوجته وأقاربه الذين يعيشون معه في بيت واحد . (انظر مختار الصحاح ص ١٦) .

(٤) العائلة مؤنث العائل وهي مجموعة من الأشخاص يعتمدون على شخص ما عادة الأب . وجذر العائلة عال وأعال يعيل إعالة، ويشتق منها عيال الرجل أي مَنْ يعول، وعال عياله أو أعال عياله أي كفاهم وقاتهم وأنفق عليهم، وأعال الرجل كثر عياله فأثقلوه . والعَوْل أي الاستعانة، وعوَّل الرجل عليه أي اعتمد عليه واتكل عليه، والعَوْل الاستعانة، أو هي قوت العيال . (انظر المعجم الوسيط ص ٦٦١ . ومختار الصحاح ص ٤٦٦) .

(٥) الراديكالي: [في علم الاجتماع] : مذهب سياسي يطالب بالإصلاح التام في إطار المجتمع القائم . " المعجم العربي الأساسي" .

(٦) كلمة *Commune* تعني علاقة حميمة ومشاعر مودة ومحبة بين شخصين أو أكثر، وتعني أيضًا الشيوعية وحلول الملكية الجماعية مكان الملكية الفردية، وتعني كذلك الحياة الجماعية المشتركة في مكان واحد، من أجل تبادل مصالح مشتركة وفق نظام خاص بهم (قاموس المورد) .

(٧) البرجوازية : طبقة نشأت في عصر النهضة الأوربية من الأشراف والزراع ، وأضحت دعامة النظام النيابي في المجتمع، ثم صارت في القرن التاسع عشر الطبقة التي تملك وسائل الإنتاج في النظام الرأسمالي . " المعجم العربي الأساسي" .

(٨) الأيديولوجيات: علم الأفكار وموضوعه دراسة الأفكار والمعاني وخصائها وقوانينها وأصولها . " المعجم العربي الأساسي" .

(٩) الأنثروبولوجي: العالم المتخصص بعلم الإنسان .

الفصل الثاني
أهداف الأسرة ووظائفها

الأسرة كأي جماعة اجتماعية لها أهداف تسعى إلى تحقيقها ووظائف تقوم بها ، وديناميكيات تحركها نحو أهدافها ، ومع هذا فإن جماعة الأسرة تختلف عن غيرها من الجماعات في علاقة أهدافها بأفرادها ووظائفها . فأهداف الجماعات غير الأسرة قد تكون لصالح أفرادها أو صالح غيرهم ، أما أهداف جماعة الأسرة فهي لصالح أفرادها، لأنهم المستفيدون منها . فالأسرة لهم وبهم . كما أن وظائف الجماعات غير الأسرة وسيلة لتحقيق أهداف الجماعة أو تحقيق أهداف أخرى ليست للجماعة ، أما وظائف الأسرة فهي أهداف لها ، ومن الصعب الفصل بين ما هو هدف ووظيفة في الأسرة ، ولكننا سنحاول إبراز أربعة أهداف رئيسة تدور حولها وظائف الأسرة جميعها . ونتناول في هذا الفصل أهداف الأسرة ووظائفها، ثم نعرج بعد ذلك إلى مناقشة قانون تناقص وظائف الأسرة وموقفه من وظائف الأسرة المسلمة، ثم نعرض للمسئوليات التي تقوم عليها وظائف الأسرة وإسهامات كل من الزوجين فيها.

أهداف الأسرة

الأسرة جماعة أو نظام اجتماعي لها أهداف سامية تسعى إلى تحقيقها من أجل الزوجين أو الوالدين والأبناء والأقارب ، ويتفق علماء الاجتماع العائلي وعلم النفس الأسرى على ثلاثة أهداف للأسرة التقليدية في كل المجتمعات تقريبًا نلخصها في الآتي :

١- تنمية أفراد الأسرة جميعهم من النواحي الجسمية والنفسية والاجتماعية والروحية .

٢- الإنجاب وتنشئة الأجيال، وحفظ المجتمع ونقل ثقافته من جيل إلى جيل .

٣- إعطاء الحياة معنى أو قيمة تجعلها جديرة بأن يعيشها الإنسان .

يضاف إلى هذه الأهداف هدف رابع خاص بالأسرة المسلمة، التي يسعى أفرادها إلى عبادة الله وتعمير الأرض من خلال تطبيق منهج الله في الزواج وبر الوالدين وصلة الرحم ورعاية الأبناء والأهل . ولا يتحقق هذا الهدف إلا في الأسرة المسلمة التي تنشأ وتتكون بتشريعات سماوية ، تجعلها ـ أي الأسرة ـ من الأعمال التعبدية التي يستفيد منها المسلم والمسلمة في الدنيا والآخرة . فقد جعل الإسلام " الزواج وبناء الأسرة " نصف الدين . فقال ﷺ إذا تزوج العبد فقد استكمل نصف دينه ، فليتق الله في النصف الآخر". وجعل الإنجاب وتربية الولد الصالح الذي يدعو لوالديه بعد مماتهما من الأعمال التعبدية، التي يستمر ثوابها بعد موت الوالدين ، وجعل بر الوالدين والإحسان إليهما مقترنًا بعبادة الله . قال تعالى: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ﴾ [الإسراء: ٢٣] وهذا يعني أن عبادة الله هدف أساسى من أهداف الأسرة المسلمة في الماضى والحاضر والمستقبل، ولا تبديل فيه ولا تغيير لأنه من عند الله .

وظائف الأسرة

وتحقق الأسرة أهدافها السابقة من خلال قيامها بوظائف عديدة، لا يستغنى عنها الفرد ولا الأسرة ولا المجتمع، وهذه الوظائف متداخلة ومترابطة ومن الصعب الفصل بينها إلا بغرض الدراسة والبحث . ومن أهم هذه الوظائف الآتى :

الوظيفة الأولى - إشباع حاجات أفراد الأسرة :

فكل أسرة مسئولة عن إشباع حاجات أفرادها الصغار والكبار . وهي حاجات كثيرة ومتنوعة يصعب حصرها ، لكن يمكن تصنيفها إلى حاجات: **وسيلية** (منها المسكن والمأكل والملبس والمشرب وغيرها من الحاجات التي تقوم عليها الحياة، فهي وسيلة لحفظ حياة الأفراد) **وتعبيرية**

أو نفسية (منها الأمن والمودة والمحبة والتراحم والمساندة والانتماء وغيرها من الحاجات التي يقوم عليها ترابط الأسرة وسعادة أفرادها) (Kaplan, 1962) . وسوف نصنفها في هذا الكتاب وفق أبعاد الإنسان : الجسمية والنفسية والاجتماعية والروحية على النحو الآتي:

أ - **الحاجات الجسمية أو العضوية** : وتشمل الحاجات التي ترتبط ببقاء الإنسان وحفظ نوعه، وتسهم في تنمية جسمه، وحمايته من الأمراض ومن الانقراض، وهذا يعني أن الحاجات الجسمية حاجات وسيلية من أجل حفظ حياة الإنسان وحفظ نوعه، فنحن نأكل لنعيش ولا نعيش لنأكل. ومن أهم هذه الحاجات : الحاجة إلى الطعام والماء، والحاجة إلى المأوى والملبس ، والحاجة إلى النوم والراحة ، والحاجة إلى الجنس والإنجاب والوالدية، والحاجة إلى النشاط والحركة وغيرها من الحاجات التي ترتبط بحياة الإنسان واستمرار وجوده.

ومن الملاحظ أن الحاجة إلى الجنس والإنجاب هي الحاجة الوحيدة التي لا يمكن أن يشبعها الإنسان من خارج الأسرة لاسيما في المجتمعات الإسلامية ، التي تحرم الزنا وتشجع على الزواج والإنجاب. أما الحاجات الجسمية الأخرى فيمكن إشباعها من خارج الأسرة، لكن يظل إشباعها في الأسرة أفضل بالنسبة لكثير من الناس، الذين يجدون في إشباعها في الأسرة مذاقًا خاصًا، لا يجدونه في إشباعها في أي مكان آخر خارج الأسرة (Duvall & Miller, 1985).

ب- **الحاجات النفسية** : وهي حاجات غير عضوية ترتبط بالنمو النفسي وتزكيه النفس، وتنميه الصحة النفسية والوقاية من الانحرافات السلوكية والاضطرابات النفسية، ومن أهم هذه الحاجات : الحاجة إلى الأمن والطمأنينة، والحاجة للإنجاز، والحاجة إلى الاعتماد على النفس ، والحاجة إلى الإحساس بالكفاءة والجدارة ، والحاجة إلى حب الاستطلاع ، والحاجة إلى التعلم واكتساب الخبرات، وغيرها من الحاجات المكتسبة في معظمها من خلال عملية التنشئة الاجتماعية في الأسرة .

وهـذه الحاجـات وإن كـان يمكـن إشـباعها في الأسرة وخارجهـا، إلا أن إشـباعها في الأسرة لـه تـأثير كبـير عـلى نمـو شخـصية الإنـسان، ونجاحـه في الحيـاة وسـعادته في الـدنيا ، أمـا حرمانـه مـن إشـباعها في الأسرة - ولاسـيما في مرحلـة الطفولـة - فلـه علاقـة قويـة بـالوهن النفـسى والخلـل في الشخـصية والانحرافـات الـسلوكية، والأمـراض الـسيكوسوماتية (عـوده ومرسـى ، ٢٠٠٠ ، . ومرسى ، ٢٠٠٣).

ج- **الحاجـات الاجتماعيـة** : وهـي كالحاجـات النفـسية حاجـات غـير عـضوية، هـدفها تنمية علاقـة الإنسان بـالآخرين ، والارتبـاط بهـم ، والانـتماء إلـيهم . وتـشمل الحاجـة لأن نُحِـب ونُحَـب، والحاجـة إلى الاستحـسان والتقـدير ، والحاجـة إلى الانـتماء وغيرهـا مـن الحاجـات التـي لا يـستطع الإنـسان إشـباعها إلا مـن خـلال تفاعلـه مـع الآخـرين ، وتوافقـه معهـم ، وحـصوله عـلى الاستحـسان مـنهم ، وشـعوره بالتقبـل مـنهم ، والرضـا عـنهم ، ولاسـيما الأشـخاص المهمـين في حياتـه، وهـم الوالـدان بالنـسبة للأبنـاء أو الـزوج بالنـسبة للزوجـة، أو الزوجـة بالنـسبة للـزوج ، أو الـرئيس بالنـسبة للمرءوس في العمل وغيرهم .

وهـذه الحاجـات وإن كـان الإنـسان يـستطيع إشـباعها مـن داخـل الأسرة ومن خارجهـا، فـإن إشباعها في الأسرة أفـضل للـصحة النفـسية والجـسمية مـن إشـباعها خارجهـا؛ لأن أفـراد أسرة الإنـسان هـم أهـم النـاس الـذين يحـرص على أن يحـبهم ويحبونـه، ويـسعد بالاستحـسان والتقـدير مـنهم ، ويعتـز بـالانتماء إلـيهم ، ويـسعى إلى الحـصول عـلى تقـبلهم ورضـاهم . وتـشير الدراسـات إلى ارتبـاط التوافـق النفـسي الحـسن وحـسن الخلـق ونـضج الشخـصية، والـسعادة في الحيـاة، والنجـاح في العمـل بإشـباع هـذه الحاجـات في الأسرة ، وارتبـاط الاضـطرابات النفـسية والانحرافـات الـسلوكية والأمـراض الـسيكوسوماتية

وغيرها من الانحرافات بالحرمان من إشباع هذه الحاجات في الأسرة، ولاسيما في مرحلتي الطفولة والمراهقة . فالأسرة هي أفضل مكان لإشباع الحاجات الاجتماعية ، ومَنْ حُرِمَ من الأسرة فلن يجدَ الإشباع الحقيقي لهذه الحاجات في أي جماعة أخرى.

د- **الحاجات الروحية** : وهي كالحاجات النفسية والاجتماعية حاجات غير عضوية، ترتبط بالبعد الروحي في الإنسان ، وتدفعه إلى عبادة الله من خلال الزواج ، وبناء الأسرة ، والإنجاب وتربية الولد الصالح ، وبر الوالدين وصلة الرحم . فكل مسلم في حاجة إلى الحصول على ثواب الله والفوز بالجنة من خلال الأسرة . ومن لم يتزوج وينشئ لنفسه أسرة وهو قادر على ذلك، فقد حرم نفسه من خير كثير في الدنيا والآخرة .

والأسرة ميدان واسع لتحقيق الغاية من خلق الإنسان في عبادة الله، وتعمير الأرض ، فالزواج - الذي شرعه الله لبناء الأسرة - نصف الدين . فقد قال الرسول ﷺ " إذا تزوج المسلم فقد استكمل نصف دينه فليتق الله في النصف الآخر" . وإنجاب الولد الصالح الذي يدعو لوالديه ، والإنفاق على الأسرة وبر الوالدين وصلة الرحم عبادة لله، فقد قال رسول الله ﷺ : "يا معشر المسلمين اتقوا الله وصلوا أرحامكم ، فإنه ليس من ثواب أسرع من صلة الرحم" (من حديث رواه أحمد)، وقال ﷺ أيضًا : " رغم أنفه ثم رغم أنفه، قيل مَنْ يا رسول الله ؟ قال " من أدرك والديه عند الكبر أو أحدهما ثم لم يدخل الجنة " (رواه مسلم). ورغم أنفه أي لصق بالتراب من الذل، وخسر خسرانًا كبيرًا، مَنْ أدرك والديه في الكبر ولم يقم برعايتهما وبرهمَا، حتى يدخل الجنة . فالمسلم يتزوج وينجب ويُكَوِّن الأسرة ويربي أبناءه ويرعى أهله ويبر والديه ، ويصل رحمه من أجل الثواب من الله وإشباع حاجاته الروحية.

الوظيفة الثانية - الإنجاب وتربية الأبناء :
The reproduction function:

وهـذه الوظيفـة مرتبطـة بالوظيفـة الأولى وهـي إشـباع حاجـات الأفـراد لأن الإنجـاب وتربيـة الأطفـال مـن الحاجـات الأساسـية عنـد الرجـل والمـرأة بعـد الـزواج ولاسـيما في المجتمعـات الإسـلامية ، التـي تحث عـلى الـزواج مـن أجـل الإنجـاب وتربيــة الأبنــاء الــصالحين ، فقــد قــال رســول الله ﷺ : « **تزوجــوا الودود الولود فانى مكـاثر بكـم الأمـم يـوم القيامة**» (رواه الإمـام أحمد). وهـذا مـا يجعـل المـسلمين يقبلـون عـلى الـزواج والإنجـاب وتربيـة الأولاد . فمـن دراسـة عـلى ١٢٠٠ طالـب وطالبـة بجامعـة الكويـت، أشـار ٩٥٪ مـن الطلبـة و٩٨٪ مـن الطالبـات إلى أن الـزواج والإنجـاب وتربيـة الأطفـال أمنيـتهم في الحياة (مرسى ، ١٩٩٥).

ومـع مـا تعرضـت لـه الأسرة مـن نقـد ومعـاداة في المجتمعـات الغربيـة لا يزال معظـم الـشباب يتمنـون الـزواج مـن أجـل بنـاء الأسرة والإنجـاب وتربيـة الأطفـال . ففـي دراسـة عـلى ١٦٥٢٤ شـابًا في الولايـات المتحـدة الأمريكيـة أشـار ٨٢٪ مـن البنـات و٧٤٪ مـن الأولاد إلى أن الـزواج وبنـاء الأسرة مـن أغـلى أمـانيهم في الحيـاة . وفي دراسـة أخـرى عـلى ١٩٢٢٤٨ شـابًا في الولايـات المتحـدة الأمريكيـة أيـضًا أشـار ٦٨٪ مـنهم إلى أن الـزواج والإنجـاب همـا أساس الاستقرار في الحياة الأسرية (Duvall & Miller, 1985) .

والتنـــشئة الاجتماعيـــة Socialization في الأسرة مرتبطـــة بوظيفـــة الإنجـاب، ولا يمكـن الفـصل بيـنهما فـإذا كـان الإنجـاب مرتبطًـا بخلـق الإنسان فإن التنـشئة مرتبطـة ببنائـه وتكوينـه النفـسى والجسمى، حيـث تتكـون شخـصية الإنـسان في مرحلـة الطفولـة ، وتـصقل في مرحلـة المراهقـة بتـأثير خـبرات التنـشئة الاجتماعيـة في الأسرة ، والتـي لا تعـدلها خـبرات في التـأثير على تكوينه النفـسى والجـسمى في مراحـل حياتـه جميعهـا . وبـات علـماء الـنفس مقتنعـين بدرجـة كبـيرة أن حرمـان الطفـل مـن التنـشئة الاجتماعيـة في أسرتـه

خسارة لا يمكن تعويضها من ناحية النمو النفسى والصحة النفسية، لعدم وجود مؤسسة اجتماعية أخرى، تستطيع القيام بالتنشئة الاجتماعية مثل الأسرة (Ingoldsly, 1995) .

وتأتى أهمية التنشئة الاجتماعية في الأسرة من حرص الوالدين على إكساب أبنائهما : الأدوار الاجتماعية وما هو متوقع منهم ومتوقع من الآخرين في ضوء العادات والتقاليد والقيم السائدة في المجتمع ، مما يسهم في حفظ ثقافة المجتمع . ونقلها من جيل إلى جيل ، ويساعد الأبناء على التوافق النفسى والاجتماعى في المجتمع، ولن يتحقق النضج النفسى والاجتماعى والانفعالى للأبناء إلا بالتنشئة الاجتماعية في الأسرة الصالحة (Duvall & Miller, 1985) (Muncie, et al., 2000) .

وقد حث الإسلام الأسرة المسلمة على القيام بوظيفتها في الإنجاب وتنشئة الأطفال، فقد جاء رجل إلى الرسول ﷺ فقال: وجدت امرأة ذات حُسْن وجمال وإنها لا تلد ، أفأتزوجها ؟ قال: لا. ثم أتاه الثانية فنهاه ، ثم أتاه الثالثة فقال : « **تزوجوا الودود الولود فأنى مكاثر بكم** » (رواه أبو داود والنسائى) . مما يعني أن المسلم يتزوج ويُكَوِّن الأسرة من أجل الإنجاب وتنشئة الأطفال، فالزواج في الإسلام وسيلة للإنجاب وتكوين الأسرة . ولا يمكن الفصل بين الزواج والإنجاب وتكوين الأسرة .

وقد أوجب الإسلام على الوالدين تنشئة أولادهما في الأسرة، وأعطاهما الولاية عليهم في النفس والمال والحضانة، والتي من مسئولياتها الرعاية والحماية والتأديب والتعليم حتى يرشدوا ، ويتزوجوا (أبو زهرة ، ب ت : ٢٥) فقال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ ﴾ [التحريم: ٦] وقال سيدنا على بن أبى طالب ﷺ في تفسير هذه الآية "علموهم وأدبوهم " وقال الحسن بن على ﷺ:"مروهم بطاعة الله وعلموهم الخير " (ابن القيم ، ب ت) وحث رسول الله ﷺ على تأديب الأولاد وتربيتهم فقال: " **ما نَحَلَ والد ولدًا أفضل**

من أدب حسن " (رواه الترمذي) وقال أيضا: " **مَنْ وُلد له ولد فليحسن اسمه وأدبه**".

وقد رغب الإسلام في تنشئة الأبناء من أجل تربية الولد الصالح (أو البنت الصالحة) لنفسه وأهله ومجتمعه ودينه ، وجعل هذا في ميزان حسنات الوالدين في الدنيا والآخرة ، فقال عليه الصلاة والسلام: «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له**» .

الوظيفة الثالثة - الرعاية والحماية والعلاج :

كل أسرة مسئولة عن رعاية أفرادها ولاسيما الصغار وكبار السن، فتوفر للصغار الرعاية والحماية حتى يكبروا ويرشدوا، ويحصلوا على عمل ويتزوجوا ويُكَوِّنُوا لهم أسرًا ، وتوفر لكبار السن من الأجداد والآباء والأقارب الحياة الإنسانية الكريمة التي ترحم ضعفهم ، وتشد من أزرهم ، وتحفظ كرامتهم، وتحميهم من اليأس والعجز والوحدة .

ومن الخطأ الاعتقاد أن الأسرة لرعاية الأطفال لأن أفراد الأسرة جميعهم في حاجة إلى الرعاية والحماية، التي تأتى في مقدمة اهتمامات الأسرة المسلمة ، فقد حث الإسلام الوالدين على رعاية أبنائهما، وأمر الأبناء برعاية آبائهم في الكبر ، وجعل النفقة على الأهل صدقة يثاب فاعلها. قال الرسول ﷺ « **دينار أنفقته في سبيل الله ، ودينار أنفقته في رقبة ، ودينار تصدقت به على مسكين ، ودينار أنفقته على أهلك ـ أعظمها أجرًا الذي أنفقته على أهلك** » (رواه مسلم). كما أمر ببر الوالدين، والإحسان إليهما . قال تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾ [الإسراء: ١٣، ١٤]. ويتضمن الإحسان إلى الوالدين رعايتهما وحمايتهما وعلاجهما وحسن معاملتهما.

ويتفق كثير من علماء النفس في العصر الحديث على أن رعاية الإنسان في أسرته من أهم عوامل تنمية صحته الجسمية والنفسية، ولاسيما في مرحلتى الطفولة والشيخوخة ، ودعوا إلى رعاية الأطفال وكبار السن في أسرهم ، وعدم إبعادهم عنها إلى دور الرعاية أو منتجعات المسنين إلا عند الضرورة، وعابوا على المجتمعات الغربية إهمالها لرعاية " كبار السن" في الأسرة ، وعدوا رعاية الأبناء لآبائهم في الأسرة " دَيْن على الأسرة " يدفعه الأبناء للآباء من أجل السلام الاجتماعى (Duvall & Miller, 1985, Pearsall, 1990) .

وتتضمن وظيفة الرعاية حماية أفراد الأسرة من الانحرافات والأمراض، وعلاج انحرافاتهم وأمراضهم، ومساعدتهم في التغلب على الأزمات والمشكلات، والاستفادة من الخدمات الوقائية والعلاجية التي تقدمها المستشفيات والمستوصفات والعيادات والمراكز الطبية والاجتماعية والنفسية والتربوية وغيرها من المؤسسات التي ينشئها المجتمع لمساعدة الأسرة في القيام بوظيفتها في " الرعاية والوقاية والعلاج" . ولا يعني وجود هذه المؤسسات أن الأسرة قد تخلت عن هذه الوظيفة للمستشفيات أو المستوصفات، لأن الأسرة تظل مسئولة عن ذهاب المريض إلى المستشفي ومتابعة العلاج حتى يتم الشفاء، أو يتغلب على الأزمات، ولا تتم رعاية المريض وعلاجه في المستشفى أو خارجها إلا بجهود أسرته في الرعاية والوقاية والعلاج.

الوظيفة الرابعة - التعليم :

ويقصد به تعليم الأبناء الخبرات والمهارات والمعلومات والمعارف، التي تُناسب قدرَاتهم وميولهم، وتناسب جيلهم وزمانهم، وتعدهم للحياة راشدين معتمدين على أنفسهم . ومع أن هذه الوظيفة هدف أساسي من أهداف التنشئة الاجتماعية في الأسرة إلا أننا نناقشها، ونعدها وظيفة

مستقلة لإبراز أهميتها، وأهمية الدور الذي تقوم به الأسرة في تعليم أبنائها في المدارس والجامعات ومراكز التدريب والتأهيل المهنى وغيرها .

فكل أسرة مسئولة عن تعليم أبنائها العلم النافع والعمل الصالح، حتى يكتسبوا المهارات والخبرات والمعلومات، التي تجعلهم مواطنين صالحين لأنفسهم ومجتمعهم وعقيدتهم ، فيحصلون على العمل ويتزوجون ويُكَوِّنون الأسرة، ويعيشون زمانهم مسلحين بالعلم والعمل والإيمان .

وعلى الأسرة أن تستفيد من المؤسسات التعليمية والمهنية المتخصصة، التي أنشأها المجتمع من أجل تعليم العلم النافع أو التدريب المهنى أو التأهيل الاجتماعى وغيرها ، فتلحق أبناءها بالمدارس والجامعات والمعاهد ومراكز التدريب ، وتتابعهم فيها ، وتساعدهم في التغلب على الصعوبات حتى يحققوا النجاح ، ويكتسبوا المعلومات والمهارات والخبرات التي تفيدهم في بناء شخصياتهم ، وفي التوافق مع الحياة ، وفي الحصول على عمل. ولا يعني قيام المدارس ومعاهد التدريب والجامعات بالتعليم أن الأسرة تنازلت لهذه المؤسسات عن وظيفتها في تعليم أبنائها؛ لأن الأسرة هي المسئول الأول عن اختيار التعليم المناسب لأبنائها ، ومتابعة تحصيلهم الدراسى ، وعلاج الصعوبات التي تواجههم . وبدون تعاون الأسرة مع المدرسة لا يتحقق النجاح في التعليم ، الذي له ثلاثة أبعاد ، هي: الطالب ، والمدرسة ، والأسرة . وتقع على الأسرة المسئولية الكبيرة في التعليم لأنها هي التي تدفع الطالب إلى التعلم، وتهيئ له الظروف المناسبة لذلك ، وتسعد بنجاحه وتحزن لفشله . وهذا ما يجعلنا نؤيد مَنْ يقولون أن وجود المدارس والجامعات والمعاهد لم يضعف من دور الأسرة في تعليم أبنائها ، بل زاد من مسئوليتها ، وجعل وظيفة التعليم من الوظائف الأساسية في الأسرة المعاصرة .

والوظيفة التعليمية The educational function من أهم وظائف الأسرة المسلمة؛ لأن الإسلام أمر بالعلم والتعلم والتعليم، وأمر ولي الأمر

في الأسرة بتعليم أولاده . (أبو زهرة ، ب ت: ٢٥) فقد قال رسول الله ﷺ : « **طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة** » . وقال: « **مَن سلك طريقًا التمس فيه علمًا سهل الله له به طريقًا إلى الجنة** » . (رواه مسلم) وقال: «**تعلموا العلم فإن تعلمه لله خشية، وطلبه عبادة ، ومذاكرته تسبيح ، والبحث عنه جهاد ، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة ومدارسته تعدل القيام ، به توصل الأرحام ، وبه يعرف الحلال من الحرام ، وهو إمام العمل** » (من حديث رواه ابن عبد البر) وهذا ما يجعل الأسرة المسلمة حريصة على تعليم أبنائها ، وحثهم على طلبه في أي مكان أو زمان . ويأثم الآباء والأمهات إذا أهملوا في تعليم أبنائهم، أو تقاعسوا عن إلحاقهم بالمدارس والمعاهد والجامعات وهم - أي الآباء - قادرون على ذلك ومسئولون أمام الله عن تعليم أبنائهم العلم النافع .

الوظيفة الخامسة - الوظيفة الدينية : Religious function :

ويقصد بها تعليم الدين للأبناء وعبادة الله في رعاية الأسرة . فقد جعل الإسلامُ الأسرةَ مكانًا لعبادةِ الله ، وحث على القيام بالواجبات الأسرية ابتغاء مرضاة الله تعالى ، فجعل الزواج الذي تقوم عليه الأسرة نصف الدين ، وجعل طاعة الزوجة لزوجها تعدل الجهاد في سبيل الله ، وجعل إنفاق الزوج على زوجته أفضل من الإنفاق في سبيل الله ، وجعل بر الوالدين وصلة الرحم من الأعمال التي توصل إلى الجنة ، وجعل تربية الولد الصالح من العبادات التي ترفع درجة الوالدين في الآخرة . قال رسول الله ﷺ : « **إن العبدَ لترفع له درجة فيقول: أي ربِّ أَنَّى لي هذا ، فيقول باستغفار ولدك لك من بعدك** » (رواه ابن ماجة) وقال: « **إذا ماتَ ابنُ آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له** » (رواه مسلم).

كما تقوم الأسرة بوظيفتها الدينية في المحافظة على دينها من خلال تعليمه لأبنائها، وتربيتهم عليه. قال عليه الصلاة والسلام: « **ما من مولود**

يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه » (رواه البخاري) . فالوالدان يعلمان أبناءهما معتقداتها الدينية في الطفولة والمراهقة، فينشأون على دين آبائهم . وهذه وظيفة أساسية للأسرة التي تدرب الصغار على العبادات والمعاملات ، وتشجعهم على التمسك بمعتقداتها ، وتنمي عندهم الوازع الديني وفق هذه المعتقدات . وإذا لم يتعلم الطفل دينه في الأسرة، فلن يجد مكانًا أفضل منها يعلمه إياه (Ingoldsly, 1995:87).

وقد حثَّ الإسلامُ الأسرةَ المسلمةَ على القيام بوظيفتها في التربية الدينية، فأمر الوالدين بتعليم أبنائهما العبادات والمعاملات الإسلامية حتى ينشأوا صالحين . فقال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ ﴾ [التحريم: ٦] وقال الرسول ﷺ: « **مُروا أولادَكم بالصلاةِ لسبع سنين ، واضربوهم عليها لعشر سنين ، وفرقوا بينهم في المضاجع** » (رواه البخاري) وقال : «**أدبوا أولادكم على ثلاث خصال : حب نبيكم ، وحب آل بيته ، وتلاوة القرآن . فإنَّ حملةَ القرآن في ظل عرش الله يوم لا ظل إلا ظله مع أنبيائه وأصفيائه** » (رواه الطبراني) .

وتستعينُ الأسرةُ في القيام بوظيفتها الدينية بالمساجد ومراكز تحفيظ القرآن، وحضور جلسات العلم والذكر، وسؤال العلماء . فالأسرة مسئولية عن استفادة أفرادها من المؤسسات الدينية في المجتمع، لتعريفهم بأمور دينهم، وتنشئتهم على الإسلام ومبادئه ومعتقداته، ولا يمكن أن تتخلى الأسرة المسلمة عن هذه الوظيفة لا في الحاضر، ولا في المستقبل، ما دامت - أي الأسرة - تؤمن بالله ربًا وبمحمد رسولًا وبالإسلام دينًا ، لأن الأسرة المسلمة يحكمُها تشريع سماوي ثابت، يجعلُ الوظيفة الدينية في مقدمة مسئولياتها نحو أفرادها .

الوظيفة السادسة - العمل في كسب الرزق :

ويقصدُ به عمل أفراد الأسرة القادرين على العمل في كسب أرزاقهم :

وهي وظيفة وسيلية تهدف إلى توظيف قدرات وإمكانات أفراد الأسرة في العمل والإنتاج، من أجل كسب الرزق والإنفاق على معيشة الأسرة وتوفير حاجات أفرادها . فالأسرة مصدر العمالة في المجتمع وكل عامل أو موظف له أسرة يعمل من أجلها ، ولا يمكن أن تتخلى الأسرة عن هذه الوظيفة .

وتعتمد الأسرة عادة في كسب رزقها على ممتلكات الزوج أو الأب وجهوده في العمل خارج البيت . فالزوج أو الأب هو مصدر الإعالة والسلطة في الأسرة (Feldman, 1982; Click, 1989) لاسيما الأسرة المسلمة التي يتحملُ فيها الرجلُ مسئوليةَ الإنفاق حتى ولو كانت المرأة ذات مال أو تعمل خارج البيت . فالكسب والإنفاق على معيشةِ الأسرة من مسئوليات الرجل الذي أوجب الإسلام عليه مسئوليات القوامة والإنفاق. قال تعالى: ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ﴾ [النساء: ٣٤] . وقال أيضًا: ﴿ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة:٢٣٣] أي على الزوج أو الأب أن ينفق على زوجته وأولاده بقدر استطاعته .

وتتعاون الزوجة مع الزوج في كسب الرزق والإنفاق على الأسرة بجهدها في الأعمال المنزلية ورعاية الأبناء والزوج، وبمالها إن كانت ذات مال وبراتبها إن كانت تعمل خارج البيت ، وبتدبير مصادر الدخل والإنفاق في الأسرة، فدور الزوجة كبير في الكسب والإنفاق وتصريف أمور الأسرة المالية .

كما يتعاون باقي أفراد الأسرة القادرين على العمل والكسب في الإنفاق وتوفير حاجات المعيشة ، ورفع مستواها ، وتحقيق الأمن الاقتصادى للأفراد الصغار والكبار جميعهم ، حيث تمتد مسئولية الأسرة في الإنفاق على أبنائها من الطفولة والمراهقة حتى يتأهلوا للعمل والزواج ، وفي بعض الحالات يستمر إنفاق الوالدين على أبنائهما حتى بعد الزواج ، وفي حالات

أخـرى قـد يتحمـل الأبنـاء في سـن مبكـر مسئولية الإنفـاق عـلى والـديهم وأقاربهم في الكبر والعجز عن العمل وعند الحاجة والعوز.

وقـد أمـر الإسـلام الرجـال بالإنفـاق عـلى الأسرة، وجعلـه جهـادًا في سـبيل الله . فقـد مـر رسـول الله ﷺ عـلى رجـل ، فـرأي الـصحابة مـن قوتـه وجلـده . فقـالوا : يـا رسـول الله ، لـو كـان هـذا في سـبيل الله . فقـال ﷺ : إن كـان خـرجَ يـسعى عـلى ولـدة صـغار فهـو في سـبيل الله، وإن كـان خـرج يـسعى عـلى أبـوين شيخين كبيرين فهو في سـبيل الله، وإن كـان خـرجَ يـسعى عـلى نفـسِه يَعِفُّهـا فهـو في سـبيل الله، وإن كـان خـرج يـسعى ريـاءً ومفـاخرةً فهـو في سـبيل الـشيطان " (رواه البخارى) .

وتعـد الوظيفـة الاقتـصادية لـلأسرة هامـة بالنـسبة للفـرد والأسرة والمجتمـع، حيـث يعمـل الفـرد القـادر عـلى العمـل ليـشبع حاجتـه للإنجـاز والنجـاح والتفـوق والـشعور بالكفـاءة، ويعـول نفـسه وينفـق عـلى أسرتـه، ويـسهم في تنميـة اقتـصاديات المجتمـع . وهـذا يعنـي أن الوظيفـة الاقتـصادية لـلأسرة لا تـزال قويـة ولم تـضعف ولـن تـضعف ؛ لأن الأسرة تربـى الأجيـال التي تبنـى المجتمـع ، وتنمـى اقتـصاده . ويخطـئ مَـنْ يعتقـد أن الأسرةَ المعـاصرة قـد فقـدت وظيفتهـا الاقتـصادية؛ لأنهـا ـ كـما يقولـون ـ لم تعـد وحـدة إنتاجيـة، وأصبحت وحدة اسـتهلاكية . فـالأسرة عـلى مـرِّ العـصور وحـدة إنتاجيـة سـواء لحسابها أو لحساب غيرها.

الوظيفة السابعة - الترويح وشغل أوقات الفراغ :

ويقصد به الترويح عن أفراد الأسرة حيث تنقسم الأنشطة في الأسرة إلى قسمينِ: أنشطة وسيلية Instrumental activities لكسب الرزق والتعليم وأداء الواجبات التي يقوم بها الإنسان ، سواء رضي بها أو لم يرضَ ، وأنشطة تعبيرية Expressive activities يقوم بها الإنسان بإرادته واختياره ، للتعبير عن نفسه ومشاعره وميوله ، ويؤديها للترويح عن نفسِه والمرح والراحة والاسترخاء وإبعاد

الملل (مرسى ، ٢٠٠٠ : ١٦٧).

ولا تَقِلُّ وظيفةُ الترويح Recreational function في الأهمية عن وظيفة التعليم؛ لأن الترويحَ عن النفس ضروري في عملية التنشئة الاجتماعية وبناء الشخصية واكتساب السلوك المقبول ، وتنمية المهارات والميول ، وإبعاد الملل عن النفوس، وتجديد النشاط والحيوية . فالنفس تسأم بطول الجد ، والقلوب تمل كما تمل الأبدان ، ولا بد من الترويح والترفيه المباح في الأسرة (مرسى : ٢٠٠٠ : ١٦٨).

وقد دعا الإسلام إلى الترويح عن أفراد الأسرة، فعن عائشة (رضي الله عنها) قالت: كنت ألعب بالبنات (أي العرائس) ، وكان النبي يأتي بصواحبي يلعبن معي، وكان يقول: ليعلم اليهود أن في ديننا فسحة . إني بعثت بحنفية سمحة " (رواه أحمد) ودعا الرسول ﷺ إلى الترويح عن النفس لإزالة الهموم والتوتر والملل فقال ﷺ: « **ما على أحدكم إذا ألح به همه أن يتقلد قوسه فينفي به همه**» (رواه الطبراني) أي يمارس رياضة القوس حتى يزيل همومه.

ويتضمن الترويح المباح في الأسرة المرح بالمزاح البريء ، والحركات الظريفة ، والمداعبات اللطيفة والنكات المهذبة ، والابتسامات المتبادلة ، والضحك في أنشطة مرحة ، يمارسها أفراد الأسرة معًا في جلسات عائلية . فالمرح في الأسرة ضروري للصحة والسلامة وتنمية العلاقات الاجتماعية ، ويكوِّن مع التغذية الجيدة والهدوء ثلاث ركائز هامة للصحة العامة في الأسرة (مرسى ، ٢٠٠٠ : ١٦٩).

كما يتضمنُ الترويحُ المباحُ في الأسرةِ الاشتراك في الأنشطةِ الرياضية والثقافية والحفلات والرحلات والندوات والزيارات وممارسة الهوايات والذهاب إلى الحدائق والشواطئ والأندية ، وعلى الأسرة أن تنظم أنشطة الترويح ، وتستفيد من مراكزها الجادة ، وتحمي أفرادها من مراكز الترويح السيئة ، ومن قرناء السوء الذين يلهون في أنشطة محرمة أو أنشطة تافهة .

الوظيفة الثامنة - حفظ الأخلاق في المجتمع :

ويقصد به تعليم الأبناء الأخلاق الفاضلة ، وتوفير وسيلة مشروعة للإشباع الجنسي، تحفظ كرامة الرجل والمرأة، وتحمي المجتمع من الفساد. فكل أسرة مسئولة عن تربية أبنائها على الأخلاق الحسنة، والتحلي بالقيم الفاضلة ، واكتساب السلوك المقبول اجتماعيًا. وتعد هذه الوظيفة من أهم الوظائف التي تؤديها الأسرة للمجتمع ، فالأخلاق هي أساسُ الحياةِ الاجتماعية . وقد وصفَ الإسلامُ الأمةَ الإسلامية بأنها خير أمه أخرجت للناس، بسبب حفظ الأخلاق في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ومعاملة الناس بخلق حسن . فقال تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١١٠] .

وانتشر الإسلام في كثير من المجتمعات الأسيوية والأفريقية بسبب الأخلاق التي نشأ التجار المسلمون عليها في أسرهم المسلمة ، ومعاملتهم الناس في هذه المجتمعات بخُلُق حسن . وقد عبر أحمد شوقى عن دور الأخلاق في بناء المجتمع فقال : **إنما الأمم الأخلاق ما بقيت .: فإن همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا .**

وقد أرجع كثيرٌ من علماء النفس الحديث مشكلات المجتمعات الغربية إلى تدهور الأخلاق فيها ، بسبب تدهور الحياة الأسرية والتمرد على الزواج وتناقص دور الأسرة في هذه المجتمعات ، ولن يحميَها من هذا السمِّ القاتل إلا إذا عادت الأسرة إلى مجدها الذي فقدته، وقامت بوظيفتها الأخلاقية . فالأخلاق لا تربى إلا في الأسرة التي تقوم على الزواج الشرعى (Fletcher, 1988:5).

ويستفيد الفرد والأسرة من حفظ الأخلاق في المجتمع ، لأن الفرد حَسَنُ الأخلاقِ نشأَ في أسرةٍ تصونُ الأخلاقَ الفاضلةَ ، وَتَعلَّم منها حُسْن الخلق، الذي يجعله في أمن وسلام مع نفسِه والناسُ، ومتمتعًا بصحة نفسية. فهو ـ كما يقولُ الإمام أبو حامد الغزالى: " يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، ويكرم ضيفه ، ويحفظ جاره، ولا يؤذى أحدًا ، ولا يروع الناس ، ولا يُفْشِي على أخيه ما يكره ، ولا يخشى

في الله لومة لائم ، يقول الحق ولو على نفسه أو الوالدين والأقربين ، يحب العمل ويخلص فيما بينه وبين الله، وفيما بينه وبين الناس ، (الغزالى ، ١٩٦٧ : ٦٩).

وتقوم الأسرة بوظيفتها الأخلاقية من خلال ضبط سلوك أبنائها، وتعليمهم الصح والخطأ، والحلال والحرام ، والخير والشر ، وحثهم على الخير والحلال والصواب ، ومنعهم من الشر والحرام والخطأ ، وتهيئة الظروف المناسبة لاكتساب السلوك المقبول وتنمية الأخلاق الحسنة ، وتنمية القيم والاتجاهات الإيجابية نحو الخير فيقبلون عليه ، وتنمية الاتجاهات السلبية نحو الشرِّ فيبتعدون عنه، وينفرونَ منه (Duvall & Miller, 1985:9).

وتستخدمُ الأسرةُ في القيام بوظيفتها الأخلاقية أساليب الثواب والعقاب والقدوة الحسنة والتبصير، والإقناع بفوائدِ الخير وأضرار الشر . فكلُّ أسرةٍ تشجِّعُ وتمدح وتثني وتأمر بالفضائلِ والإكثار منها ، وتؤنب وتنهي وتعاقب على القبائح وتحث على الابتعادِ عنها.

وإذا فشلت الأسرةُ في تعليمِ أبنائها الصحَّ والخطأ والأخلاق الفاضلة والحلال والحرام ، فمن الصعبِ أن يتعلموها في أيِّ مكان آخر بنفس الكفاءة التي تتحقَّقُ بتعلمِها في الأسرةِ . فخبرات الثواب والعقاب والقدوة الحسنة التي يتعرضُ لها الطفلُ في الأسرةِ تشكل ضميره ، وتنمي قيمه التي تحكم سلوكه وتضبط انفعالاته ، وتدفعه إلى احترام الآخرين ومشاعرهم وفِكرهم وممتلكاتهم (Andeline, 1981, Duvall & Miller, 1985).

والوظيفة الأخلاقية من أهم وظائف الأسرة المسلمة فقد عظم الإسلام حسن الخلق ودعا إليه. فقال الله تعالى في الثناء على الرسول: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم: ٤] وربط الرسول ﷺ بين الإيمان وحسن الخلق فقال: « **أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم أخلاقًا وخياركم خياركم لنسائهم** » (رواه الترمذى) . وأمر ﷺ المسلمين بتأديب أبنائهم وتعويدهم على حسن الخلق، فقال " أكرموا أولادكم وأحسنوا أدبهم، فإن أولادكم هدية لكم" (رواه ابن ماجه) .

وهذا ما يجعل الوظيفة الأخلاقية في مقدمة اهتمامات الأسرة المسلمة في الماضى والحاضر والمستقبل ، ويجعلنا مقتنعين بأن حفظ الأخلاق من أهم المسئوليات التي تقوم بها الأسرة . ويتفق معنا الكثير من علماء النفس والاجتماع في الغرب ، فهذا أوجست كومت يدعو إلى جعل الوظيفة الأخلاقية في مقدمة وظائف الأسرة ، ويربط إدوارد روجرز مشكلات المجتمع الغربى بتدهور الأخلاق ، التي ترتبط بتدهور الأسرة المعاصرة في الغرب (Fletcher, 1985)

كما تقوم الأسرة بوظيفتها في حفظ الأخلاق في المجتمع من خلال الزواج الرسمى، الذي يجعل الممارسة الجنسية بين الزوجين ممارسة مشروعة تؤلف بينهما ، وتحقق لهما الإشباع الجنسى العفيف، الذي يحميهما من الانحراف ، ويحمى المجتمع من الرذيلة، ومن مشكلات اجتماعية وصحية ونفسية كثيرة ، تسببها ممارسة الجنس بدون زواج . لذا حث الإسلام على الزواج وحرم التبتل والزهد في الزواج أو الانصراف عنه، فقال رسول الله ﷺ : « **يا معشر الشباب ، من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج** » (من حديث رواه الجماعة). وقد أدركَ كثير من علماء النفس والاجتماع دور الزواج في حفظ الأخلاق، فأشار أوجست كومت إلى أن الزواج استعداد فطرى عند الرجل والمرأة ، وأساس بناء الأسرة والمجتمع ، وأي عامل يُضعف هذا النظام أو يقلل من شأنه، فهو عامل هدم وتخريب في المجتمع لأن فيه فساد الأخلاق .

الوظيفة التاسعة - المساندة الاجتماعية الأسرية
Family Social Support

ويقصدُ بها مساندة الأسرة لأفرادها، وتوفير الأمن والمودة والحب، واستمرار مشاعر الصداقة مدة طويلة . فالحياة الأسرية مصدر الحب والصحبة الطيبة والمشاعر الصادقة في مواقف السراء والضراء ، ففي السراءِ تشاركُ الأسرةُ الفرد أفراحه، فيزداد فرحًا وسرورًا ، وفي الضراء يواسونه، ويخففون عنه، فيزداد صبرًا وتحملًا، مما يجعل المساندة وظيفة أساسية في تنمية الصحة النفسية وفي الوقاية من الانحرافات النفسية .

والمساندة الأسرية أقوى مساندة اجتماعية يحصل عليها الإنسان في مواقف السراء والضراء؛ لأن أهل الفرد يعدون أفراحه أفراحًا لهم ، وإحباطاته ومصائبه وأزماته مصائب وأزمات قد حلت بهم جميعًا ، مما يجعل مساندتهم له مساندة صادقة نموذجية لا مثيل لها ، لا يحصل عليها من أية جماعة أخرى.

وتقوم المساندة الأسرية على الحب والتضحية والإخلاص في تقديم المساعدة من غير شروط وبدون مقابل ، وتجعل الأسرة كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له باقي الأعضاء بالسهر والحمى ، أو كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضًا . فالأسرة هي المكان الذي يشعرُ فيه الإنسان بالحبِّ المتبادل والمساندة الصادقة من أهله وأقاربه (Duvall & Miller, 1985:9)

وتحرِصُ كلُّ أسرة لاسيما الأسرة المسلمة على مساندة أفرادها ومعاونتهم في السراء والضراء، فقد حث الإسلام على هذه الوظيفة، فجعل الزوج لباسًا لزوجته، والزوجة لباسًا لزوجها، فقال تعالى: ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ﴾ [البقرة: ١٨٧]، وأقام الزواج على المودة والرحمة والسكن، فقال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ [الروم: ٢١] .

كما حث الإسلام الآباء على مساندة أبنائهم ، وحث الأبناء على مساندة آبائهم وحث أولي الأرحام على مساندة بعضهم بعضًا ، فقال تعالى للآباء : ﴿ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾ [التحريم: ٦] وقال تعالى للأبناء : ﴿ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [الإسراء: ٢٣]. وقال تعالى لأولى الأرحام : ﴿ وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ﴾ [الأنفال: ٧٥] .

وتقدم الأسرة (المساندة الاجتماعية) بأربعة أشكال رئيسية نلخصها في الآتي :

١ - المساندة الوجدانية **Emotional Support**: وهي مساندة نفسية يحصل

عليها الفرد من أسرته، من خلال إدراكه لمشاركة والديه وإخوانه وأهله له أفراحه وأحزانه، وتعاطفهم معه وإحساسهم بمشاعره في الفرح والحزن ، ووقوفهم معه واهتمامهم بأمره، فيزداد ثقة بنفسه وبأهله ، ويزداد فرحًا في السراء ويزداد صبرًا وتحملًا في الضراء بوجود أهله من حوله . فالأسرة هي المكان الذي يشعر فيه كل إنسان بالأمن والطمأنينة والتقبل من أهله (Duvall & Miller, 1985:9).

٢- المساندة المعنوية Appraisal support:وهي مساندة نفسية أيضًا يجدها الفرد من أفراد أسرته في كلمات التهانى والثناء والمديح التي يسمعها منهم في مواقف السراء، وعبارات المواساة والشفقة والتشجيع والدعاء له في مواقف الضراء. حيث يلمس في تهانى أهله له الاستحسان والتقدير والتقبل والاعتزاز ، ويجد في مواساتهم له التخفيف من مشاعر التوتر والقلق والذنب مما يساعده على التفاؤل والرضا بقضاء الله ، ويخرج من التأزم بسلام ، وتذهب عنه أعراض ما بعد الصدمة PTSD دون أن تؤثرَ فيه نفسيًا وجسميًا.

٣- المساندة التبصيرية Information support:وهي مساندة نفسية تقوم على تقديم النصيحة والإرشاد ، وتقديم المعلومات التي تساعد الفرد على فهم الموقف بموضوعية وواقعية ، وتجعله على بصيرة بعوامل الفشل أو النجاح ، فيزداد قدرة على مواصلة النجاح ، ويقوى على مواجهةِ الإحباط وحل الصراع ، لأنَّ نصيحةَ الأهل صادقة ولا تنقص من قدره شيئًا ، فيقبلها بصدر رحب ونفس راضية .

٤- المساندة المادية أو العملية Instrumental support:وهي مساندة عينية تقوم الأسرة بها لأفرادها ، فتساعدهم بالمال والجهد والوقت في مواقف السراء والضراء . ومن المساندات المادية الشائعة في مجتمعاتنا الإسلامية مساندة الأسرة لأبنائها في الزواج، فيدفع الأب المهر لابنه ، وقد يشترى له الشقة أو البيت ، وقد تقدم الأم بعض مجوهراتها لأبنتها في زواجها ، ناهيك عن الجهد والوقت والمال التي يبذلها أفراد الأسرة جميعهم في الإعداد للفرح واستقبال المهنئين، فالفرح فرح الأسرة كلها .

ومن هذه المساندات أيضًا دفع الابن نفقات الحج لوالديه ، وفرحهما بالحج على نفقة ابنهما ، ودفع الأخ ديون أخيه المعسر ليقيل عثرته ويأخذ بيده ، ومساعدة الزوجة لزوجها بمالها وجهدها في وقت الشدة ، وإنفاق الأخ على أخته المطلقة أو الأرملة وأولادها وكأنهم أولاده . فهذه المساندات لا تقدم إلا في الأسرة ، ولا تقبل إلا من الأهل ؛ لأن الناس تعارفوا على مساعدة الأخ لأخيه وقت الشدة .

الوظيفة العاشرة - تحديد المكانة الاجتماعية وإعطاء الحياة معنى أو قيمة :

ويقصد بها اكتساب الفرد مكانته الاجتماعية من مكانة الأسرة، التي ينشأ فيها في الطفولة والمراهقة ، ومن مكانة الأسرة التي يُنْشئها لنفسه، ويعيشُ من أجلها في مرحلتي الرشد والشيخوخة . فكل طفل أو مراهق يكتسب مكانته الاجتماعية من مكانة أسرته الاجتماعية والثقافية والاقتصادية ، ويسعدُ بانتمائه إليها ، وينعم بالأمن والأمان مع والديه وإخوانه وأهله . أما الراشد فيستمد مكانته الاجتماعية من مكانة الأسرة التي يُكَوِّنها لنفسه، ويتحمل مسئولية رعايتها وإعالتها . فعندما يتزوج الرجل أو المرأة ويكون أسرة، ترتفع مكانته الاجتماعية في المجتمع ، لأن كل مجتمع مسلم أو غير مسلم، يتوقع من أبنائه عندما يرشدون تحقيق ستة إنجازات أو أهداف رئيسة هي : العمل وكسب الرزق والزواج وتكوين الأسرة والإنجاب وتربية الأبناء . ومن يحقق هذه التوقعات يحظى باحترام المجتمع، وتقديره بقدر أفضل مما يحظى به قرينه، الذي لا عمل له أو لا زوجة أو لا أسرة له .

كما أن انتماء الإنسان لأسرة يعطى حياته معنى وقيمة، لا يجدها في غير الأسرة. فحبُّ الأهل له وحرصهم عليه يجعله يدرك أن له قيمة وأهمية ، فيحب نفسه ويحترمها ، ويعطيها القيمة نفسها التي وجدها في حب أهله له . وإذا أحب الإنسان نفسه، يُحب أهله مصدر حبه لنفسه، ويحرص عليهم ، ويدرك قيمتهم وأهميتهم في حياته ، ويعمم هذا الحب على الآخرين فينشأ آلفًا ومألوفًا من الناس في المجتمع.

ومن خلال إدراك الإنسان لقيمة نفسه وقيمة أهله يجد لحياته معنى ، ولسعيه في الدنيا أهمية ، ويدفعه إلى الجد والاجتهاد وتحمل المشاق ، والصبر في الضراء والشكر

في السراء . وهذا ما نجده في مراحل حياة الإنسان جميعها، فالطفل أو المراهق الذي ينتمي إلى أسرة يحب أفرادها ويحبونه، يجد لحياته معنى وأهمية عند أهله ، فيحافظ على نفسه ، ويجتهد في الدراسة لإرضاءِ ربِّه ونفسه وأهله ، ويجد في النجاح كفاءة في النفس واستحسانًا من الأهل . وهذا ما يجعل لحياته هدفًا ولاجتهاده قيمةً، لا يجدها الطفل أو المراهق الذي حُرم نعمة الحياة الأسرية ولم يجد الأهل الذين يحبهم ويحبونه، ويقدرهم ويقدرونه (Duvall & Miller, 1985:9).

والراشد الذي له أسرة وزوجة وأولاد يعيشُ من أجلهم ويسعد بصحبتهم ، ويفرح بوجودهم حوله ، ويستمتع بأولاده وهم يكبرون ويرشدون ، يجد فيهم هدفًا متجددًا لحياته ، يسعى من أجله ، ويعطى لحياته معنى أو قيمة لا يحصلُ عليهما الراشد الذي لا زوجة له ولا أولاد، فيشعر بالوحدة ويتعرض للاكتئاب والاضطرابات النفسية ، وتزداد حالته سوءًا كلما تقدم في السن وحيدًا ضعيفًا لا سند له ولا أنيس(Duvall & Miller, 1985) .

فوظيفة الأسرة في " تحديد المكانة الاجتماعية لأفرادها وإعطاء حياتهم معنى أو قيمة " من أهم الوظائف التي تسهم في تنمية الصحة النفسية للفرد، وتحميه من الانحراف والاضطراب النفسي . فالفرد الذي يجد هدفًا لنفسه يعيش من أجله يدرك قيمة حياته ، ويجد لسعيه معنى ، فيحافظ على حياته، ويجتهد في تزكية نفسه ، والارتقاء بها ، وحمايتها من الانحراف ، لأن الحياة جديرة بأن يعيشها ، ويعمل من أجلها . فالأسرة هدفه والأولاد زينة الحياة الدنيا . قال تعالى : ﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ [الكهف: ٤٦] .

أما مَن ليس له أسرة ينتمى إليها أو يعولها ، فإنه يعيش في ضياع وقلق لعدم وجود هدف له، يستحق أن يعيشَ من أجله ، فلا يحرص على تزكية نفسه وقد يُلْقى بها إلى التهلكة في الإجرام أو الإدمان أو الاضطراب ، لأنه يعيش حالة نفسية يسميها فرانكل F. Frankle " الفراغ النفسى " أو قلق الوجود " يختل معها تفكير الفرد ومشاعره نحو نفسه والناس، ويعيش في يأس وضياع وسخط وتشاؤم ، وقد

يدفعه عدم وجود هدف إلى الانحراف أو إلى العبث واللهو التافه أو الفاسد أو إلى الجنون والإدمان والاضطراب النفسى (مرسى ، ٢٠٠٠ : ١٣٢) لأنه يعيش بلا هدف، ولا يجد لحياته قيمة عندَ نفسِه ولا عند الآخرين.

وتزدادُ أهمية " وظيفة إعطاء المكانة الاجتماعية ومعنى الحياة " في الأسرة المسلمة لأن الزواجَ في الإسلام عبادة لله . فقال رسول الله ﷺ « **إذا تزوج العبد فقد استكمل نصف دينه فليتق الله في النصف الآخر** » (رواه البيهقى). وقد حث الإسلام على الزواج وتكوين الأسرة، وحرَّم الانصراف عنه مع القدرة عليه، لأن الزواج من سنن الإسلام المؤكدة . فقد قال رسول الله ﷺ لعكاف بن وداعه الهلالى : « **ألك زوجة يا عكاف**؟ قال : لا . قال عليه السلام : **ولا جارية** ؟ قال : ولا جارية . قال: **وأنت صحيح موسر** ؟ قال : نعم والحمد لله . قال عليه السلام : **فأنت إذن من إخوان الشياطين . إما أن تكون من رهبان النصارى فأنت منهم ، وإما أن تكون منا فاصنع كما نصنع وإن من سنتنا النكاح ، وشراركم عزابكم وأراذل موتاكم عزابكم ، ويحك تزوج يا عكاف**» (رواه أبى يعلى).

فالزواجُ في الإسلامِ خيرُ متاع الدنيا بعدَ تقوى الله، فقد قال رسول الله ﷺ : «**الدنيا متاعٌ وخيرُ متاعِ الدنيا المرأة الصالحة**» (رواه مسلم) وقال : « **ما استفاد المؤمن بعدَ تقوى الله عزَّ وجلَّ خيرًا من زوجة صالحة إن أمرها أطاعته وإن نظرَ إليها سرته وإن أقسمَ عليها أبرته وإن غابَ عنها حفظته في نفسها وماله** » (رواه ابن ماجة)

ولمكانةِ الزواج والأسرة والإنجاب في حياةِ المسلم والمسلمة كان دعاء عباد الرحمن: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧] فبالزواج والإنجاب تقر عينا كل من الزوجين بالزوج الآخر وبالأبناء الذين يجعلون للحياة قيمة أو معنى .

ويتفق الكثير من علماء النفس والاجتماع العائلى على أن تحديد مكانة الفرد الاجتماعية وإعطاء حياته معنى أو قيمة من أهم وظائف الأسر في تنمية الصحة النفسية والرضا بالحياة (Duvall & Miller, 1985) والاستمتاع بها . وهي متع لا

يجدها الإنسان إلا مع الزوجة والأبناء والأهل والأقارب . فالأسرة هي العش الذي يجد فيه الطفل الأمن والأمان ، ويجد فيه الرجل الراحة من عناء العمل ، وتجد فيه المرأة تحقيق ذاتها في رعاية أطفالها والعناية بزوجها وبيتها (Shorter, 1977:272) . والأسرة هي التي تحمي فردية الإنسان من الضياع في المجتمع، ويجد فيها من يتحمله بعيوبه، ويشاركه أفراحه وأحزانه بصدق وأمانة ويساعده بدون شروط (Dallos & Sopsford, 2000).

وقد أيدت دراسات عديدة أهمية هذه الوظيفة بالنسبة للأطفال والمراهقين والراشدين وكبار السن، فأشارت نتائجها إلى تفوق الأطفال والمراهقين الذين ينتمون إلى أسرٍ مستقرة على أقرانهم الذين حرموا من الحياةِ الأسريةِ في الذكاء العام والاجتماعى والانفعالى، وفي الدراسة والرضا عن الحياةِ والناس ، كما أشارت إلى أن المتزوجين أفضل من غير المتزوجين في الصحةِ النفسية والجسمية والتوافق الاجتماعى ، حيث كان المتزوجون أطول أعمارًا وأكثر تفاؤلا ورضا بالحياة ، واجتهادا في العمل ورغبة في النجاح والتفوق ، في حين كانت معدلات الإصابة بالأمراض والحوادث والانحرافات النفسية والإدمان والانتحار والمشكلات السلوكية والاجتماعية عند غير المتزوجين أعلى منها عند المتزوجين أصحاب الأسر (مرسى ، ٢٠٠٣).

وقد أرجع علماء النفس هذه النتائج إلى ما يحققه الانتماء إلى الأسرة في الطفولة والمراهقة من قيمة ومكانة اجتماعية للطفل والمراهق، تجعل لحياته معنى وأهدافا يسعده إنجازها ، وإلى ما يُحققه الشعور بالمسئولية عن الأسرة في الرشد والشيخوخة من قيمة ومكانة اجتماعية للراشد وكبير السن ، يجدها في صحبة ومساندة ومودة الزوجة والأبناء والأحفاد ، وهي مشاعر ممتعة وجميلة يُحرم منها غير المتزوجين ، الذين فرطوا في الزواج ، وضيعوا الأسرة، ففقدوا معنى الحياة وقيمتها ، وضل سعيهم في الحياة، وعاشوا بلا هدف (مرسى ، ٢٠٠٣ ، مرسى ، ٢٠٠٠) فالأسرة ـ كما قال جيمس كالاغان G.Callaghan عضو حزب العمال البريطانى في

السبعينات من القرن العشرين ـ الأسرة أهم مؤسسة اجتماعية في بريطانيا ، توفر لنا الأمن والأمان والحياة الطيبة المستقرة، وعلينا أن نعيدها إلى مكانتها في المجتمع ونقوى دعائمها لاسيما الأسرة الأبوية (Muncie & Wetherell, 2000:63).

تناقص وظائف الأسرة

أشار إميل دوركايم E. Durkeim في قانون تقلص وظائف الأسرة Contraction law إلى أن الأسرة من المنظور التاريخى تسير في الاتجاه الخطى إلى الوراء، حيث تسير حياتها من الأوسع إلى الواسع ، ثم إلى الضيق فالأضيق . فقد تقلص حجم الأسرة الممتدة، وظهرت الأسرة النواة ، ثم تقلصت وظائف الأسرة النواة، وضعف تماسكها وترابطها .

وانقسم علماءُ الاجتماعِ العائلى حول هذا القانون إلى فريقين : فريق أيد صحته لأنَّ الأسرةَ في الماضى ـ من وجهة نظرهم ـ كانت تقوم بوظائف عديدة ومتنوعة تشمل حياة الفرد كلها ، أما الأسرة المعاصرة فقد فقدت معظم هذه الوظائف، وتخلت عنها إلى مؤسسات اجتماعية أخرى ، تقوم بها بكفاءة أفضل بكثير من الأسرة . فمثلًا المدرسة تقوم بالتعليم ، والمستشفيات تقوم بالعلاج ، ومراكز العبادة تقوم بتعليم الدين أفضل من الإسرة وهكذا (Ingoldsly, 1995:85) . ولم يعد للأسرة المعاصرة إلا بعض الوظائف: كالإنجاب، وتربية الأطفال، وتوفير العطف والحنان والمودة لأفراد الأسرة.

ومن هذا الفريقِ كلٌّ مِن جورج ميردوك G. Murdock الذي أشار إلى أن الأسرة لم يعد لها وظائف إلا ممارسة الجنس وكسب المال والإنجاب وتنشئة الأطفال (Ingoldsly, 1995:85) وتالكوت بارسونز T. Parsons الذي أشار إلى أن الأسرةَ المعاصرةَ فقدت وظائفها، ولم يبق لها إلا وظيفتى الإنجاب وتنشئة الأطفال (Parsons, 1968)، ووليم أوجبورن W. Ogborn الذي ذهب إلى أن مشكلة الأسرة المعاصرة هي تنازلها عن وظائفها ووظيفة بعد أخرى إلى مؤسسات اجتماعية أخرى ، ولم يعد لها إلا وظيفتى الإنجاب وتوفير الحب والعطف لأفرادها

(Ogborn, 1961)، وماكفير الذي أشار إلى أن الأسرةَ المعاصرة قد عثرت أخيرًا على وظيفتها الحقيقية، وهي توفير العطف والمودة لأفرادها، فهي الوظيفة الوحيدة التي لا يمكن أن تقوم بها إلا الأسرة (بيري ، ١٩٩٨).

أما الفريق الثاني فيرى أن الأسرة المعاصرة لا تزال تقوم بوظائفها العديدة المتنوعة لأفرادها ، والتي تشمل حياتهم كلها ، ولم يتناقص دورها ، ولم تتقلص وظائفها ، بل زادت الحاجة إلى الأسرة في العصر الحديث؛ لأن وظائفها مهمة بالنسبة للفرد والمجتمع ، ولا يمكن لأية مؤسسة رسمية القيام بها بكفاءة الأسرة (Shorter,1977:272) .

كما أن وجود مؤسسات اجتماعية متخصصة في التعليم والصحة والدين والترويح لا يعني أن الأسرةَ قد تخلت عن هذه الوظائف ، بل يعني أن مسئولياتها قد زادت في التعليم والرعاية والعلاج والدين والترويح ، لأن الأسرة المعاصرة تقوم بهذه الوظائف بنفسها كما كانت في الماضى، وزادت عليها مسئوليتها في مساعدة أفرادها على الاستفادة من خدمات الدولة في التعليم والرعاية والعلاج والترويح، وهذا قد وضع على الأسرة أعباء إضافية في الوقت الراهن (Muncie, at .al., 2000, Fletcher, 1966:197)

وقد تأثر بعضُ علماءِ الاجتماع العائلى العرب بقانون " تقلص وظائف الأسرة" وطبقوه على الأسرةِ المسلمة المعاصرة ، وذهبوا إلى أنها تخلت عن الكثير من وظائفها ولم يعد لها إلا وظائف الإنجاب وتنشئة الأطفال ورعاية كبار السن . من هؤلاء العلماء الدكتور عبد الرؤوف الجرداوي الذي أشارَ في كتابه " علم الاجتماع العائلي" إلى "أن الواقع" يؤكد تقلص وظائف الأسرة المعاصرة ، فبعد أن كانت تقوم بوظائفها الفيزيقية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية، تخلت عنها بعد أن تحولت الوظيفة الاقتصادية فيها من الإنتاج إلى الاستهلاك ، ووكلت الحماية إلى مؤسسات أخرى ، وتولت المدارس التعليم ، ولم يبقَ للأسرةِ إلا الإنجاب والتنشئة الاجتماعية "(الجرداوى ، ١٩٨٦: ٥٩).

وسار في الاتجاه نفسه الدكتور الوحيشى أحمد بيرى الذي أشار في كتابه "الأسرة والزواج : مقدمة في علم الاجتماع العائلى " إلى أن الأسرة العربية كانت إلى وقتٍ قريب تقوم بوظائف كثيرة ومتنوعة وواسعة ، تشمل حياة الإنسان كلها ، لكن مع نمو المجتمعات العربية الحديثة ، ووجود المؤسسات التي تشبعُ الحاجات الفردية ، أخذت من الأسرة وظائفها : وظيفة بعدَ أخرى ، لكنها لا تزال تحتفظ بوظيفة الإشباع العاطفي، التي تشمل الإنجاب وتنشئة الأطفال ورعاية كبار السن من الوالدين والأقارب " (بيري ، ١٩٩٨ : ٧٨).

وأرجع الوحيشي تحول الأسرة العربية المعاصرة عن بعض وظائفها إلى التغير الاجتماعى، الذي حدث في المجتمعات العربية الحديثة، بسبب التصنيع والتحضر ، اللذين أديا إلى نشأة مؤسسات ونظم اجتماعية حديثة، أكثر قدرة من الأسرة على القيام بهذه الوظائف (بيرى ، ١٩٩٨ : ٨٦).

واتفق الوحيشي مع عفيفي على أن تقلص وظائف الأسرة المعاصرة لا يدل على إخفاقها في القيام بوظائفها ، ولا يدل على انحلالها وتفككها بقدر ما يدل على وحدةِ الأسرة وتكاملها ، وزيادة قدرتها على تنشئة الأطفال . وهي الوظيفة الوحيدة الأساسية التي بقيت للأسرة المعاصرة (بيرى ، ١٩٩٨: ٧٩).

الأدلة على عدم تناقض وظائف الأسرة المسلمة :

والسؤال هنا هل وظائف الأسرة المسلمة المعاصرة تقلصت أو نقصت ؟ بعبارة أخرى هل كانت الأسرة المسلمة تقوم بوظائف في الماضي وتخلت عنها في الحاضر ؟ والإجابة من وجهة نظر الكاتب لا . فوظائف الأسرة المسلمة المعاصرة لم تتغير ، ولم تتقلص في الحاضر عما كانت عليه في الماضى ، ولن تتغير في المستقبل لأسباب عدة نلخصها في الآتى:

١ - وظائف الأسرة المسلمة محددة بتشريع سماوي ثابت، لا يتغير بتغير الزمان ولا المكان، فالتشريع الإسلامي حدد من حوالى ١٥٠٠ سنة واجبات وحقوق أفراد الأسرة، التي تقوم عليها وظائف الأسِرة المسلمة ، وتشمل واجبات الزوج نحو

زوجته ، والزوجة نحو زوجها ، والآباء نحو الأبناء ، والأبناء نحو الآباء، وواجبات صلة الرحم . وهذا يعني أن وظائف الأسرة المسلمة ثابتة، ولا يمكن أن تتخلى عنها في الحاضر ولا في المستقبل ، لأنها ـ أي وظائف الأسرة ـ جزء لا يتجزأ من عقيدة المسلمين، التي لا تقبل التغيير ولا التقليص.

٢- قانون تقلص وظائف الأسرة مستمد من مشاهدات على الأسرة في المجتمعات الغربية المعاصرة، التي تغير مفهومها ومدلولها وبناؤها وأشكالها ، وتمرد كثير من الناس على ثوابتها في الزواج ، وتقسيم الأدوار الاجتماعية وفق الجنس والعلاقات الوالدية والزواجية . والمشاهدات على تقلص وظائف الأسرة المعاصرة في الغرب لا يجوزُ تعميمها على الأسرة المسلمة المعاصرة ، لأن الأسرة تقوم في الغرب على تشريع اجتماعى أو مدنى، وتقوم في الإسلام على تشريع سماوى . يضاف إلى هذا أن العادات والتقاليد والمعتقدات في الغرب تسمح ـ مع التحفظ ـ بتقليص وظائف الأسرة هناك ، لكن العادات والتقاليد والمعتقدات في المجتمعات الإسلامية لا تسمح بذلك .

٣- الأدلة على تقلص وظائف الأسرة المعاصرة لا تدل بقوة على أن الأسرة قد تخلت عن كل أو بعض وظائفها التي كانت تقوم بها في الماضى ، لأنه لو سلمنا مع مَنْ قالوا: " تخلت الأسرة عن معظم وظائفها ولم يبقَ لها إلا وظيفتي التنشئة وتوفير المودة والمحبة " فإن قيام الأسرة بهاتين الوظيفتين يدل على أن وظائفها لم تتقلص ولم تنقص عما كانت عليه في الماضى ، لأنَّ الأسرة المعاصرة لا تستطيع القيام بتنشئة أطفالها وتوفير المودة والمحبة إلا إذا قامت بوظائفها الأخرى . فمثلًا لكي تقوم الأسرة بتنشئة الأطفال عليها أن تقوم بوظائف الإنجاب وإشباع حاجات الأفراد ورعايتهم وتعليمهم ومساندتهم، والإنفاق عليهم وإكسابهم عادات وتقاليد المجتمع وغير ذلك من الوظائف، التي كانت الأسرة تقوم بها في الماضي، وستقوم بها في المستقبل .

ولكي تقوم الأسرة المعاصرة بوظيفتها في توفير المودة والمحبة والمساندة لأفرادها

عليها أن تقوم لهم بوظائفها في الرعاية والتعليم والترويح والإنفاق وإشباع الحاجات، وغيرها من الوظائف التي تشعرهم بالمودة والمحبة والمساندة، فهذه الوظيفة لا تقوم بها الأسرة في معزل عن وظائفها الأخرى .

وهذا يؤكدُ أن وظائف الأسرة المعاصرة لم تتقلص، ولم تتخلى الأسرة عن أية وظيفة منها ، لأن الأسرة لا تكون أسرة إلا إذا قامت بوظائفها جميعها لأفرادها التي وجدت من أجلهم ووجدوا من أجلها.

٤- قد ينطبق " قانون تناقص وظائف الأسرة" على أشكال الأسر غير التقليدية ولا ينطبق على الأسرة التقليدية المعاصرة في المجتمعات الحديثة ، لأن الأسر غير التقليدية أسر شاذة ، لا تقوم على الزواج التقليدي ولا تستطيع القيام بوظائف الأسرة التقليدية كلها أو بعضها . فمثلًا أسرة الجنس الواحد لا تستطيع الإنجاب وتربية الأطفال ، وأُسر المعاشرة لا تقوم على الزواج ، والأسرة الزواجية تجعل الزواج غاية وليس وسيلة ، ولا تهتم بوظائف الأسرة التقليدية في الإنجاب وتنشئة الأطفال . فالنظم الأسرية الحديثة ليست أسرًا حقيقية لكنها أنظمة اجتماعية قبلها بعض علماء الاجتماع العائلي في أوربا وأمريكا ، وعدوها أنظمة أسرية معاصرة ، وطبقوا عليها " قانون تناقص وظائف الأسرة المعاصرة" ولا يجوز لبعض علماء الاجتماع العائلى في المجتمعات الإسلامية الدخول ورائهم في جُحر الضب في تطبيق قانون تناقص الوظائف على الأسرة المسلمة أو العربية ، لأنها أسرة حقيقية تقوم بوظائفها وفق الشريعة الإسلامية .

٥- وظائف الأسرة المعاصرة هي نفسها وظائف الأسرة في الماضى، وهي وظائف ثابتة لا يستغني عنها الفرد ولا المجتمع (Shorter, 1977:271) وإنما تواجه بعض الأسر المعاصرة صعوبات اقتصادية أو اجتماعية أو نفسية أو صحية، تحد من قدرتها على القيام بوظائفها ، أو تجعلها تتخلى عن بعض وظائفها؛ لأنها تعاني من الجهل والمرض والفقر والعجز والإهمال والتصدع الأسري (Ingoldsly,1995)، وغيرها من المشكلات أو الصعوبات التي تمنعها من القيام

بوظائفها، أو تجعلها تهمل في القيام بها ، والـذي يظهـر في تقـاعس بعـض الآبـاء في رعاية أبنائهم ، وعقوق بعض الأبناء لآبائهم ، وهجـر بعـض الأزواج لزوجـاتهم ، وطلب بعض الزوجات الخلع لأسباب بسيطة ، وقطع بعض النـاس لـصلة الـرحم وعدم مودة الأهل . فهذه أخطاء تقع فيها كثير مـن الأسر ، لكـن لا يعنـي هـذا أن الأسرة المعاصرة بعامة قد تخلت عن وظائفها الأسرية ، أو أن وظائفها قـد تقلـصت أو نقصت ، إنما يدل على أن بعض الأسر المعاصرة غير قادرة على القيـام بوظائفهـا، وفي حاجة إلى الإرشاد النفسى والاجتماعى، وإلى المساعدات المادية والمعنويـة حتـى تحل مشكلاتها، وتتغلب على الصعوبات والأزمـات التـي تواجههـا، وتعـود إليهـا قدرتها على القيام بوظائفها . فمن المتفق عليه ـ عند الكثير من علماء الاجتماع العائلى وعلم النفس الأسرى ـ أن عدم قدرة هذه الأسر في القيام بوظائفها أمر غير عادى ، يجعلها أسرًا غير عادية أو مريضة أو مختلة لأي سبب من الأسـباب ، وفي حاجـة إلى العلاج والرعاية من المجتمـع . أمـا الأسر العاديـة أو الجيـدة Healthy families، وهي كثيرة، لاسيما في المجتمعات الإسلامية المعاصرة ، فتقوم بوظائفها كـما يجـب ، ولم تتخلَّ عن أية وظيفة، بل تسعى إلى تحسين وظائفهـا مـن خـلال الاسـتفادة مـن مؤسسات المجتمع المتخصصة في هذه الوظائف .

المسئوليات الأسرية

يناط عادة بالوالدين أو الزوجين مسئوليات القيام بوظائف الأسرة وتحقيق أهدافها من خلال قيامهما بواجباتها الأسرية وأدوارهما الاجتماعية في الزواج والوالدية . وتنقسم المسئوليات الأسرية Family responsibilities إلى خمسة أنواع هي : الواجبات والحقوق الزوجية، والأعمال المنزلية ، والتنشئة الاجتماعية للأبناء ، والقوامة أو القيادة في جماعة الأسرة ، والعمل في كسب الرزق والإنفاق على الأسرة.

وهـذه المـسئوليات هـي أسـاس الحيـاة الأسريـة، ومـصدر اسـتقرارها وأمنهـا واستمرارها ونجاحها ، ويسهم فيها كل مـن الـزوجين بدرجـة مـا ، وفـق قدراتـه

وطبيعته والأعراف الاجتماعية . فكل أسرة تنشأ بالزواج الذي يجعل الزوج مسئولا عن رعاية زوجته والزوجة مسئولة عن رعاية زوجها . ثم تكتمل الأسرة بالإنجاب الذي يجعل الوالدين مسئولين عن رعاية أبنائهما والإنفاق عليهم ، وتوجيههم والولاية عليهم التي تتضمن القوامة والحماية والمساندة في السراء والضراء .

توزيع المسئوليات :

ومع أن الزوجين أو الوالدين يسهمان معًا في القيام بالمسئوليات الخمس السابقة بحيث تكمل إسهامات كل منهما إسهامات الزوج الآخر، ومع هذا فإن الحياة الأسرية تتطلب أن تكون إسهامات الزوج أكبر من إسهامات الزوجة في بعض المسئوليات، وإسهامات الزوجة أكبر من إسهامات الزوج في بعضها الآخر ، وإسهاماتهما متساوية أو متقاربة في مسئوليات ثالثة .

والمسئوليات الأسرية التي يسهم فيها الزوج أكثر من الزوجة هي مسئوليتي **الإنفاق والقوامة** في الأسرة لاسيما في الأسرة المسلمة، التي جعلها الإسلام أسرة أبوية يقوم فيها الزوج أو الأب بمسئوليات القوامة والإنفاق . فقال تعالى: ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ ﴾ [النساء: ٣٤] ولكن لا يمنع الإسلام المرأة من الإسهام في القوامة والإنفاق على الأسرة؛ لأنها راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها ، ولأنها مكلفة بالتعاون مع زوجها على البر والتقوى، الذي من أبوابه الإنفاق على الأسرة وإدارة شئونها ورعاية أفرادها ، ولها في ذلك الأجر والثواب من الله .

وإسهام الرجل بدور كبير في الإنفاق والقوامة في الأسرة متعارف عليه في كثير من المجتمعات غير الإسلامية ، حيث يتفق الناس في هذه المجتمعات على أن إسهامات الرجل أكبر من المرأة في الإنفاق على الأسرة ، حتى ولو كانت المرأة تعمل خارج الأسرة ، وارتباط الإنفاق بالقوامة (Feldman, 1982, Adaline,1981) يجعل الزوج مسئولا عن القوامة أكثر من الزوجة .

أمـا مـسئولية **الأعـمال المنزليـة** House works وإدارة البيـت والمحافظـة عـلى استقراره، فإسهامات الزوجة فيها أكبر من إسهامات الـزوج وهـي مـن الأعـراف السائدة في معظم المجتمعات؛ حيث يناط بـالمرأة رعايـة البيـت ، وتـوفير حاجـات المعيشة لأفراد الأسرة، حتى لو كانـت المـرأة تعمـل خـارج البيـت ، فطبيعـة المـرأة ومهاراتها وميولها تجعلها أكثر كفاءة من الرجل في القيام بالأعمال المنزلية . ولا يعني هذا عدم إسهام الرجل في الأعمال المنزلية ، لأن كلّ الرجال يتعاونون مع زوجـاتهم في إنجاز الكثير مـن الأعـمال المنزليـة الكبـيرة أو الثقيلـة (Dallos & Sapsford, 2000 Feldman, 1982) ولا توجد أسرة إلا والزوج يسهم مع زوجته في الأعـمال المنزلية بشكل أو بآخر.

أما مسئولية **الواجبات والحقوق الزواجية** فهي مسئولية مشتركة بين الزوجين، وإسهامات كل منهما فيها مساوية لإسهامات الزوج الآخر، ولا نستطيع القول أن الزوجة تسهم في الزواج أكثر من الزوج ، ولا الزوج أكثر من الزوجة؛ لأن الواجبات والحقوق الزواجية متقابلة ، فواجبات الزوج حقوق للزوجة ، وواجبات الزوجة حقوق للزوج . وقد شرع الله الزواج لمصلحة كل من الزوجين بدرجة متساوية وجعل على كل منهما من الواجبات مثل ماله من الحقوق . فقال تعالى: ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٢٨] مما يعني أن واجبات الزوج مساوية لواجبات الزوجة تمامًا ، لأنهما وجهان لعملة واحدة هي الزواج.

كذلك مسئولية **تربية الأبناء** فهي مسئولية مشتركة أو متساوية بين الوالدين . ومن الخطأ الاعتقاد السائد " أن مسئولية الأم أكبر من مسئولية الأب في التنشئة الاجتماعية للأطفال ، لأن مسئولية الأب مكملة لمسئوليات الأم ، وكذا مسئولية الأم مكملة لمسئوليات الأب في التنشئة ، والطفل في حاجة إلى رعاية والديه معًا ، وحاجته إلى رعاية أبيه لا تقل أهمية عن حاجته إلى رعاية أمه . يضافُ إلى هذا أن دوافع الأبوة لا تقل قوة عن دوافعِ الأمومةِ في دفع الوالدين معًا إلى الإنجاب والتنشئة الاجتماعية .

ولا يختلف اثنان على أن الأمَّ تقضي أوقاتًا أطول من الأب مع أطفالها في البيت وتقوم بأعمال في رعايتهم لا يقدر الأب على القيام بها، لكن لا يعني هذا أن مسئولية الأم أكبر من مسئولية الأب في التنشئة ، لأن الطفل لا يستغني عن رعاية أبيه في مراحل حياته جميعها، ولا تتحقق التنشئة الاجتماعية إلا بالتعاون بين الوالدين وتكامل دوريهما في الأبوة والأمومة.

تقسيم العمل وفق الجنس :

ويتطلب توزيع المسئوليات في الأسرة تقسيم العمل بين الزوجين أو الوالدين وفق إسهامات كل منهما في رعاية الأسرة . فيختص الزوج أو الأب بالعمل خارج البيت في كسب الرزق؛ ليستطيع تحمل مسئوليتى الإنفاق والقوامة ، وتختص الزوجة أو الأم بالأعمال المنزلية وتربية الأبناء؛ لتستطيع تحمل مسئولياتها الزواجية والأمومة وتحقيق الأمن والاستقرار النفسى ، وتتكامل أدوارها مع أدوار زوجها في النهوض بوظائف الأسرة وتحقيق أهدافها.

ولا يمنع " تقسيم العمل في الأسرة " الزوجة أو الأم من العمل خارج البيت وكسب الرزق ، بشرط ألا يتعارض عملها خارج البيت مع مسئولياتها في الأسرة التي يجب أن تكون في مقدمة اهتماماتها، في مقابل أن يكون العمل في كسب الرزق والإنفاق في مقدمة اهتمام الزوج أو الأب ، فيحدث التكامل في أدوار الزوجين في تحمل مسئوليات الرعاية في الأسرة .

* * *

الفصل الثالث
أنماط الأسرة التقليدية

تتكون الأسرة بمفهومها في الفصل الأول من نمطين أو شكلين أساسيين هما: الأسرة النواة والأسرة الممتدة . وهما نمطان لا ثالث لهما لاسيما في المجتمعات الإسلامية وهما يستوعبان أنماط أو أشكال الأسر التقليدية جميعها في الماضي والحاضر والمستقبل. وقد تتحول الأسرة من نواة إلى ممتدة، أو تتحول من ممتدة إلى نواة وفق ما يطرأ عليها من تغيرات في البناء .

وسوف نتناول في هذا الفصل الأسرة النواة وبناءها وأشكالها الفرعية، والفرق بين الأسرة النواة المسلمة والأسرة النواة غير المسلمة ، ثم نعرض للأسرة الممتدة وبنائها وخصائصها وأشكالها الفرعية ، وأخيرًا نناقش الأسرة الزواجية والفلسفة التي تقوم عليها، والفرق بينها وبين الأسرة النواة التقليدية ، مؤكدين على أن الأسرة الزواجية تختلف كثيرًا عن الأسرة النواة، ولا تصلح لقيام حياة أسرية مستقرة .

ولن نتعرض للأنماط الأسرية الشاذة أو الأنماط الأسرية الحديثة، والتي ناقشنا مفاهيمها في الفصل الأول ، وانتهينا إلى أنها ليست أسرًا، ولا تصلح لقيام الحياة الأسرية المستقرة وقدمنا الأدلة على ذلك .

الأسرة النواة

الأسرة النواة أو الأسرة النووية Nuclear family [1] هي أبسط أشكال الأسرة التقليدية ، تنشأ بالزواج الشرعي ، وتكتمل بالإنجاب، حيث تتكون من الزوجين وأبنائهما غير المتزوجين، الذين يعيشون معهما في بيت واحد ومعيشة مشتركة .(Duvall & Miller, 1985:6)

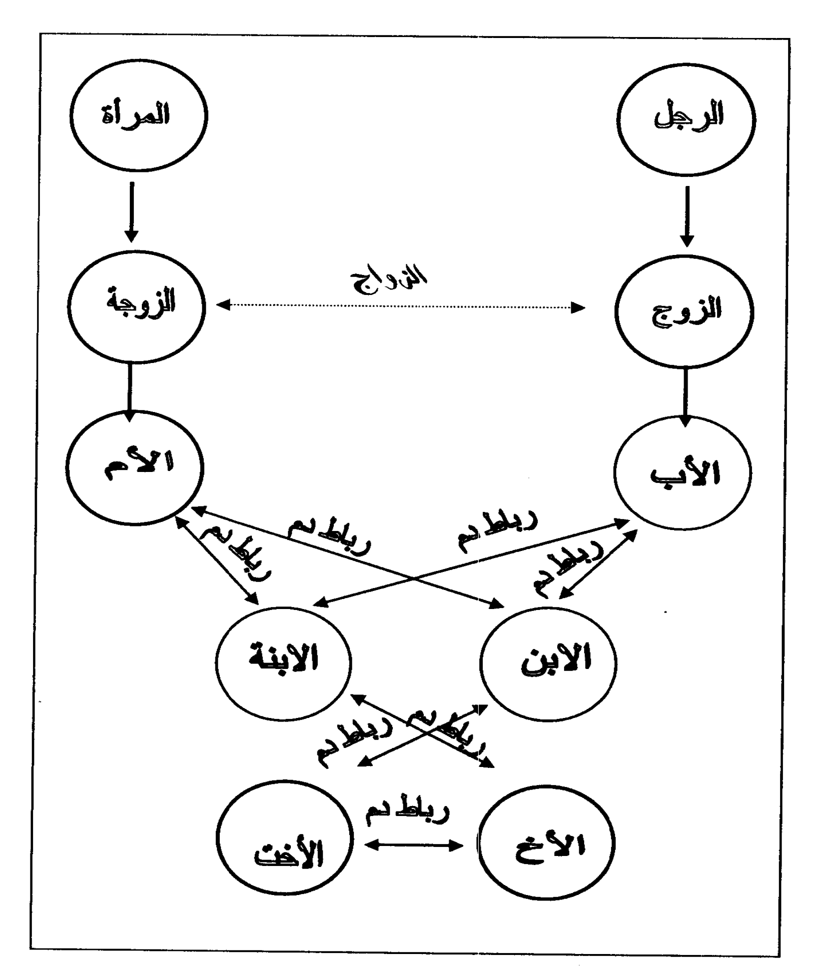
والأسرة النواة نظام اجتماعي عالمي موجود في معظم المجتمعات القديمة والحديثة . فمن دراسة جورج موردك G. Murdock سنة ١٩٤٩ على ٢٥٠ مجتمعًا من المجتمعات الزراعية والبدائية تبين أن الأسرة النواة نظام اجتماعى سائد في هذه المجتمعات (Janosik & Green, 1992) .

بناء الأسرة النواة :

تتكون الأسرة النواة في البداية من مركزين أساسيين هما مركز الزوج الذي يشغله الرجل ، ومركز الزوجة الذي تشغله المرأة ، وتربطهما العلاقة الزواجية الشرعية التي تجعل حقوق الزوج واجبات على الزوجة ، وحقوق الزوجة واجبات على الزوج . فالحقوق والواجبات في الزواج متقابلة، ولا تكون إلا بالزواج وبين الزوجين معًا.

ويكتمل بناء الأسرة النواة بعد إنجاب الطفل الأول بثلاثة مراكز جديدة هي مركز الأب الذي يشغله الزوج ، ومركز الأم الذي تشغله الزوجة ، ومركز الابن أو الابنة الذي يشغله الوليد . وترتبط هذه المراكز بروابط الأبوة والأمومة والبنوة وهي روابط بيولوجيه أو روابط دم وقرابة ، تجعل واجبات الوالدين حقوقًا للأبناء وواجبات الأبناء حقوقًا للوالدين . فالواجبات والحقوق في الوالدية والبنوة متقابلة ولا تكون هذه الواجبات والحقوق إلا بالإنجاب وللوالدين والأبناء معًا.

وهذا يعني أن كل فرد في الأسرة النواة يشغل مركزين على الأقل . فالرجل يشغل مركزَيْ الزوج والأب ، والمرأة تشغل مركزَي الزوجة والأم ، والولد يشغل مركزى الابن والأخ ، والبنت تشغل مركزَي الابنة والأخت . وتُشغل هذه المراكز وفق الخصائص البيولوجية لكل فرد في الأسرة، فالذكور لهم مراكز مختلفة عن مراكز الإناث، لكنها مكملة لها ومرتبطة بها ولا توجد إلا بها . والشكل رقم ١-١ يبين المراكز التي تتكون منها أسرة نواة صغيرة الحجم تتكون من زوج وزوجة وطفلين .



(الشكل رقم ١-١)

رسم تخطيطي يبين المراكز التي تتكون منها الأسرة النواة والروابط التي بين الأفراد شاغلي هذه المراكز.

أنماط الأسرة النواة :

تنقسم الأسرة النواة إلى أنماط أو أشكال فرعية عدة ، هي :

١ - **أسرة نواة قياسية أو نموذجية Standard nuclear family**: تتكون من الزوجين وأبنائهما غير المتزوجين، الذين يعيشون معًا، ويعمل الزوج خارج البيت، وتعمل الزوجة ربة بيت، وكان هذا النمط سائدًا في المجتمعات العربية والإسلامية حتى منتصف القرن العشرين، حيث كانت معظم النساء متفرغات لرعاية البيت والأبناء والأزواج .

٢- **أسرة نواة يعمل فيها الزوجان خارج البيت Dual Nuclear family** : تتكون من الزوجين وأبنائهما غير المتزوجين، ويعمل الزوجان خارج البيت ويشتركان معًا في الإنفاق على الأسرة ورعاية البيت والأبناء، وقد أخذ هذا النمط في الانتشار في المجتمعات العربية والإسلامية في النصف الثانى من القرن العشرين ، بعد خروج المرأة للعمل خارج البيت، ومشاركتها لزوجها في الإنفاق على الأسرة .

٣- **أسرة نواة ثنائية الزوجة Dyadic Nuclear family** : تتكون من الزوج وزوجتيه وأبنائه غير المتزوجين ، ويعيشون جميعًا في بيت واحد ومعيشة مشتركة . وهذا النمط موجود في المجتمعات العربية والإسلامية ، حيث أباح الإسلام للرجل تعدد الزوجات حتى أربع زوجات عند الضرورة .

ومن الملاحظ أن هذا النمط من الأسر آخذ في الانحسار في هذه المجتمعات بعد انتشار التعليم وخروج المرأة للعمل ، ووعي كثير من الرجال بالحكمة من تعدد الزوجات ، وعدم رغبة كثير من النساء في أن يتزوج أزواجهن عليهن ، ورفضهن الحياة في بيت واحد مع ضُرَّة أو الزوجة الثانية . وأصبح على كل رجل يرغب في التعدد أن يسكن الزوجة الثانية في مسكن خاص ، وينشىء معها أسرة نواة جديدة غير أسرته النواة من زوجته الأولى .

٤- **أسرة نواة أحادية الوالدية One-parent nuclear family**: تتكون من أحد الوالدين الأرمل أو المطلق وأبنائه غير المتزوجين[٢]. وعادة يتكون هذا النمط من الأسر في المجتمعات العربية والإسلامية من الأم وأبنائها غير المتزوجين ، حيث لا يتزوج كثير من الأرامل والمطلقات، ويتفرغن لرعاية أطفالهن بعد وفاة الزوج أو بعد الطلاق، في حين لا يستطيع كثير من الرجال ذلك ويلجأون إلى الزواج ثانية بعد وفاة الزوجة أو بعد الطلاق ، ويكونون أسرًا نواة جديدة من الزوجة الثانية وأولادهم من الزوجة الأولى .

٥- **أسرة نواة غير مكتملة البناء**: تتكون من الزوجين فقط، إما بسبب عدم الإنجاب أو بسبب زواج الأبناء، وتركهم لأسرهم الأصلية . وقد أخذ هذا النمط من الأسر النواة ينتشر في المجتمعات الإسلامية في العصر الحديث، بسبب بعض العوامل الثقافية والاجتماعية والاقتصادية، التي أدت إلى انحسار الأسرة الممتدة وانتشار الأسرة النواة ، وشجعت الشباب على الاستقلال عن الأسرة الأصلية ، وتكوين أسر نواة خاصة بهم .

٦- **أسرة نواة حاضنة Foster nuclear family**: تتكون من الزوجين وطفل محتضن أو أكثر ، وتسمى أسرة بديلة للطفل المحتضن أو الأطفال المحتضنين [٣]، وتُعد الأسرة الحاضنة نظامًا اجتماعيًا مقبولا في المجتمعات العربية والإسلامية، حيث يحرم الإسلام التبنى ويشجع الحضانة العائلية التي تجعل الطفل يعيش في الأسرة الحاضنة دون أن ينسبَ إليها، ولا يحمل اسمها (مرسى ، ١٩٨٥).

٧- **الأسرة الأبوية والأسرة الأمومية** : قد تكون الأسرة النواة أسرة أبوية Patriarchal family تكون القوامة فيها للرجل، أو أسرة أمومية Matriarchal family تكون القوامة فيها للمرأة . وتدعو الأديان السماوية جميعها إلى أن تكون القوامة في الأسرة للرجل ، وتشير نتائج العديد من الدراسات إلى أن الأسرة الأبوية أفضل من الأسرة الأمومية في رعاية أفرادها وفي القيام بوظائفها (مرسى ، ٢٠٠٣).

لكن لا يعني هذا أن الأسرة الأمومية سيئة في القيام بوظائفها ، فقد تكون الأم

أفضل من الأب في القوامة، إذا كان الأب مهملًا أو منحرفًا أو غير قادر على القيام بمسئوليات القوامة .

ومعظم الأسر النواة في المجتمعات الإسلامية من النمط الأبوى، حيث جعل الإسلام القوامة في الأسرة المسلمة للرجل ، فقال تعالى: ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ﴾ [النساء: ٣٤] ويندر أن تجد أسرة مسلمة أمومية، تكون المرأة مسئولة عن القوامة والإنفاق على الزوج والأبناء . فالأعراف والتقاليد في هذه المجتمعات لا تشجع على ذلك إلا في حال غياب الزوج أو وفاته أو عجزه، فتتحمل الزوجة مسئولية القوامة والإنفاق في الأسرة .

٨- **أسرة التوجيه وأسرة الإنجاب** : وقد تكون الأسرة النواة أسرة توجيه Orientation nuclear family ، وهي الأسرة التي ينشأ فيها الإنسان ويتربى فيها، أو أسرة إنجاب Procreation nuclear family ، وهي الأسرة التي يُنشئها الإنسان لنفسه بالزواج والإنجاب . وهذا يعني أن كل إنسان ينشأ عادة في أسرة أصلية أو أسرة توجيه في كنف والديه ، وبعد أن يكبر ويرشد، يتزوج ويكوّن لنفسه أسرة الإنجاب، التي يعيش لها ويضحي من أجلها (Duvall & Miller,1985:7).

والعلاقة وثيقة بين أسرة الإنجاب وأسرة التوجيه في المجتمعات العربية والإسلامية من خلال بر الوالدين وصلة الرحم ، التي تلزم الأبناء برعاية والديهم في الكبر والتواصل معهم ، وعدم التخلي عنهم . قال تعالى: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾ [الإسراء: ٢٣-٢٤] .

الفرق بين الأسرة النواة المسلمة وغير المسلمة :

ومع أن الأسرة النواة نظام عالمي موجود في كل المجتمعات تقريبًا ، فإنها تختلف في فلسفتها ومعاييرها وغاياتها وتوزيع الأدوار فيها من مجتمع إلى آخر ، وفق العادات والتقاليد والمعتقدات السائدة في كل منهما . وإذا وازنا بين الأسرة النواة المسلمة والأسرة النواة غير المسلمة نجد أنهما تتفقان في النشأة بالزواج الشرعى، وفي التكوين من الزوجين وأبنائهما غير المتزوجين ، وفي علاقات المودة والمحبة بين أفرادها ، وفي وظيفتَيْ الإنجاب وتنشئة الأطفال ، فلا فرق بين أسرة نواة مسلمة وغير مسلمة في ذلك . أما الاختلاف بين الأسرتين فيظهر في جوانب عدة أساسية نلخصها في الآتى:

١- الأسرة النواة المسلمة نظام سماوي ثابت، تتحدد الواجبات والحقوق فيها بتشريعات من عند الله ، لا تتغير بتغير الزمان ولا المكان ، ولا يطرأ عليها الزيادة ولا النقصان ، لأنها من عند خبير حكيم . أما الأسرة النواة غير المسلمة فنظام اجتماعى، تتحدد الواجبات والحقوق فيها بتشريعات وضعية، تتغير بتغير الزمان والمكان وفق العادات والتقاليد السائدة في المجتمع .

٢- يهدف أداء الواجبات في الأسرة النواة المسلمة إلى عبادة الله من خلال رعاية الآخرين في الأسرة، والتضحية من أجلهم ، فتتحقق السعادة لكل فرد فيها في الدنيا والآخرة . أما أداء الواجبات في الأسرة غير المسلمة، فيهدف إلى رعاية الأسرة وتحقيق السعادة لأفرادها في الدنيا فقط.

٣- الأسرة النواة المسلمة " أسرة أبوية " القوامة فيها للرجل، فهو المسئول عن إنشاء الأسرة والإنفاق عليها ورعايتها وحمايتها . قال تعالى: " ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ﴾ [النساء: ٣٤]. أما القوامة في الأسرة النواة غير المسلمة فقد تكون للزوج الأكفأ أو للزوجين معًا، أو لا تكون لأي منهما سلطة على الآخر وفق المعتقدات السائدة في المجتمع .

٤- وظائف الأسرة النواة المسلمة ثابتة، ولا ينطبق عليها قانون تناقص وظائف الأسرة " في المجتمعات الغربية، الذي أشار إليه إميل دور كايم E. Durkhiem عالم الاجتماع الفرنسي، الذي يرى أن وظائف الأسرة تطورت من الأوسع فالواسع ثم الضيق فالأضيق " وأيده كثير من علماء الاجتماع العائلي في أوربا وأمريكا ، وأشاروا إلى أن الأسرة في هذه المجتمعات قد تخلت عن معظم وظائفها (Smith, 1995)، أما الأسرة النواة المسلمة فلم تتغير وظائفها بتغير الزمان أو المكان . فالزوجة مسئولة عن رعاية زوجها ، والزوج مسئول عن رعاية زوجته ، والوالدان مسئولان عن رعاية أبنائهما ، والأبناء مسئولون عن رعاية والديهم في الماضى والحاضر والمستقبل . « **فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته** » كما قال رسول الله ﷺ، ولن تتغير أو تتقلص وظائف الأسرة المسلمة .

٥- الأسرة النواة المسلمة ليست منعزلة ولا مستقلة عن أسر الأقارب؛ لأن رباط الدم في الأسرة النواة المسلمة رباط أساسى ، وصلة الرحم من مكوناتها التي لا تنفك منها . فقد قال رسول الله ﷺ : « **يا معشر المسلمين ، اتقوا الله وصلوا أرحامكم فإن ليس من ثواب أسرع من صلة الرحم** » (رواه الترمذي) . فالمسلم إذا كوَّن له أسرة نواة لا يستقل عن أسرة والديه ، ولا ينعزل عن أقاربه ، ويأثم لو قطعهم أو استقل عنهم .

أما الأسرة النواة غير المسلمة فقد أشار كثير من الباحثين إلى أنها في عزلة في المجتمعات الأوربية والأمريكية الحديثة، التي تشجع الفردية والمادية والنفعية ، وتدعم الاستقلالية والحقوق الفردية ، ولا تحث على التضحية من أجل الآخرين في الأسرة (Ingoldsly & Smith, 1995) . وفي ذلك أشار بارسونز عالم الاجتماع العائلي الأمريكي إلى أن الأسرة النواة الأمريكية أسرة منعزلة وفق متطلبات المجتمع الأمريكي ، الذي يحترم الحرية ويشجع الفردية ، ويقدم مصلحة الفرد على مصلحة الجماعة، مما جعل انعزال الأسرة الأمريكية وانفكاكها عن شبكة القرابة مطلبًا أساسيًّا للحياةِ العصرية في المجتمعات الغربية ، التي تتعرض فيها الأسرة للحراك الجغرافي والانتقال وراءَ العملِ فلا تتقيد بقرابة أو روابط أخرى (Parsons, 1968).

الأسرة الممتدة

الأسرة الممتدة Extended family[٤] هي النمط الثانى في الأسرة التقليدية، تنشأ بالزواج والإنجاب كالأسرة النواة ، وتكتمل بزواج الأبناء وإنجابهم الأحفاد الذين يعيشون مع الأجداد والآباء في معيشة واحدة، وتحت سقف واحد في بيت العائلة .

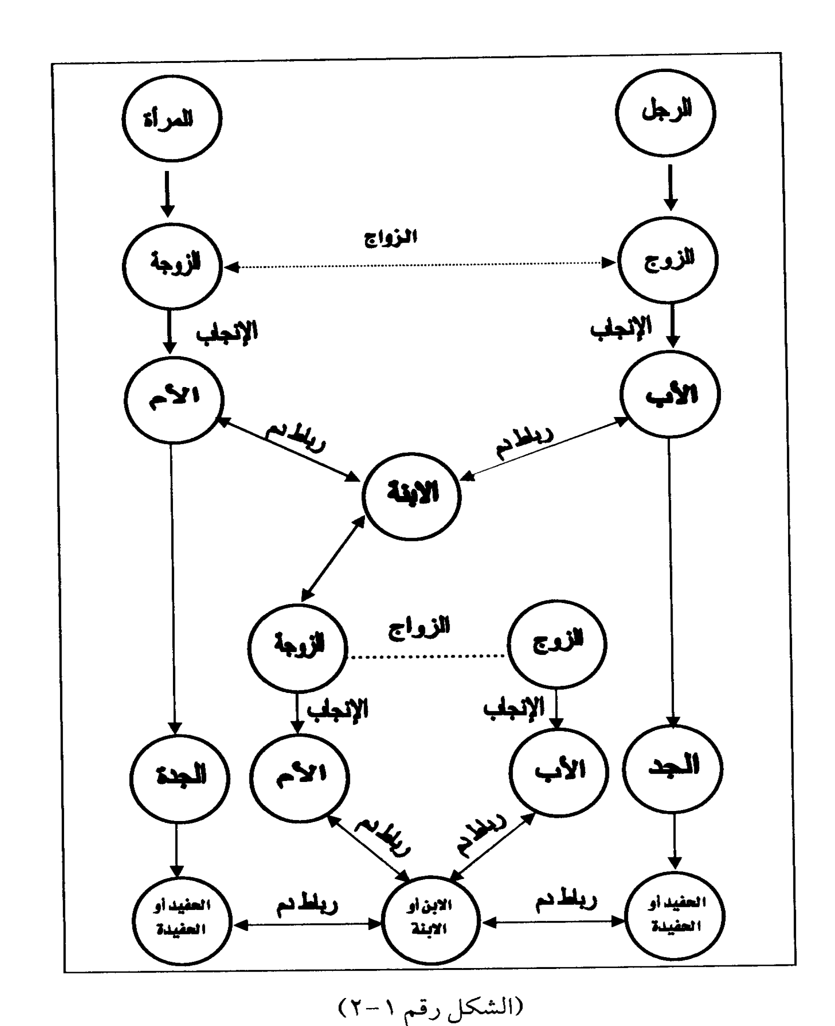
بناء الأسرة الممتدة :

وتنشأ الأسرة الممتدة في البداية أسرة نواة تقليدية، تضم الزوجين وأبناءهما في معيشة مشتركة وفي بيت واحد ، ثم تمتد رأسيًا لتشمل الأجداد والأحفاد وأفقيًا لتشمل الأعمام والعمات والأخوال والخالات وغيرهم من الأقارب للأب أو الأم . وإذا كانت الأسرة النواة تضم جيلين: جيل الآباء، وجيل الأبناء، فإنَّ الأسرةَ الممتدة تضم ثلاثة أجيال : جيل الأجداد، وجيل الآباء، وجيل الأبناء أو الأحفاد (Duvall & Miller, 1985:7).

والأسرة الممتدة كالأسرةِ النواة تتكون من مراكز : الزوج والزوجة والأب والأم والأخ والأخت وتزيدُ عليها بمراكز : الجد والجدة والحفيد والحفيدة ، والعم والعمة ، والخال والخالة ، وزوجة الابن وزوج الابنة ، وزوجة العم وزوج العمة وغيرها من المراكز الاجتماعية التي يزداد عددها وفق امتداد الأسرة رأسيًا أو أفقيًا.

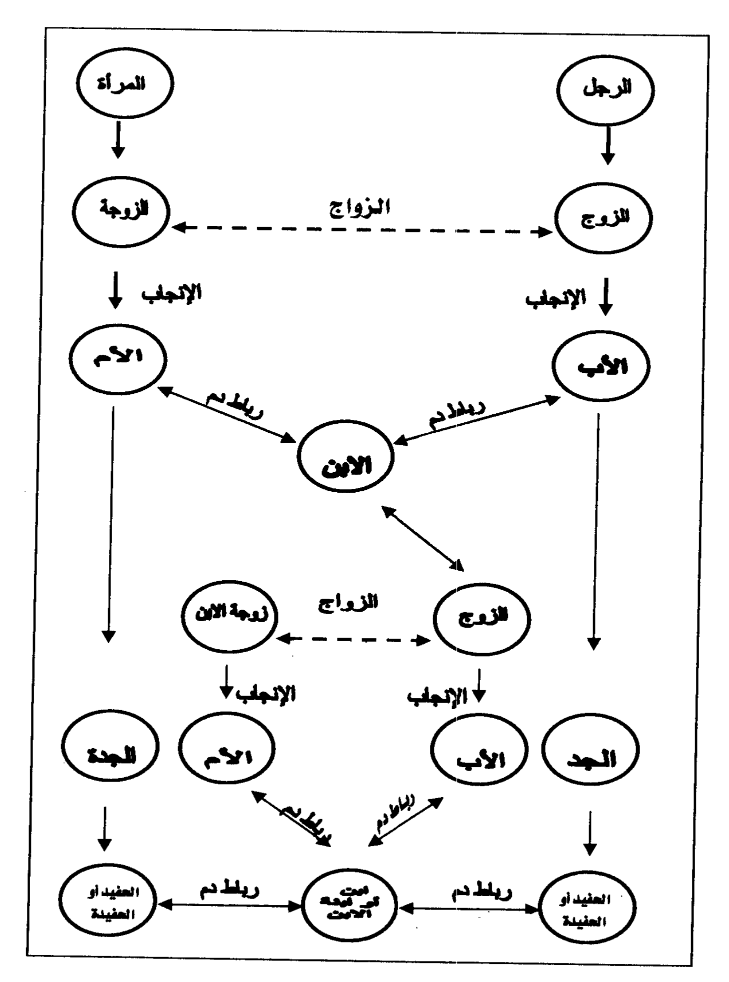
وحجم الأسرة الممتدة عادة كبير والعلاقات فيها متشابكة ، والمراكز الاجتماعية متعددة ، حيث يشغل كل فرد فيها ثلاثة مراكز أو أكثر ويقوم بثلاثة أدوار على الأقل . فالرجل الكبير يشغل مراكز الجد والأب والزوج ، والابن يشغل مراكز الابن والزوج والأب وهكذا . مما يجعلها جماعة اجتماعية معقدة البناء والعلاقات بدرجة أكبر من الأسرة النواة .

والشكل رقم ١-٢ يبين بناء الأسرة الممتدة من ناحية الابنة ، والشكل رقم ١-٣ يبين بناء الأسرة الممتدة من ناحية الابن . ونجد فيهما المراكز التي يشغلها الأفراد في الأسرة التي تتكون من ثلاثة أجيال .



(الشكل رقم ١-٢)

رسم تخطيطي للمراكز الاجتماعية في أسرة ممتدة من ناحية الابنة والروابط بينها.



(الشكل رقم ١-٣)

رسم تخطيطي للمراكز الاجتماعية في أسرة ممتدة من ناحية الابن والروابط بينها.

خصائص الأسرة الممتدة :

تقوم الأسرة الممتدة بالوظائف نفسها التي تقوم بها الأسرة النواة . وقد كانت هي النظام الأسرى الأكثر انتشارًا في المجتمعات العربية والإسلامية في الماضي وإلى عهد قريب؛ حيث كانت العادات والتقاليد والأعراف والمعتقدات الدينية تشجع على أن يعيش الأبناء بعد الزواج مع والديهم في بيت العائلة ، ولاسيما إذا كانوا يعملون في مهن آبائهم في الزراعة أو التجارة أو الصناعة ، ويستمدون مكانتهم الاجتماعية من انتماءاتهم العائلية وارتباطهم بأسرهم الممتدة ، فلا يفكرون في الاستقلال عنها بعد الزواج .

وتقوم الحياة في الأسرةِ الممتدة على اجتهاد الأبناء في تحقيق طموحات الآباء والأجداد أكثر من تحقيق ظموحاتهم الشخصية ، وتقديم مصلحة الأهل على مصالحهم الفردية، وتنمية ممتلكات الأسرة أكثر من تنمية ممتلكاتهم الخاصة .

وكانت الأسرة الممتدة في الماضي وحدة إنتاجية يمتلك فيها الجد ـ رب الأسرة ـ الأرض أو المصنع أو التجارة ، ويعمل أبناؤه معه ، فيتعلمون صنعته ويمارسون نشاطه التجارى والصناعى والزراعى ، الذي يتوارثونه جيلًا بعدَ جيلٍ . أما في الحاضرِ فلم تعد الأسرة الممتدة وحدة إنتاجية، ولم تعد المهن تورث في الأسرة بعد التطورات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية في المجتمعات الحديثة ، وأصبح كل شاب يتعلم المهنة التي تناسب قدراته وميوله واستعداداته ، وضعفت السلطة التي كانت للوالدين على الأبناء في العمل وكسب الرزق ، وغدا كل شخص يبحث عن العمل الذي يناسبه، ويتنقل وراءه في أي مكان دون تدخل من والديه، فانحسرت سلطة الأسرة الممتدة، وانتشرت الأسرة النواة في المجتمعات الحديثة .

وتعرضت الأسرة الممتدة في المجتمعات العربية والإسلامية الحديثة للانحسار لأسباب أخرى كثيرة، منها انتشار التعليم والتصنيع ، وخروج المرأة للعمل ، وظهور المدن الكبيرة، وزيادة تأثير الثقافة الغربية على الكثير من العرب والمسلمين ،

وانتقال الشباب وراء العمل، مما شجعهم على تكوين أسر نواة يسهل التنقل بها من بلد إلى آخر.

لكن مع انحسارِ الأسرة الممتدة عندنا فلا تزال الأعراف والعادات والتقاليد والمعتقدات الدينية تدفع الشباب إلى التواصل مع أسرهم الأصلية من خلال السكن القريب منها ، وتقديم المساعدات للوالدين والأقارب ، وتبادل الزيارات والمكالمات الهاتفية واللقاءات الأسبوعية ، وفي المناسبات والأعياد ، وغيرها من الأنشطة التي تربط أسرة الابن بأسرة والديه ، ويحقق مفهوم الأسرة الممتدة المعدلة .

أنماط الأسرة الممتدة :

تنقسم الأسرة الممتدة إلى أنماط أو أشكال عدة نلخصها في الآتي:

١ - **أسرة ممتدة نموذجية Standard extended family**:وهي أسرة تقليدية تتكون من الجدين وأبنائهما وأحفادهما ، الذين يعيشون في معيشة مشتركة وفي بيت واحد . وتكون السلطة فيها للجد ، وتقوم على تقسيم العمل وفق الجنس، ولا يمنع هذا من خروج المرأة فيها للدراسة والعمل خارج البيت .

٢- **أسرة ممتدة أحادية الجد One grand parent extended family**: وهي أسرة ممتدة تُوفِّي فيها أحدُ الجدين ، وأصبحت تتكون من الجد الآخر وأبنائه وزوجاتهم وأحفاده ، الذين يعيشون في معيشة مشتركة وفي بيت واحد ، وعادة تكون القوامة فيها للابن الأكبر أو الجد أو الجدة التي تعيشُ مع الأسرةِ ، وتقوم الحياة فيها على تقسيم العمل وفق الجنس .

٣- **أسرة ممتدة متحدة Joint extended family**: وهي أسرة ممتدة أفقيًا بعد وفاة الجدين ، وتتكون من أخين أو أكثر وزوجاتهم وأبنائهم ، ويعيشون في معيشة مشتركة وفي بيت واحد ، وتكون القوامة فيها للأخ الكبير ، وتسمى " أسرة مركبة" لأنها تتكون من أسرتين نوويتين أو أكثر بينها روابط الدم وصلة الرحم . ويطلق عليها أحيانا " أسرة متحدة بيولوجيًا Consanguinal composite family .

٤ - **أسرة ممتدة معدلة Modified extended family**: وهي أسرة ممتدة رأسيًا أو أفقيًا، وتتكون من أسرتين نوويتين (أو أكثر) إحداهما أسرة التوجيه، التي تعيش مع أسرة فرعية أو أكثر من أسر أبنائها في منطقة سكنية واحدة أو في مناطق متجاورة ، وتعيشُ كلّ أسرة في معيشة ومسكن مستقل، لكنها تتواصل مع الأسرة الأصلية من خلال الزيارات اليومية والاتصالات الهاتفية واللقاءات الأسرية في الأعياد والمناسبات وأيام الجمع والعطلات الرسمية ، بحيث يتحقق لقاء الأبناء والآباء ، ويتردد الأحفاد على الجد والجدة في أوقات كثيرة ، ويحصل الآباء على رعاية أبنائهم ومساندتهم لهم عند الحاجة وفي أي وقت بالليل والنهار ، وكأنهم يعيشون معًا، وقد يتبادلون تناول الطعام معًا في أوقات كثيرة.

ويلقى نظام الأسرة الممتدة المعدلة قبولًا في المجتمعات الإسلامية الحديثة لاسيما المجتمعات الخليجية ، لأنه يحقق رغبة الأبناء في بناء الأسرة النواة مع زوجاتهم وأبنائهم ، وفي الوقت نفسه يتواصلون مع أسرهم الأصلية ، ويبرون والديهم، ويصلون أرحامهم . ويصبح لكل شاب أسرتين : أسرة التوجيه التي نشأ فيها، وأسرة الإنجاب التي كونها لنفسه مع زوجته وأولاده . وتظل الصلة قوية بين الأسرتين وكأنهما أسرة واحدة ، بفضل القرب المكاني ووسائل الاتصال الحديثة السلكية واللاسلكية والسيارات واللقاءات في بيت العائلة . وهذا يعني أن الأسرة الممتدة رغم انحسارها، فلا يزال لها شأن عظيم في حياة المسلم، الذي يعبد الله في بر والديه وصلة الأرحام وتقوية روابط الدم.

قال تعالى: ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ ﴾ [الأحزاب: ٦] . فالمسلم لا ينعزل بأسرته النواة عن أسرته الأصلية ولا أسر أقاربه مهما بعدت المسافات فأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض، وهذا يؤكد أن ما ينطبق على الأسرة في أمريكا وفق نظرية الأسرة النواة المنعزلة عند بارسونز Parsons لا ينطبق على الأسرة المسلمة بأي حال من الأحوال.

الأسرة الزواجية

الأسرة الزواجية Conjugal family[٥] أحد أنماط الأسر الحديثة ، تتكون من الزوجين وأبنائهما القصر ، الذين يعيشون معًا في معيشة مشتركة وفي منزل واحد ، وتسمى أسرة فردية لأنها جماعة مكتفية بذاتها ، ومستقلة عن الأقارب . وتسمى أيضًا أسرة نفسية Psychological family لأنها تركز على حاجات الزوجين وعلاقتهما وسعادتهما أكثر من تركيزها على الأطفال والعلاقة الوالدية . فالأسرة الزواجية للزوجين وليست للإنجاب (Goode, 1968) .

وتقوم الأسرة الزواجية على أساس أن الزواج مسألة فردية ، لا دخل للمجتمع ولا للدين فيها . فكلٌّ فرد حرٌّ في تحديد متى يتزوج ؟ وممن يتزوج ؟ وكيف يتزوج ؟ وأين يعيش حياته الزوجية ؟ ومتى يستمر في الزواج ؟ أو يتوقف عنه وينفصل عن الزوج الآخر . فهذه القرارات من سلطة الرجل والمرأة ، وليست من سلطة الدولة أو الدين أو الأسرة.

وتهدف الأسرة الزواجية إلى إسعاد الزوجين ، وإشباع حاجاتهما الجسمية والنفسية والاجتماعية ، وتنمية الحب والمودة بينهما ، وتقوية علاقتهما الزواجية ، حتى يجد كل منهما الأمن والاستقرار النفسى عند الآخر، مع المحافظة على حريته الفردية وحصوله على حقوقه الشخصية ، دون التزامات للأقارب أو غيرهم . فالزوجان هما محور الحياة الأسرية في الأسرة الزواجية التي وجدت من أجل إسعادهما .

وقد احتضنت كثير من المجتمعات الغربية " نظام الأسرة الزواجية " كنظام بديل للأسرة النواة التقليدية التي لم تعد ـ من وجهة نظر العديد من علماء الاجتماع الأسرى ـ نظامًا مناسبًا للحياة العصرية ، بعد خروج المرأة إلى العمل ، وتناقص وظائف الأسرة ، والتخلي عن تقسيم العمل وفق الجنس ، وضعف سلطة الوالدين على الأبناء ، والمساواة بين الرجل والمرأة وتقلص الروابط القرابية ، وانصراف الشباب عن الزواج التقليدى ، وسعيهم إلى الاستقلال عن أسرهم الأصلية ، ورغبتهم في ممارسة الحرية الشخصية في الزواج ، وإشباع حاجاتهم الفردية بالطريقة

التي يريدونها ويتصورون أنها تسعدهم . مما دعا إلى نظام أسرى جديد أو تعديل النظام الأسرى القائم إلى نظام حديث، يلبي مطالب الحياة العصرية وما طرأ عليها من تغيير ، فجاءت فكرة الأسرة الزواجية التي تبنت مبادئ الفردية والنفعية وحقوق الفرد وحريته الشخصية في قرارات الزواج وبناء الأسرة وغيرها من المبادئ، التي تقوم عليها الحياة في الثقافة الغربية المعاصرة .

وتؤكد الحياة الأسرية في الأسرة الزواجية على رباط الزواج أكثر من روابط الدم والقرابة ، وعلى إشباع حاجات الزوجين أكثر من الإنجاب وتربية الأبناء ، لأن الزواج لمصلحة الزوجين ، وليس لمصلحة المجتمع ، وفيه تقدم حقوق الفرد على حقوق الجماعة ، فلا يضحي أي من الزوجين بمصلحته الفردية من أجل الزوج الآخر ولا من أجل الأبناء . وهذا ما جعل الأسرة الزواجية نظامًا أسريًا جديدًا لا يصطدم بحقوق الفرد، ولا يربط الزوجين بالتزام أو واجبات تحد من حريتهما الشخصية ، فالأسرة للزوجين وبهما ، والاستمرار فيها أو الانفكاك عنها مرهون بإرادتهما ومصلحة كل منهما.

الفرق بين الأسرة الزواجية والأسرة النواة :

يستخدم بعض الباحثين العرب " الأسرة الزواجية " بمعنى الأسرة النواة ، وكأنهما مصطلحان مترادفان ، في حين يستخدمها آخرون على أنها نظام حديث فيه تعديل للأسرة النواة التقليدية أو تطوير لها ، (الجرداوى ، ١٩٨٦ وعفيفي ، ١٩٩٦، وبيرى ، ١٩٩٨).

لكن الموازنة بين النظامين تشيرُ إلى أنهما لا يتشابهان إلا في كون كل منهما جماعة صغيرة من الزوجين وأبنائهما، الذين يعيشون معًا وفي مكان واحد ، أما أوجه الاختلاف بينهما، فكثيرة نلمسها في الأهداف والعلاقات وتوزيع المسئوليات وأسلوب الحياة الأسرية . وأهم هذه الخلافات هي كالآتي :

أ- تركز الأسرة الزواجية على العلاقة الزواجية Couple oriented activities أكثر من تركيزها على رعاية الأطفالChild oriented activities ، في حين تركز الأسرة النواة على الأمرين معًا ، فتحرص على تنمية العلاقة الزواجية ورعاية

الأطفال معًا.

ب- الزواج في الأسرةِ الزواجية غاية وليس وسيلة . فالرجل والمرأة يتزوجان من أجل الزواج، الذي يشبع حاجاتهما معًا ، وينمي علاقة المودة والمحبة بينهما . أما الزواج في الأسرة النواة فوسيلة وليس غاية ، حيث يتزوج الرجل والمرأة من أجل بناء الأسرة، التي يجدان فيها الإشباع لحاجاتهما وتنشئة الأطفال .

ج- تقوم الأسرة الزواجية على رباط الزواج أو العلاقة بين الزوج والزوجة Husband-wife relationship ولا تقوم على علاقة الدم Blood relationship حيث تنشأ الأسرة بالزواج من أجل الزواج والاستمتاع بالزوج الآخر . في حين تقوم الأسرة النواة على العلاقة الزواجية ورباط الدم ، فهي تنشأ بالزواج وتكتمل بالإنجاب .

د- الزواج في الأسرة الزواجية مسألة فردية لا دخل للوالدين ولا المجتمع ولا الدين فيها ، أما الزواج في الأسرة النواة فمسألة اجتماعية أو دينية تنظمها تشريعات اجتماعية أو دينية .

هـ- لا سلطة للزوج على الزوجة ولا سلطة للوالدين على الأبناء في الأسرة الزواجية ، أما في الأسرة النواة فإن القوامة للرجل في الأسرة الأبوية وللمرأة في الأسرة الأمومية .

و- لا يوجد تقسيم للعمل وفق الجنس في الأسرة الزواجية . فالزوجان يعملان معًا خارج البيت وفي البيت وفي رعاية الأبناء ، ومسئولياتهما متساوية في الأنفاق والأعمال المنزلية ، أما في الأسرة النواة فإن الزوجين مسئولان معًا عن رعاية الأسرة لكن مسئوليات الزوج أكبر من مسئوليات الزوجة في الإنفاق والقوامة، ومسئوليات الزوجة أكبر من مسئوليات الزوج في الرعاية المنزلية ورعاية الأطفال . وقد أدى هذا التوزيع إلى زيادة مسئوليات الرجل في العمل خارج البيت وزيادة مسئوليات المرأة في العمل في داخل البيت ، أو قيام الرجل بالأدوار الوسيلية التي تمثل الأسرة في الخارج ، وقيام المرأة بالأدوار التعبيرية التي تحافظ على تماسك الأسرة وترابط أفرادها .

ز- تقوم " الأسرة الزواجية " على فلسفة ومبادئ تناسب الحياة في الثقافة الغربية، ولا تناسب الحياة في الثقافات الأخرى ، أما " الأسرة النواة التقليدية " فنظام عالمي يناسب الحياة في معظم المجتمعات القديمة والحديثة .

ح- الفلسفة التي تقوم عليها " الأسرة الزواجية " لا تصلح لقيام حياة أسرية مستقرة لأنها تشجع على الأنانية والفردية والاستقلالية ، وتقدِّم حقوق الفرد على حقوق الجماعة ، وتراعى حقوق الزواجية ولا تراعي حقوق الوالدية وروابط الدم ، مما يجعلها مهيأة للانفصال والطلاق .

أما الفلسفة التي تقوم عليها الأسرة النواة فتقوم على تحقيق التوازن بين مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة ، وتراعي حقوق الزوجية والوالدية وروابط الدم والقرابة ، وتشجع على التضحية المتبادلة وغيرها من القيم الاجتماعية التي تدعو للمحبةِ والترابط والتماسك في الأسرة .

* * *

الهوامش

١- قُدِّم تعريف الأسرة النواة في بحثٍ إلى موسوعةِ الأسرة التي تصدرها اللجنة الاستشارية العليا لاستكمال تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية بدولة الكويت، ونشر بالجزء الأول سنة ٢٠٠٣، وقد تم إدخال بعض التعديلات عليه لكي يناسب موضعه في الكتاب .

٢- لم نذكر الأسرة أحادية الوالدية " من امرأة غير متزوجة وأطفالها، لأنها وإن كانت موجودة بكثرة في المجتمعات الغربية، فإنها غير مقبولة في المجتمعات الإسلامية التي لا تسمح بوجود هذا النوع من الأسر .

٣- لا توجد أسر نواة من الزوجين وطفل أو أكثر بالتبنى في المجتمعات المسلمة لأنَّ الإسلام حرم التبني تحريمًا قطعيًا، وقد يوجد التبني في بعض الأسر غير المسلمة . لمزيد من المعلومات عن الحضانة العائلية والتبني يرجع إلى:

مرسى ، كمال إبراهيم (١٩٨٥) الحضانة العائلية : فلسفتها ونظامها في دولة الكويت . الكويت : وزارة الشئون الاجتماعية والعمل.

٤- قُدِّم تعريف الأسرة الممتدة في بحث إلى موسوعةِ الأسرةِ التي تصدرها اللجنة الاستشارية العليا لاستكمال تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية بدولة الكويت، ونشر بالجزء الأول سنة ٢٠٠٣، وقد تم إدخال بعض التعديلات ليناسب موضعه في الكتابِ.

وقُدِّم تعريف الأسرة الزواجية في بحث إلى موسوعة الأسرة التي تصدرها اللجنة الاستشارية العليا لاستكمال تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية بدولة الكويت، ونشر بالجزء الأول سنة ٢٠٠٣ وقد تم إدخال بعض التعديلات ليناسب موضعه في الكتاب .

* * *

الباب الثاني

التوافق الأسري (*)

(*) أعد هذا الباب سنة ٢٠٠٥ لنشره في كتاب جامعي لمقرر التربية الأسرية الذي يقدمه قسم علم النفس التربوي كلية التربية جامعة الكويت. ولم يتم إنجاز مشروع الكتاب الجامعي، فأضفته إلى كتاب الأسرة في طبعته الثانية، وجعلت عنوانه «الأسرة والتوافق الأسري» فالموضوعان متكاملان وفيهما إضافة للمكتبة العربية.

مقدمة الباب الثاني

التوافق عملية نفسية يقوم بها الإنسان في مجالات الحياة التي يعيشها ويتفاعل معها، ويؤثر فيها، ويتأثر بها، ويغيرها ويتغير معها. ويتميز " توافق الإنسان مع الحياة " بعدة خصائص نلخصها في الآتي :

(أ) قدرة الإنسان على التوافق مع مجالات الحياة المادية والنفسية والاجتماعية : فقد خلق الله الإنسان بقدرات عالية، وإمكانات متنوعة، تجعله قادرًا على تغيير حياته والتغير معها في مجالات الحياة جميعها.

(ب)**إرادة الإنسان في التوافق مع الحياة** : فقد جعل الله للإنسان إرادة في اختيار الأساليب أو السلوكيات التي يتوافق بها مع الحياة.

(ج) مسئولية الإنسان عن التوافق مع الحياة : فقد أعطى الله الإنسان الحرية في اختيار أفعاله أو سلوكياته التي يتوافق بها، وجعله مسئولًا عن هذه السلوكيات: فكل إنسان مسئول عن توافقه بالخير أو الشر، وسوف يحاسب عليه في الدنيا والآخرة.

ومجالات توافق الإنسان مع الحياة كثيرة أهمها توافقه مع نفسه، ويسمى "التوافق النفسي"، وتوافقه مع الناس ويسمى " التوافق الاجتماعي " ، وتوافقه مع الدراسة ويسمى " التوافق الدراسي " أو " التوافق التربوي " ، وتوافقه مع العمل ويسمى "التوافق المهني" ، وتوافقه مع الأسرة ويسمى " التوافق الأسري " وهو موضوع هذا الباب.

فالتوافق الأسري**Family adjustment** أحد المجالات الرئيسية التي يتوافق معها الإنسان، ونستدل عليه من سلوكيات الفرد في أسرته، وتعامله مع أهله ، وقيامه بواجباته ، وحصوله على حقوقه ، وجهوده في مواجهة مواقف الحياة الأسرية في السراء والضراء، وفق أدواره الاجتماعية التي أهمها دور: الزوج/

الزوجة ، الأب/ الأم ، الابن/ الابنة ، الأخ/ الأخت ،الجد/ الجدة، القريب/ القريبة، وغيرها من الأدوار في الأسرة النواة أو الأسرة الممتدة.

ويتطلب التوافق الأسري أن يقوم كل فرد بواجباته، ويحصل على حقوقه في الأسرة، فإذا حدث التقصير في الواجبات أو الحرمان من الحقوق اختل التوافق الأسري، واضطربت الحياة الأسرية، وأصبح الفرد المقصر في واجباته منحرفًا أو سيئ التوافق، وغدا الفرد المحروم من حقوقه محبطًا وسيئ التوافق أيضًا في الأسرة .

وقد يختل التوافق الأسري لأسباب من داخل الأسرة أومن خارجها، تمنع أفرادها مجتمعين أو منفردين من القيام بواجباتهم الأسرية، أو تحرمهم من الحصول على حقوقهم، أو تسبب الخلافات والمشكلات والضغوط التي تؤزم الأسرة، وتفسد العلاقات الاجتماعية فيها، وتجعلها في حاجة إلى الإرشاد والعلاج الأسري.

ونتناول في هذا الباب التوافق الأسري فنبين تعريفه وتصنيفه وأهميته، ثم نقوم بتحليله، وتحديد عناصره ومجالاته بهدف فهمه وتفسيره، ثم نناقش التوافق الأسري مع أحداث الحياة في السراء والضراء، وأخيرًا نناقش أهم مجالات التوافق الأسري وهو التوافق الزواجي، فنحلله إلى عناصره الأساسية، ونبين عوامل التوافق الزواجي الحسن، وكيف نحمي الزواج من التفاعل السلبي والتوافق السيئ، ونختم هذا الباب بمناقشة الإرشاد الزواجي والأسري ودورهما في التنمية والوقاية والعلاج في الحياة الأسرية.

* * *

الفصل الرابع

التعريف – التصنيف – الأهمية

تعريف التوافق الأسري

يأخذ علماء النفس التوافق الأسري بمعنيين نلخصهما في الآتي :

المعنى الأول : يجعل التوافق " حالة " state " تظهر في تآلف أفراد الأسرة وتقاربهم، واجتماع كلمتهم ، وارتباطهم معًا بروابط المودة والمحبة والرحمة، ويقابلها عدم التوافق، الذي يظهر في عدم التآلف والاختلاف والتنافر وعدم اجتماع الكلمة حول أمور الأسرة، وعدم الرضا عنها. ويقال التوافق الأسري في مقابل عدم التوافق الأسري (مرسى، ٢٠٠٢، راجح، ١٩٦١).

أما **المعنى الثاني** : فيجعل التوافق، " عملية process " يتم فيها إنجاز أعمال، وتحقيق أهداف، وإشباع حاجات، ومواجهة مشكلات، وتحمل ضغوط، واحتواء أزمات في الأسرة، وينقسم إلى: **توافق أسري حسن** Family well-adjustment عندما تكون سلوكيات أفراد الأسرة وأهدافهم مُرْضية لهم نفسيًا ومقبولة اجتماعيًا في مواجهة ما يحدث في الأسرة من أحداث يومية أو أحداث طارئة، **وتوافق أسري سيئ** Family mal-adjustment عندما تكون السلوكيات والأهداف غير مُرْضية نفسيًا وغير مقبولة اجتماعيًا (عوده ومرسى ، ٢٠٠١).

ويتضمن تعريفنا للتوافق الأسرى في هذا الباب المعنيين السابقين، ونعرفه بـ "قدرة أفراد الأسرة على التواؤم والتآلف مع بعضهم البعض، ومع مطالب الحياة الأسرية، ونستدل عليه من سلوكيات وتصرفات كل منهم وأساليبه في القيام بواجباته الأسرية وتحقيق أهدافه في الأسرة، وإشباع حاجاته والتعبير عن انفعالاته ومشاعره نحو أفراد أسرته. كما نستدل عليه من جهود أفراد الأسرة مجتمعين أو منفردين في مواجهة ما يحدث للأسرة من أحداث عادية أو طارئة.

ونخلص من هذا التعريف إلى ثلاثة استنتاجات نوجزها في الآتي:

أ- يُنْظَر إلى التوافق الأسري من زاويتين : **زاوية فردية** : ويقصد بها توافق كل فرد مع أسرته وقيامه بواجباته، وحصوله على حقوقه وفق أدواره الاجتماعية فيها. **وزاوية جماعية** : ويقصد بها توافق الأسرة كجماعة مع أحداث الحياة اليومية والطارئة: السارة والمحزنة. والزاويتان مترابطتان ومتداخلتان ولا يمكن الفصل بينهما إلا من أجل الدراسة.

ب- تختلف القدرة على التوافق الأسري من أسرة إلى أخرى وفق الأحداث التي تواجه كل منها ، وقدرات أفرادها على التواؤم والتآلف معًا ومع مطالب الحياة الأسرية، وما فيها من أحداث حلوة أو مرة، وما تحصل الأسرة عليه من مساندة اجتماعية من الأهل والأصدقاء والمجتمع.

ج- تحدث عملية التوافق الأسري عند أفراد الأسرة، ونستدل عليها من سلوكياتهم نحو بعضهم البعض، وجهودهم في مواجهة ما يحدث في أسرتهم من أحداث، وهذه السلوكيات والجهود تختلف من فرد إلى آخر في الأسرة الواحدة وفق أدواره الاجتماعية ، وشخصيته وظروفه وخبراته وعلاقاته الاجتماعية بأفراد أسرته .

تصنيف التوافق الأسري

يتم تصنيف التوافق الأسري على أساسين : القبول النفسي والاجتماعي لسلوكيات أفراد الأسرة وأهدافهم ، والجهود التي يبذلونها في تحقيق الوئام والتآلف، ومواجهة الأحداث في الأسرة . ونناقش هذين التصنيفين في الآتي:

التوافق الأسري الحسن والتوافق السيئ :

يصنف التوافق الأسري وفق قبول سلوكيات الفرد أو عدم قبولها من الناحيتين: النفسية والاجتماعية إلى سلوكيات تدل على توافق الفرد مع أسرته توافقا حسنا أو سيئا. ويكون **توافق الفرد في الأسرة حسنًا** إذا كان متآلفًا مع أفراد أسرته، وكانت سلوكياته في الأسرة مناسبة لسنه وجنسه وأدواره الاجتماعية ، ومتفقة مع عادات

المجتمع وتقاليده وقيمه ومعتقداته ، في حين يكون توافقه الأسري سيئًا إذ كان في شقاق مع أفراد أسرته جميعهم أو بعضهم، أو كانت سلوكياته في الأسرة لا تشبع حاجاته وتعرضه للأذى والحرمان، أو تزعج أسرته وتسيء إلى أفرادها، وتجعلهم غير راضيين عنه، وغير متآلفين معه، ومتذمرين من وجوده في الأسرة.

ويختلف التوافق الأسري من فرد إلى آخر في الأسرة الواحدة، فقد يكون أحد أفرادها متوافقًا توافقًا حسنًا، والآخر متوافقًا توافقًا سيئًا، أو يكون بعض أفراد الأسرة متوافقين توافقًا حسنا وغيرهم متوافقين توافقًا سيئًا.

وعادة تكون الأسرة حسنة التوافق إذا كان أفرادها – جميعهم أو غالبيتهم – متوافقين معًا، يقومون بواجباتهم، ويحصلون على حقوقهم ، ويساند بعضهم بعضًا في السراء والضراء، ويعذر بعضهم بعضًا فيما اختلفوا فيه، ويتعاونون في إنجاز ما اتفقوا عليه، ويسودهم المودة والرحمة والتماسك.

في حين تكون الأسرة سيئة التوافق ، إذا كان بعض أفرادها أو جميعهم متنافرين، وبينهم خلافات تعرضهم للضغوط والحرمان من حقوقهم في الأسرة، وتجعل علاقاتهم الأسرية مضطربة، وقد تؤدي إلى التفكك والتصدع في الأسرة.

التوافق الأسري السهل والتوافق الصعب :

ويصنف التوافق الأسري وفق ما يبذله أفراد الأسرة مجتمعين أو منفردين في تحقيق الوئام والتآلف، ومواجهة الأحداث في الأسرة إلى توافق أسري سهل، وتوافق أسري صعب. ويتم الحكم على التوافق الأسري بالسهولة أو الصعوبة وفق ظروف الأسرة وقدرات أفرادها ، وخبرات كل منهم في الأسرة وعلاقاته فيها – فيكون **التوافق الأسري سهلًا** عندما يحصل كل فرد فيها على ما يريد من الآخرين دون عقبات، أو بوجود عقبات بسيطة، يستطيع التغلب عليها بشيء من الجهد والمثابرة، فيجتهد في تحسين سلوكه ، وتعديل أهدافه أو تأجيلها أو التخلي عنها بإرادة وقناعة، دون أن يشعر بالإحباط أو الصراع.

أما عندما تواجه الفرد عقبات أو عوائق شديدة، لا يستطيع التغلب عليها،

وتحرمه من الحصول على حقوقه، فيكون توافقه في الأسرة صعبًا، يعرضه للإحباط أو الصراع، وقد يدفعه إلى الانحراف أو يسبب له الأمراض السيكوسوماتية[1] والاضطرابات النفسية والعقلية.

وليس كل "توافق أسري سهل" حسنًا، ولا كل "توافق أسري صعب" سيئًا. فقد يكون التوافق الأسري سهلًا وفي الوقت نفسه سيئًا، إذا حصل الفرد على ما يريده في الأسرة دون جهد، أو كان ما يريده غير مقبول أو ضارًا به وبغيره، أو حصل عليه بتصرفات غير مقبولة. فقد يريد المراهق شراء سجائر، ويحصل على النقود من أمه بسهولة، أو يريد الذهاب إلى السينما ويسرق ثمن التذكرة من أبيه دون جهد. فتوافق هذا المراهق في الحالتين سهل، لكنه توافق سيئ لأن التدخين غير مقبول من المراهق، والسرقة سلوك منحرف.

وقد يكون التوافق صعبًا ولا يحصل الفرد على ما يريد في الأسرة ويشعر بالإحباط، ومع ذلك يرضى ويتحمل ويصبر ويحتسب، ويتوافق مع المواقف توفقًا حسنًا، بأساليب مقبولة نفسيًا واجتماعيا في الأسرة.

وما ينطبق على توافق الفرد في الأسرة ينطبق على توافق الأسرة جميعها فقد يكون التوافق الأسري سهلًا ومع ذلك سيئًا، إذا كانت الأسرة تقبل الحرام، ويفرح أفرادها به لا سيما الراشدون منهم، الذين يحصلون على الحرام دون مشقة أو عقبات. فقد تكسب الأسرة مالًا كثيرًا من الاختلاس أو الغش والرشوة، وتساند الزوجة زوجها وتؤيده، دون وازع من ضمير، أو رادع من دين، أو خوف من سلطان، وتعيش الأسرة في انسجام ووئام وتآلف، إلا أن توافقها الأسري سيئ، ومصيرها إلى الضياع، لأن الحرام لا يبني أسرا متماسكة ، وإن اتفق أفرادها على قبول الحرام وتآلفوا معه بسهولة.

---

(١)الأمراض السيكوسوماتية أمراض جسمية سببها الضغوط النفسية والاجتماعية وتحتاج إلى العلاج الطبي لعلاج أعراضها والعلاج النفسي لعلاج أسبابها. من هذه الأمراض الصداع وارتفاع ضغط الدم وأمراض القلب والحساسية وتساقط الشعر وغيرها.

وقد يكون التوافق الأسرى صعبًا ومع ذلك يكون توافقًا حسنًا، إذا كانت الأسرة تواجه صعوبة أو مشكلة كبيرة، ويجتهد أفرادها في التغلب عليها، والوصول إلى حل لها أو التعايش معها والتأقلم مع ظروفها، والرضا بقضاء الله وقدره. فقد يولد للأسرة طفل معاق، وترضي به، وتجتهد في رعايته، ويحبه جميع أفرادها ، ويشجعونه علي الاندماج معهم . فهذه الأسرة وإن كانت في مشقه لأن إعاقة طفلها ليست بالأمر السهل _ إلا أن توافقها الأسرى حسن ، لأنها رضيت وتجاوزت صدمة الإعاقة، ورضيت بما قسمه الله لها، واجتهدت في رعاية طفلها.

وصعوبة التوافق في الأسرة مسألة نسبية تختلف من شخص إلى آخر، وفق ما يدركه كل منهما في الموقف، وتفاعله مع ما فيه من صعوبات، وما يشعر به من إحباط. فقد يكون التوافق الأسري سهلا بالنسبة لأحد الزوجين ، وصعبا للزوج الآخر، وقد يتحمل أحد الوالدين الخلافات مع الأبناء ويتجاوب مع مطالبهم، ويكون توافقه الأسري سهلا، في حين لا يتحمل الوالد الآخر هذه الخلافات ويجد صعوبة في التوافق الأسري مع الأبناء.

أهمية التوافق الأسري

تأتى أهمية التوافق الأسري من تأثير الأسرة علي تنشئة الإنسان وتنمية شخصيته، وتكوين مفهومه عن نفسه، وتحديد قيمه ومعتقداته واتجاهاته وميوله، وإكسابه الأساليب التي يتوافق بها مع نفسه ومع مواقف الحياة في المجالات المختلفة، لا سيما في المجالات الاجتماعية والتربوية والمهنية.

وتتضح أهمية التوافق الأسري من خلال مناقشة علاقته بتوافق الإنسان مع نفسه ومع المجتمع والمدرسة والعمل على النحو الآتي :

علاقة التوافق الأسري بالتوافق النفسي :

يقصد بالتوافق النفسي Psychological adjustment توافق الإنسان مع نفسه أو مع الذات، والذي يكون **توافقًا حسنًا**، يدل على الصحة النفسية ونضج الشخصية عندما يكون الإنسان راضيًا عن نفسه ، يحترمها ويحبها ويثق بها،

ويجاهدها في عمل ما يزكيها وينميها، ويبعدها عما يؤذيها أو يفسدها نفسيًا وجسميًا واجتماعيًا وروحيًا، ويعيش في أمن وأمان وسلام مع نفسه.

في حين يكون **التوافق مع النفس سيئًا**، يدل على الوهن النفسي وعدم نضج الشخصية عندما يكون الإنسان غير راض عن نفسه ، ساخطًا عليها، لا يثق فيها، ويشعر بالذنب، ويجري وراء الشهوات التي تضره جسميًا ونفسيًا واجتماعيًا وروحيًا، أو لا يقوم بواجباته نحو ربه ونحو نفسه والناس، أو يهمل في الدراسة إن كان طالبًا، وفي العمل إن كان موظفًا، أو يرتكب الجرائم ويدمن المخدرات والكحوليات، أو يعيش في قلق وصراع، وهَمّ وحزن وشقاء واضطراب.

ويعتمد توافق الإنسان مع نفسه على توافقه مع أسرته، فالإنسان الذي ينشأ في أسرة متماسكة مترابطة (التوافق الأسري الحسن) يشعر بالأمن والأمان، وينمو نموا سويًا، يثق في نفسه وفي الناس، ويُقْبل على الخير، ويبتعد عن الشر (التوافق النفسي الحسن) ويكون متمتعًا بصحة نفسية بدرجة كبيرة، يشكر ربه في السراء ويصبر ويحتسب في الضراء.

أما الإنسان الذي ينشأ في أسرة مفككة أو متصدعة لأي سبب من الأسباب (التوافق الأسري السيئ) فإنه يتعرض للحرمان والإحباط والظلم في علاقته بوالديه وإخوته، ويعيش في اضطراب، ويختل نموه النفسي، ويصبح مهيئا لنمو ما يسميه بعض علماء النمو النفسي والصحة النفسية " **الجعبة النفسية المنفرة** " التي تضم مفهوم الذات السيئ Low self concept والشعور بالذنب، والشعور بالنقص والدونية واحتقار الذات، فلا يرضى عنها، وتضطرب علاقته بنفسه التي تأخذ أشكالًا مختلفة من الانحرافات السلوكية والاضطرابات النفسية والأمراض السيكوسوماتية، ويعيش في هَمّ وشقاء (Gallo & Troyel, 2003).

فالتوافق الأسري هو المسئول الأول عن نشأة الإنسان، ونموه السوى وغير السوى، الصالح والطالح. ولا نكون مبالغين إذا قلنا إن صلاح الفرد مرتبط بتماسك الأسرة التي نشأ فيها، وفساده أو انحرافه مرتبط بتفكك هذه الأسرة، واختلال العلاقات بين أفرادها.

ولا ينكر أحد دور التوافق الأسري في تكوين شخصية الإنسان في الطفولة وصقلها في المراهقة. فالإنسان الذي ينشأ في أسرة مترابطة حسنة التوافق ينشأ زكي النفس، سهل العشرة حسن الخلق متحمسا للنجاح والتفوق، أما الإنسان الذي ينشأ في أسرة مفككة سيئة التوافق، فإنه ينشأ معتل النفس، صعب المعاشرة، سيئ الخلق متمردًا ومنحرفا (لازاروس، ١٩٨٥و علي، ١٩٧٠).

ولدى علماء علم النفس الإكلينيكي والطب النفسي قائمة طويلة من الانحرافات السلوكية والاضطرابات النفسية والعقلية والأمراض السيكوسوماتية التي ترتبط بأنماط التوافق الأسري السيئ، والتي تختلف في " الأسر المولدة للفصام " عنها في " الأسر المولدة للجناح أو المولدة للقلق والاكتئاب " وغيرها من الاضطرابات النفسية والعقلية (سوين، ١٩٧٩). وتحتاج الأسر المولدة للفصام أو الجناح أو القلق أو الاكتئاب وغيرها من الأسر المولدة للانحرافات إلى " الإرشاد والعلاج الأسري Family counseling ، لمساندتها ومساعدتها على حل مشكلاتها، ومواجهة أزماتها، وتعديل توافقها الأسري، وإصلاح ذات البين فيها، حتى يستقر أفرادها في حياتهم الأسرية، ويتحسن توافقهم النفسي: فلن ينجح العلاج النفسي مع حالات الفصام والجناح والقلق والاكتئاب إلا من خلال تعديل التوافق في الأسر التي يعيشون فيها، وتحويله من التوافق الأسري السيئ إلى التوافق الأسري الحسن (كفافي، ١٩٩٩).

علاقة التوافق الأسري بالتوافق مع مجالات الحياة :

لا يقف تأثير التوافق الأسري على توافق الإنسان مع نفسه بل يمتد إلى توافقه في ميادين الحياة جميعها، والتي تشغل مع توافقه النفسي والأسري حياته كلها، وتكون سعادته وصحته النفسية في التوافق الحسن معها، وشقاؤه وتعاسته وضنكه وانحرافه في التوافق السيئ معها.

ومن أهم ميادين الحياة التي يعتمد نجاح الإنسان فيها وتوافقه معها على توافقه الأسري في ثلاثة ميادين هي : ميدان التعامل مع الناس (التوافق الاجتماعي)، وميدان الدراسة واكتساب العلم (التوافق التربوي)، وميدان العمل وكسب الرزق

(التوافق المهني). ونناقش فيما يلي علاقة التوافق الأسري بالتوافق في هذه المجالات الثلاثة:

١ - المجال الاجتماعي :

مع أن التوافق الأسري شكل من أشكال التوافق الاجتماعي Social adjustment ، فإن تأثيره كبير على توافق الإنسان مع الناس من غير الأهل والأقارب. فالإنسان الذي نشأ في أسرة متماسكة (التوافق الأسري الحسن) ينمو نفسيًا نمو سويًا، ويتعلم فيها حُسْن الخلق مع الناس (التوافق الاجتماعي الحسن) فيحترم الكبير، ويعطف على الصغير، ويساعد الضعيف، ويتعاون مع الزملاء والأصدقاء والجيران، وينصر المظلوم، ويواسي المكلوم، ويعمل الخير للناسْ ابتغاء مرضاة الله، ويلتزم بالحلال، ويبتعد عن الحرام، ويتزوج عندما يبلغ سن الزواج ويقدر على مسئولياته، ويرعى الزوج الآخر، وينجب الأطفال ويربيهم، ويضحي من أجل استقرار أسرته وتماسكها، فالزواج والإنجاب وتربية الأبناء وبر الوالدين وصلة الرحم جزء لا يتجزأ من التوافق الاجتماعي لكل مسلم بالغ عاقل، نشأ في أسرة مستقرة، غرست فيه هذه القيم.

ويتفق المتخصصون وغير المتخصصين على أن الإنسان حسن الخلق يكون من أسرة طيبة أو صالحة أحسنت تربيته (مرسى، ٢٠٠٠). أما الإنسان الذي نشأ في أسرة مفككة (التوافق الأسري السيئ) فإنه ينمو نفسيًا نموًا غير سوي، قد يجعله سيئ الخلق مع الناس، ومهيئا للتمرد على سلطة المجتمع. وقد يشجع التوافق الأسري السيئ الأبناء في الأسرة على الانتماء إلى رفاق السوء، ويدفعهم إلى الجناح والإجرام والإدمان ومخالفة القوانين، وقد يجعلهم يتقاعسون عن الواجبات ويستخفون بالزواج والأسرة والإنجاب وتربية الأبناء، ويجاهرون بالعقوق وقطيعة الأرحام (التوافق الاجتماعي السيئ).

٢ - المجال الدراسي :

يقصد به التوافق التربوي Educational adjustment ، أي توافق التلميذ أو الطالب مع دراسته ومدرسته أو معهده أو جامعته، والذي يكون حسنًا إذا كان

التلميذ راضيًا عن دراسته وناجحًا فيها، وعلاقاته طيبة بمعلميه وزملائه، ويكون توافقه سيئًا إذا كان فاشلًا في دراسته أو في علاقاته في المدرسة أو فيهما معًا.

ويقوم التوافق التربوي الحسن على الاستقرار الأسري ، وتعاون الأسرة مع المدرسة في رعاية التلاميذ ومتابعتهم، فنسبة كبيرة من التلاميذ الناجحين والمتفوقين في دراستهم يأتون من أسر يسودها الأمن والأمان والمودة والرحمة بين أفرادها (التوافق الأسري الحسن)، في حين يأتي نسبة كبيرة من التلاميذ الذين تحصيلهم الدراسي أقل من قدراتهم under - achievers والمتسربين دراسيًا والمشاغبين في مدارسهم وغير المنتظمين في دراستهم من أسر مفككة، يسودها الشقاق والخلافات وترتفع فيها معدلات الهجر والطلاق والصدمات (التوافق الأسري السيئ). ولا يمكن إصلاح أمر هؤلاء التلاميذ إلا بإصلاح أمر أسرهم. فلن يستقروا في مدارسهم، وينجحوا في دراستهم، إلا إذا استقروا في أسرهم، وشعروا بالأمن والأمان في علاقاتهم بوالديهم وأهليهم.

من هنا كان حرص خبراء التربية على تقديم الخدمات الاجتماعية والنفسية في المدرسة الحديثة من أجل " نجاح العملية التربوية "، والذي أصبح مرهونًا باستقرار أسر التلاميذ وتعاونها مع المدرسة. فقد تبين من نتائج دراسات عديدة أن أبناء الأسر المستقرة أكثر من أبناء الأسر المفككة حرصًا على التعليم، وأقوى رغبة في النجاح والتفوق في الدراسة، وأفضل انتظامًا في المدرسة، وأحسن أخلاقًا في التعامل مع معلميهم وزملائهم، أي أكثر توافقًا في مدارسهم (Zill, et al., 1993).

٣- المجال المهني :

ويقصد به توافق العامل مع عمله والذي يكون توافقًا حسنًا إذا كان العامل راضيًا عن عمله Vocation adjustment ، ومنتجًا فيه، وعلاقته طيبة بزملائه ورؤسائه ومرؤوسيه، ويكون توافقًا سيئًا إذا كان غير راض عن عمله،أو إنتاجيته

قليلة أو علاقاته في العمل غير طيبة(راجح،١٩٦١).

ويسهم توافق العامل في أسرته في توافقه مع عمله. فنسبة كبيرة من العمال الذين يعيشون في أسر مستقرة (التوافق الأسري حسن) منتظمون في أعمالهم ومجتهدون في الإنتاج، ومبدعون في العمل، وعلاقاتهم طيبة بمن يعملون معهم (التوافق المهني الحسن)، أما العمال الذين يعيشون في أسر مفككة (التوافق الأسري سيئ) فنسبة كبيرة منهم غير منتظمين في أعمالهم وقليلو الإنتاج، ومشكلاتهم كثيرة في العمل، ويقعون في حوادث كثيرة، ويتغيبون كثيرًا عن العمل (التوافق المهني السيئ) ويتسببون في خسائر كبيرة للمصانع والشركات وللاقتصاد القومي.

وتحرص كثير من الشركات والمؤسسات الحديثة على استقرار العمال في أسرهم من خلال تقديم الخدمات السكنية والصحية والاجتماعية والنفسية للعامل وأسرته، فقد لمس خبراء الإدارة العلاقة الوثيقة بين استقرار العامل في أسرته من ناحية، واستقراره في العمل وارتفاع معنوياته وزيادة إنتاجيته من ناحية أخرى (Gaesser & Whitbowrne, 1985).

تلخيص

يهدف هذا الفصل إلى تعريف القارئ بالتوافق الأسري، الذي يؤخذ بمعنى الحالة التي تظهر في التآلف واجتماع الكلمة، ويقال التوافق في مقابل عدم التوافق، ويؤخذ بمعنى العملية التي يتم فيها إنجاز أعمال وتحقيق أهداف، ويقال التوافق الحسن في مقابل التوافق السيئ.

ونُعرّف التوافق الأسري بأنه " قدرة أفراد الأسرة على التواؤم والتآلف معًا ومع مطالب الحياة الأسرية". ونستدل عليه من أساليب كل فرد منهم في القيام بواجباته، وحصوله على حقوقه، ومن جهود الأسرة في مواجهة ما يحدث لها من أحداث في مواقف السراء والضراء.

وقد يكون التوافق الأسري سهلًا أو صعبًا وفق الصعوبات والضغوط التي تواجه الأسرة، والتي يختلف إدراكها من أسرة إلى أخرى، ومن فرد إلى آخر في الأسرة الواحدة. فقد يكون التوافق سهلًا لأسرة، وصعبًا لأسرة أخرى، أو سهلًا لفرد وصعبًا لفرد آخر في الأسرة نفسها.

وليس كل توافق أسرى سهل توافقًا حسنًا، ولا كل توافق أسري صعب توافقًا سيئًا. فقد يكون التوافق سهلًا ومع ذلك يكون سيئًا، وقد يكون التوافق صعبًا ومع ذلك يكون حسنًا، وفق سلوكيات الأفراد ومدى مناسبتها للموقف والعادات والتقاليد وقيم المجتمع ومعتقداته.

ويؤثر توافق الإنسان مع أسرته على توافقه مع نفسه ومع المجتمع والدراسة والعمل، فإذا نشأ الإنسان في أسرة حسنة التوافق كان سعيدًا في حياته، ومتوافقًا توافقًا حسنًا مع نفسه ومع الناس والعمل والدراسة، وإذا نشأ في أسرة سيئة التوافق كان شقيًا في حياته، ومتوافقًا توافقًا سيئًا مع نفسه والناس والعمل والدراسة، ويعاني المشكلات النفسية والانحرافات السلوكية والأمراض الجسمية.

* * *

الفصل الخامس
تحليل التوافق الأسري

التوافق الأسري عملية معقدة وليس عملية بسيطة، أو هو عملية مركبة من عمليات فرعية وليس عملية واحدة، ويتطلب فَهْم التوافق تحليله ودراسة عناصره أو عملياته الفرعية لكي نعرف طبيعته ودوافعه ودينامياته ومحدداته، ونقف على عوامل التوافق الأسري الحسن والتوافق الأسري السيئ، ونسعى إلى تنمية التوافق الحسن، والوقاية من التوافق السيئ، ونعمل على علاج صعوبات الحياة الأسرية أو التعايش معها حتى تستقر الأسرة ويتماسك أفرادها.

والتوافق الأسري ليس توافقًا واحدًا وإنما توافق متعدد الأبعاد أو المجالات بتعدد الأفراد الداخلين فيه، وتنوع أدوارهم الاجتماعية في الأسرة.ويقوم التوافق الأسري على خصائص وأساليب وعوامل تختلف من مجال أسري إلى مجال أسري آخر، مما يجعلنا نتعامل مع التوافق الأسري على مستوى العامل العام، أي التوافق الأسرى العام الذي هو محصلة التوافق في مجالات الأسرة المختلفة، والتوافق الأسري الخاص بكل مجال من مجالات الحياة الأسرية، ونتناول في هذا الفصل تحليل التوافق الأسري فنبين عناصره وعملياته أو مكوناته ثم تحديد مجالاته.

عمليات التوافق الأسري

يتكون التوافق الأسري من عمليتين رئيسيتين : إحداهما تحدث في داخل أفراد الأسرة، وتسمى **التفاعل الأسري**، والثانية تحدث في خارجهم ونلاحظها في سلوكياتهم أو تصرفاتهم، وتسمى **ردود الأفعال أو الاستجابة في الموقف** (جلال،١٩٧٢). والعمليتان – التفاعل ورد الفعل – مترابطتان ، ولا يمكن الفصل بينهما إلا من أجل الدراسة، لأنها يحدثان معًا، ولا يحدث التوافق الأسري إلا بهما، فلا توافق دون تفاعل وردود أفعال، ولا تفاعل دون رد فعل، ولا رد فعل دون تفاعل. والشكل رقم (٢-١) يبين التوافق الأسري وعملياته اللاإرادية في

داخل أفراد الأسرة، وردود أفعالهم الإرادية التي تظهر في سلوكياتهم أو تصرفاتهم، التي نلاحظها ونشاهدها ونلمسها في تعاملهم معًا في المواقف الأسرية (مرسى ، ٢٠٠٢).

عمليات التوافق الأسري الفرعية	١ - التفاعل الأسري الملاحظة الإدراك التقويم الانفعال	عمليات لا إرادية معرفية ووجدانية	عمليات تحدث داخل الفرد ولا نلاحظها مباشرة
	٢ - ردود الأفعال الكلام الحركات التعبيرات	عمليات إرادية نفس حركية	عمليات تحدث خارج الفرد ونلاحظها مباشرة في السلوك

(الشكل رقم ٢-١) عناصر التوافق الأسري الرئيسية والفرعية

ونتناول فيما يلي هذه العناصر بشيء من التفصيل :

أولاً : التفاعل الأسري : Family interaction

ونقصد به عملية التأثير المتبادل بين أفراد الأسرة في تعاملهم مع بعضهم

البعض، وفي مواجهة أحداث الحياة الأسرية، بحيث يكون سلوك كل فرد فيها مترتبًا على سلوك الآخر أو الآخرين، الذين يتعامل معهم في الأسرة.

وينقسم التفاعل الأسري إلى: **تفاعل أسري إيجابي** Family positive interaction أو تفاعل أسري صحي Family healthy interaction عندما يشعر الفرد مع مَنْ يتفاعل معه في الأسرة بالرضا والارتياح والأمن والحب والمودة والأنس، وغير ذلك من المشاعر الطيبة الجالبة للفرح والسرور والسعادة في الأسرة. **وتفاعل أسري سلبي** Family negative interaction أو تفاعل أسري غير صحي Family unhealthy interaction عندما يشعر الفرد مع مَنْ يتفاعل معه في الأسرة بالتوتر والضيق والسخط والغضب والخوف وعدم الإرتياح والعداوة والحزن والغم والنكد، وغيرها من المشاعر المؤلمة الجالبة للشقاء والتعاسة في الأسرة.

ويحدث التفاعل الأسري في داخل أفراد الأسرة مجتمعين أو منفردين في مواقف الحياة الأسرية، ولا سبيل إلى معرفته والحكم عليه إلا من ردود أفعال كل منهم في الموقف، أو من خلال ما يخبر به الفرد عما في داخله من مشاعر وانفعالات نحو أفراد أسرته في مواقف الحياة اليومية.

عمليات التفاعل: ويضم التفاعل الأسري أربع عمليات فرعية مترابطة ومتداخلة ، لا يمكن الفصل بينها إلا من أجل الدراسة (مرسي ، ٢٠٠٢). وهذه العمليات هي :

أ- الملاحظة : ونقصد بها عملية حسية تنقل ما يقع على الحواس الخمس (السمع والبصر واللمس والشم والتذوق) إلى مراكز الإحساس في المخ. فالتفاعل الأسري يبدأ مما يقع على حواس الفرد من أحداث وسلوكيات تحدث في الأسرة، وتنقلها حواسه – لا سيما السمع والبصر والشم – إلى المخ ليحدث الإدراك.

ب- الإدراك : عملية عقلية تتبع الإحساس، يتم فيها إعطاء ما يأتي عن طريق

الحواس معنى، وفهمه واستيعابه وتفسيره، وينقسم الإدراك إلى خمسة أنواع : **الإدراك السمعي** (ما يأتي عن طريق حاسة السمع من كلام)، **والإدراك البصري** (ما يأتي عن طريق العين من حركات وتعبيرات وأشكال وألوان)، **والإدراك الشمي** (ما يأتي عن طريق حاسة الشم) والإدراك اللمسي والإدراك التذوقي.

ويتأثر إدراك الفرد في الموقف بحالته النفسية وذكائه وخبراته السابقة ومعتقداته، وعلاقته بما يحدث في الأسرة. فالإدراك عملية عقلية أو معرفية ذاتية، تتأثر بما يحدث في داخل الفرد أكثر من تأثرها بما يحدث في خارجه من أحداث وسلوكيات.

ج- **الانفعال** : عملية نفسية تتأثر بالإدراك وتؤثر فيه، فكل فرد في الأسرة ينفعل بما يحدث فيها وفق ما يدركه ويفهمه ويستوعبه، كما أنه يدرك ويفهم ما يحدث في الأسرة وفق انفعاله بالحدث. وتنقسم الانفعالات إلى : **انفعالات إيجابية** جالبة للرضا والفرح والسرور، **وانفعالات سلبية** جالبة للضيق والحزن والخوف والغضب.

وتتأثر عملية الانفعال بشخصية الفرد وقدراته وخبراته وعلاقاته بما يحدث في الأسرة وبأهله . فالانفعالات كالإدراك تتأثر بما يحدث في داخل الفرد من تفكير أكثر من تأثرها بالأحداث التي تثيرها من خارج الفرد.

د- **التقويم** : عملية عقلية معرفية، تتضمن تقويم الفرد لما يدركه من أحداث وسلوكيات في الموقف واستيعابه لها وانفعاله بها، ثم يختار" رد الفعل " المناسب لمواجهة الموقف، وفق ما يريده هو وأخلاقه وشخصيته ودينه. ويرتبط التقويم بالإدراك والانفعال ويتأثر بهما، ويؤثر فيهما. وهو مثلهما يتأثر بعوامل ذاتية ترجع إلى الفرد نفسه أكثر مما ترجع إلى الأحداث التي حدثت في الأسرة.

ثانيًا : رد الفعل : Reaction

بعد أن يتم التفاعل داخل الفرد يستجيب بردود أفعال نفس حركية Psychomotor process، تتضمن الكلام: والإشارات والحركات والإيماءات

والتعبيرات الناتجة عن تفاعله مع الآخرين أو مع ما يحدث في الأسرة. وتظهر ردود الأفعال في معظمها خارج الفرد، وتقع على حواس الآخرين في الأسرة، ويتفاعلون معها، ويردون عليها بردود أفعال جديدة يلاحظها هو، ويتفاعل معها ويرد عليهـا. وهكذا تستمر عمليات التفاعل وردود الأفعال عند الفرد أو الأفراد في الأسرة حتى ينتهي الموقف الأسري.

ويتحدد شكل توافق الفرد مع الأسرة "حسنًا أو سيئًا" وفق ردود أفعاله وليس وفق تفاعله في الأسرة، لأن ردود الأفعال هي التي تظهر لنا ونلمسها ونلاحظها، أما التفاعل فيرتبط بالقصد والنية والانفعالات التي تحدث في داخل الفرد ولا نشاهدها، ولكن نشاهد ردود الأفعال التي تنتج عنها، والتي قد تكون مقبولة فتدل على التوافق الحسن، أو غير مقبولة فتدل على التوافق السيئ.

يضاف إلى هذا أن ردود الأفعال عملية نفس حركية إرادية، تخضع لإرادة الفرد أما التفاعل فعملية نفسية لا إرادية لا يتحكم أحد فيها، فكل فرد لا يتحكم في إدراكه وفهمه وتفسيره وانفعالاته ومشاعره، لكنه يتحكم في ردود أفعاله؛ التي هي تصرفات يقصدها، أو استجابات يريدها ومسئول عنها، ويثاب عليها إن كانت حسنة و مقبولة، و يعاقب عليها إن كانت سيئة و غير مقبولة " **فمن يعمل مثقال ذرة خيرًا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرًا يره** " (سورة الزلزلة: ٧و٨).

معايير الحكم على التوافق الأسري:

ويتم الحكم على ردود أفعال الفرد في التوافق الأسري وفق أربعة معايير نلخصها في الآتي :

أ- **الموقف** : فردود الأفعال التي تُقْبل في موقف لا تُقْبل في موقف آخر، والتي تكون فعالة في موقف قد لا تكون فعالة في موقف آخر (ردود أفعال مناسبة للموقف).

ب- **السن** : فالسلوكيات المقبولة من الصغار قد لا تكون مقبولة من الكبار في

الموقف نفسه (ردود أفعال مناسبة للسن).

ج- **الجنس** : فالسلوكيات المقبولة من الإناث قد لا تكون مقبولة من الذكور في الموقف الواحد (ردود أفعال مناسبة للجنس).

د- **العادات والتقاليد والقيم والمعتقدات الدينية** : فالسلوكيات التي يحبذها مجتمع قد يستنكرها مجتمع آخر (ردود أفعال مناسبة للعادات والمعتقدات).

وتكون ردود الأفعال مقبولة وتدل على التوافق الحسن إذا كانت مناسبة للموقف والسن والجنس والعادات والتقاليد والمعتقدات، وتكون غير مقبولة وتدل على التوافق السيئ إذ كانت غير ذلك.

علاقة التفاعل بردود الأفعال:

ومع أن ردود أفعال الفرد ناتجة عن تفاعله مع الآخرين ومع ما يحدث في الأسرة، فليس كل تفاعل سلبي يجعل التوافق سيئًا، ويؤدي إلى ردود أفعال غير مقبولة، وليس كل تفاعل إيجابي يجعل التوافق حسنًا، ويؤدي إلى ردود أفعال مقبولة، فقد يكون التفاعل سلبيًا وردود أفعال الفرد مقبولة وتوافقه حسنًا، إذا كظم غيظه، وملك نفسه عند الغضب، وسيطر على انفعالاته السلبية، واستجاب بسلوكيات أو تصرفات مقبولة، لا تثير غضب مَنْ يتفاعل معه، وقابل السيئة بالحسنة وصفح عمن ظلمه، وتسامح مع من أخطأ في حقه، وصبر واحتسب في الشدائد، وغيرها من السلوكيات التي تدل على إرادة قوية ونضج في الشخصية، ويحبذها المجتمع، ويحث الإسلام عليها، لا سيما مع الأهل. فقد قال رسول الله ﷺ: **"ألا أنبئكم بما يشرف البنيان ويرفع الدرجات"** قالوا: " بلى يا رسول الله " قال: **"تحلم عمن جهل عليك، وتعفوا عمن ظلمك، وتعطي من حرمك، وتصل من قطعك "** (رواه الطبراني). وقال أيضًا: **" ليس القوي بالصرعة ولكن القوي من يملك نفسه عند الغضب "** (رواه البخاري).

وقد يكون التفاعل مع الأسرة إيجابيًا والتوافق معها سيئًا، عندما لا يسيطر الفرد

على انفعالاته الإيجابية في الفرح، ويندفع إلى سلوكيات أو تصرفات غير مهذبة، أو غير مناسبة للموقف أو السن أو الجنس أو العادات أو الدين. فالانفعال بالفرح الشديد مع أنه تفاعل إيجابي قد يضر بصاحبه، ويدفعه إلى ردود أفعال مزعجة، تجعل توافقه الأسري سيئًا. فقد تفرح الزوجة بعودة زوجها الغائب، وتسقط صريعة المرض من شدة الفرح، وقد تفرح الأسرة بنجاح ابنها أو زواجه وتقيم الحفلات التي ترتكب فيها المحرمات، وتنتهك فيها الأعراض، وتشرب فيها المنكرات.

والشكل رقم (٢-٢) يبين علاقة التفاعل الأسري بردود الأفعال في التوافق الأسري، ونجد فيه أن التوافق الأسري الحسن يحدث في الحالين : (١) و (٣)، أي عندما يكون التفاعل الأسري إيجابيًا أو سلبيًا وردود أفعال أفراد الأسرة حسنة، بينما يحدث التوافق الأسري السيئ في الحالين : (٢) و (٤) أي عندما يكون التفاعل الأسري إيجابيًا أو سلبيًا وردود أفعالهم سيئة وغير مقبولة.

التوافق الزواجي	جانب التوافق الخارجي ردود الأفعال		
جانب التوافق الداخلي	شكل التوافق / شكل التفاعل	حسنة	سيئة
	إيجابي	(١)	(٢)
التفاعل الأسري	سلبي	(٣)	(٤)
		حالات التوافق الأسري	

(شكل رقم ٢-٢)

علاقة التفاعل بردود الأفعال في التوافق الأسري .

كما نستشف من علاقة التفاعل الأسري بردود الأفعال أن مفاهيم التوافق والرضا والسعادة في الأسرة ليست مفاهيم مترادفة، **لأن التوافق الأسري** كما أشرنا يكون حسنًا إذا كان التفاعل الأسري إيجابيًا أو سلبيًا وردود الأفعال مقبولة، ويكون سيئًا إذا كان التفاعل إيجابيًا أو سلبيًا وردود الأفعال سيئة.أما الرضا الأسري **family satisfaction فيكون في التوافق الأسري** الحسن سواء كان التفاعل مع الأسرة سلبيًا أو إيجابيًا، **أما السعادة الأسرية family happiness** فتكون في التوافق الأسري الحسن الناتج عن التفاعل الإيجابي مع الأسرة، وليس عن التفاعل السلبي.. والشكل رقم (٢-٣) يبين العلاقة بين التوافق والرضا والسعادة في الأسرة.

حالات العلاقة بين التفاعل وردود الأفعال	شكل التوافق الأسري	الرضا الأسري	السعادة الأسرية
(١) تفاعل إيجابي مع ردود أفعال حسنة	توافق حسن	و رضا أسري قوي	وسعادة أسرية
(٢) تفاعل إيجابي مع ردود أفعال سيئة	توافق سيئ	و عدم رضا أسري	--
(٣) تفاعل سلبي مع ردود أفعال حسنة	توافق حسن	و رضا أسري	--
(٤) تفاعل سلبي مع ردود أفعال سيئة	توافق سيئ	وكراهية للحياة الأسرية	شقاء أسري

(شكل رقم٢ - ٣)

علاقة التوافق بالرضا والسعادة في الأسرة

ونجد في الشكل السابق أن التوافق الأسري الحسن لا يدل على السعادة الأسرية

إلا إذا كان تفاعل أفراد الأسرة معًا إيجابيًا وردود أفعالهم مقبولة نفسيًا واجتماعيًا. كما لا يدل التوافق الأسري السيئ على الشقاء في الحياة الأسرية إلا إذا كان تفاعل أفراد الأسرة معًا سلبيًا، وردود أفعالهم غير مقبولة نفسيًا واجتماعيًا. فالسعادة الأسرية في التوافق الحسن القائم على التفاعل الإيجابي وردود الأفعال المقبولة، والشقاء في الأسرة في التوافق السيئ القائم على التفاعل السلبي وردود الأفعال غير المقبولة.

مجالات التوافق الأسري

التوافق الأسري ليس توافقًا واحدًا ، وإنما توافق متعدد الأنواع، أو متعدد الأبعاد والمجالات Family multi-adjustment dimensions وفق حجم الأسرة، وتنوع العلاقات بين أفرادها، وتعدد الأدوار الاجتماعية فيها. فمجالات التوافق في الأسرة الممتدة أكثر من مجالات التوافق في الأسرة النواة، لوجود أدوار الجد والجدة والحفيد والحفيدة، والعم والعمة، والخال والخالة، وغيرها من الأدوار التي لا توجد في الأسرة النواة. ونتناول فيما يلي أربعة مجالات للتوافق الأسري في كل من الأسرة النواة والأسرة الممتدة.

١- مجال الزواج :

المجال الأول في التوافق الأسري هو التوافق الزواجي، ونقصد به توافق الزوجين معًا ومع مطالب الزواج ، ونستدل عليه من سلوك الزوجين معًا، ومشاعرهما نحو بعضهما البعض، وقيامهما بواجباتهما ، وحصول كل منهما على حقوقه الزواجية، وجهودهما في تحقيق أهداف الزواج الشرعية. ويكون **التوافق الزواجي حسنًا** إذا كانت سلوكيات كل من الزوجين مقبولة من الزوج الآخر، وتشبع له حاجاته الجسمية والنفسية والاجتماعية والروحية، وتجعله يسكن إليه، ويشعر بمودته ورحمته، **في حين يكون التوافق الزواجي** سيئًا إذا كانت سلوكيات كل من الزوجين مزعجة للزوج الآخر، وتحرمه من إشباع حاجاته، وتجعله ينفر

منه، ولا يطمئن إليه، وتنعدم المحبة والمودة والرحمة بينهما.

ويتفق خبراء الإرشاد والعلاج الأسري على أن التوافق الزواجي Marital adjustment أهم مجالات التوافق الأسري، فإذا توافق الزوجان معًا توافقًا حسنًا كانت الأسرة متماسكة ومترابطة، وسادها الوئام والانسجام، أما إذا توافقا توافقًا سيئًا تفككت الأسرة، واضطربت العلاقات فيها ، وساء توافق أفرادها مع بعضهم البعض، وكانت الأسرة مهددة بالتصدع والتفكك، وكان أفرادها معرضين للانحراف.

٢- مجال الوالدية:

مجال الوالدية هو المجال الثاني من التوافق الأسري، ونقصد به توافق كل من الوالدين مع واجبات الوالدية وحقوقها، ونستدل عليه من سلوكيات كل من الأب والأم نحو أبنائهما ومعاملتهما لهم، وفهمهما لحاجاتهم ومطالب نموهم، وأسلوبهما في علاج مشكلاتهم. ويكون **التوافق الوالدي حسنًا** في الأسرة إذا كان الوالدان متقبلين لدورهما في تنشئة أطفالهما، ومتعاونين في رعايتهم وتنميتهم، وحريصين على حمايتهم وعلاج مشكلاتهم بمودة ورحمة. في حين يكون **التوافق الوالدي سيئًا** إذا كان الوالدان متذمرين من الوالدية، مهملين لدورهما في التنشئة الاجتماعية، ويعرضان أطفالهما للأذى والحرمان والانحراف (Beavers , 1985).

ويرتبط التوافق الوالدي Parental adjustment بالتوافق الزواجي ويتأثر به، فالوالدان المتوافقان زواجيًا توافقًا حسنًا قادران على العطاء لأبنائهما، ومعاملتهم معاملة جيدة. أما الوالدان المتوافقان زواجيًا توافقا سيئًا فقد لا يقبلان أطفالهما من هذا الزواج، وتدفعهما دوافع شعورية ولا شعورية إلى إهمال رعايتهم، أو الإساءة إليهم. فالأم التعيسة في زواجها لا تستطيع إعطاء الحنان والحب والمودة لأبنائها. والأب الفاشل في زواجه ينعكس فشله على علاقته بأبنائه فيعاملهم معاملة سيئة.

وخير شاهد على تأثير التوافق الزواجي على التوافق الوالدي نتائج الدراسات على الأحداث الجانحين في البلاد العربية وغير العربية، والتي أشارت إلى أن نسبة كبيرة من هؤلاء الصغار عاشوا في كنف آباء وأمهات سيئين في توافقهم الزواجي، وتعساء في حياتهم الزواجية. من هذه الدراسات دراسة على الأحداث في مصر والكويت والمملكة العربية السعودية أشارت نتائجها إلى أن الأحداث الجانحين تعرضوا أكثر من الأحداث العاديين لخبرات مؤلمة في أسرهم بسبب اضطرابات العلاقة الزواجية بين الوالدين، والتي أدت إلى اضطراب علاقة الحدث الجانح بوالديه. واتفقت هذه النتيجة مع نتائج دراسات كثيرة أشارت إلى اضطراب علاقة الأبناء بآبائهم غير السعداء في حياتهم الزواجية، وإلى ارتفاع معدلات الجناح والانحرافات النفسية عند أبناء الأسر التي تكثر فيها الخلافات الزواجية (مرسى، ١٩٨٥، ١٩٨٦).

٣- مجال البنوة :

ونقصد به توافق الابن / الابنة مع واجبات البنوة وحقوقها، ونستدل عليه من سلوكيات الأبناء نحو والديهم وإدراكهم لمعاملتهما لهم، لا سيما في مرحلتي الطفولة والمراهقة. ويكون **توافق الابن/ الابنة حسنًا** في الأسرة إذا كان راضيًا عن والديه، يحبهما ويحبانه، ويدرك معاملتهما الطيبة له، وحرصهما على تنميته وحمايته ومساندته في السراء والضراء، وكان مطيعًا لهما- في غير معصية الله – وبارًا بهما في الكبر. في حين يكون **توافقه سيئًا** إذا كان متذمرًا منهما، ساخطًا عليهما، ولا يحترمهما، ويسيء إليهما، ويؤذيهما، ويتمرد عليهما، ويعقهما في الكبر.

ويرتبط توافق البنوة بتوافق الوالدية، فهما وجهان لعملة واحدة، فلا توافق بنوة دون توافق والدي، ولا توافق والدي دون توافق بنوة. ومع هذا فهما مجالان مستقلان؛ يظهر أحدهما في سلوك الوالدين نحو أبنائهما، ويظهر الآخر في سلوك الأبناء نحو والديهم في المواقف الأسرية.

والتأثير متبادل بين توافق الوالدية وتوافق البنوة، فتوافق الوالدين الحسن يسهم في جعل توافق الأبناء حسنًا، وتوافق الأبناء الحسن يسهم في جعل توافق الوالدين حسنًا كذلك. ومع هذا قد يكون توافق الوالدين حسنًا مع أبنائهم وتوافق الأبناء سيئًا معهما، عندما يحسن الآباء إلى الأبناء ويسيء الأبناء إلى الآباء. وقد يكون توافق الأبناء حسنًا مع والديهم وتوافق الآباء سيئًا مع الأبناء، عندما يسئ الآباء إلى الأبناء، ويهملون في رعايتهم، بينما يحسن الأبناء إلى آبائهم ويبرونهم.

ولكن هذا الاستثناء قليل الحدوث، وناتج عن ظروف غير عادية في الآباء أو الأبناء أو فيهما معًا، أو في ظروفهم الأسرية؛ لأن القاعدة الطبيعية هي أن بر الأبناء بالآباء مرتبط بحسن رعاية الآباء للأبناء في الطفولة والمراهقة وتربيتهم التربية الصالحة.

٤- مجال الأخوة :

ويقصد به توافق الأخ / الأخت مع الأخوة والأخوات، ونستدل عليه من سلوكه معهم، واتجاهاته نحوهم، وإدراكه لمعاملتهم له، ويكون توافق الأخ / **الأخت مع الأخوة والأخوات حسنًا** في الأسرة إذا كان يحسن إليهم ويحسنون إليه، ويحترمهم ويحترمونه، ويساندهم ويساندونه في الأسرة وخارجها. في حين يكون **توافقه معهم سيئًا** إذا كان يسيء إليهم ويسيئون إليه، أو ينفر منهم وينفرون منه، أو يشعر بالغيرة منهم ويشعرون بالغيرة منه.

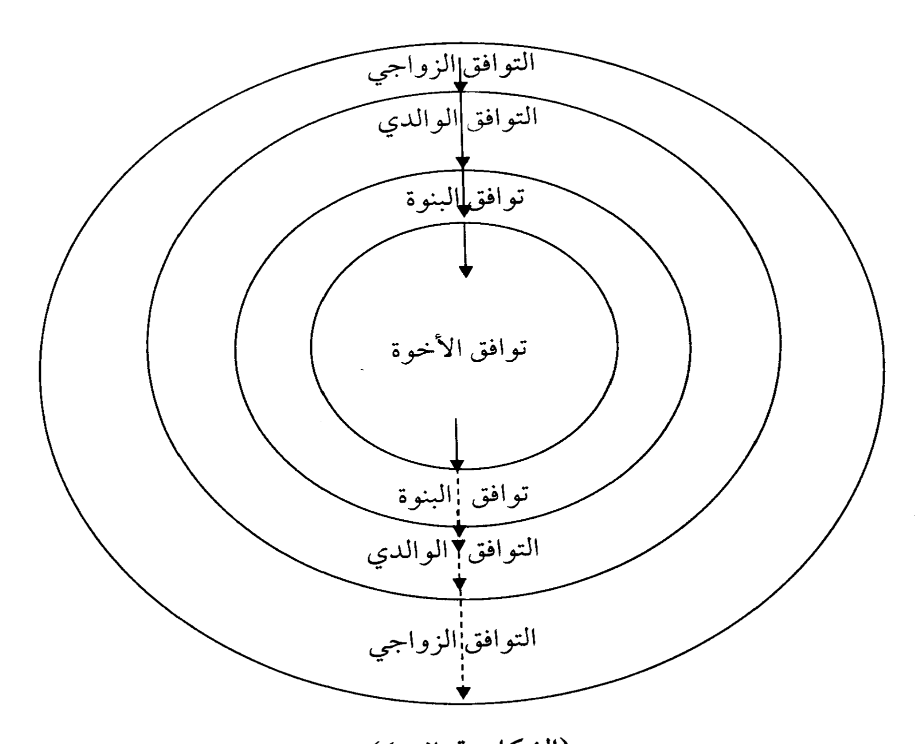
ويرتبط توافق الأخوة والأخوات معًا Seblings adjustment بالتوافق الوالدي من ناحية وتوافق البنوة من ناحية أخرى، فالآباء الذين يعاملون أبناءهم معاملة حسنة، ويعدلون بينهم، يسهمون في تنمية التوافق الحسن بين الأخوة والأخوات. أما الآباء الذين يجورون ويظلمون بعض أبنائهم، ويفضلون بعضهم

على بعض، فيزرعون الغيرة والحقد والحسد بينهم، ويسوء توافق الأخوة والأخوات معًا ومع والديهم (Kowal, et al, 2004).

ولنا في قصة سيدنا يوسف العبرة والموعظة، فعندما أدرك إخوة يوسف أن أباهم يفضل يوسف عليهم كادوا له ، وأجمعوا أمرهم على قتله، والتخلص منه، ثم عدلوا عن القتل إلى إلقائه في البئر. قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿٧﴾ إِذْ قَالُوا۟ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ﴿٩﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا۟ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿١٠﴾﴾ [يوسف].

العلاقات بين مجالات التوافق الأسري :

مجالات التوافق الأسري مترابطة، وتؤثر كل منها على المجالات الأخرى، وتتأثر بها. فالتوافق الزواجي يؤثر في التوافق الوالدي ويتأثر به، والتوافق الوالدي يؤثر في توافق البنوة ويتأثر به، وتوافق البنوة يؤثر في توافق الأخوة والأخوات ويتأثر به. والشكل رقم (٢-٤) يبين العلاقة بين مجالات التوافق الأسري، ونجد فيه أن تأثير التوافق الزواجي على مجالات التوافق الثلاثة الأخرى أقوى من تأثير كل من هذه المجالات على التوافق الزواجي، ويرجع هذا إلى أهمية الزواج في بناء الأسرة والإنجاب الذي تنشأ به الوالدية والبنوة والأخوة (مرسى، ٢٠٠٣).



(الشكل رقم٢ - ٤)

التأثيرات المتبادلة بين مجالات التوافق الأسري

تلخيص

يهدف هذا الفصل إلى تعريف القارئ بعناصر التوافق الأسري ومجالاته. فالتوافق الأسري عملية معقدة وليس عملية بسيطة، ويضم عنصري التفاعل وردود الأفعال. ويقصد بالتفاعل الأسري التأثير المتبادل بين أفراد الأسرة، بحيث يكون سلوك كل فرد في الأسرة مترتبا على سلوك الآخرين نحوه، ويضم التفاعل عمليات الملاحظة والإدراك والانفعال والتقويم، وجميعها عمليات نفسية تتأثر بعوامل ذاتية أكثر من تأثرها بعوامل موضوعية، حيث يتحدد شكل التفاعل الأسري: إيجابيًا أو سلبيا، وفق ما يدركه الفرد وينفعل به، وما يصل إليه من تقويم لما فهمه، وما يريده من التفاعل في الأسرة.

أما ردود الأفعال في التوافق الأسري فهي عملية نفس حركية ناتجة عن التفاعل وتؤثر فيه. وردود الأفعال قد تكون مقبولة تدل على التوافق الأسري الحسن، أو تكون غير مقبولة تدل على التوافق السيئ. ويتم الحكم على التوافق من ردود الأفعال وفق أربعة معايير، وهي مناسبتها أو عدم مناسبتها للموقف والسن والجنس والعادات والمعتقدات الدينية في المجتمع.

وقد يكون التفاعل الأسري إيجابيًا وردود الأفعال سيئة، وقد يكون سلبيًا وردود الأفعال حسنة، وفق قدرة كل فرد في الأسرة على ضبط نفسه، والسيطرة على انفعالاته الإيجابية أو السلبية في المواقف الأسرية.

والتوافق الأسري ليس مجالًا واحدًا، وإنما مجالات متعددة أهمها في الأسرة النواة والأسرة الممتدة: التوافق الزواجي والتوافق الوالدي وتوافق البنوة وتوافق الأخوة. والتأثير متبادل بين التوافق في هذه المجالات الأربعة وأهمها التوافق الزواجي الذي يقوم عليه التوافق الأسري العام والتوافق الأسري الخاص في كل مجال من المجالات الثلاثة الأخرى. فإذا كان التوافق الزواجي حسنًا كانت الأسرة متماسكة ومترابطة، وكان التوافق الأسري حسنًا في المجالات الأخرى. أما إذا كان التوافق الزواجي سيئًا فإن الأسرة تتصدع وتتفكك، ويسوء توافق أفرادها في المجالات الأسرية الأخرى، وقد يعانون الانحرافات والاضطرابات.

الفصل السادس

التوافق الأسري مع أحداث الحياة

تنقسم أحداث الحياة الأسرية إلى ثلاثة أقسام : (أ) **أحداث عادية** : وهي أحداث يومية شائعة تحدث في الأسر جميعها تقريبًا. (ب) **أحداث سراء**: وهي أحداث تقع لبعض الأسر، فيها نجاح وتوفيق من الله في تحقيق الأهداف، وإشباع الحاجات الأساسية، وحصول المكاسب، والشفاء من الأمراض الخطيرة، والنجاة من الحوادث المميتة، وغيرها من الأحداث السارة التي تجعل الأسرة سعيدة بما يحدث لها. (ج) **أحداث ضراء** : وهي أحداث فيها ضغوط غير عادية، وتقع خارج نطاق الخبرة الإنسانية العادية، أو لا يتحملها الناس العاديون، وتسبب الضيق والتوتر والإرهاق لأفراد الأسرة، فيها فشل وحرمان وخسارة، ومرض وموت وهجر وطلاق وإدمان وسجن أحد أفراد الأسرة وغيرها من الأحداث، التي تجعل الأسرة في أزمة لما يحدث لها أو لبعض أفرادها. ونتناول فيما يلي التوافق الأسري مع هذه الأحداث في الحياة الأسرية.

التوافق الأسري مع الأحداث العادية

التوافق الأسري مع الأحداث العادية اليومية توافق سهل ، ليس فيه صعوبات ولا ضغوط، أو فيه صعوبات بسيطة يمكن التغلب عليها، أو فيه ضغوط خفيفة يمكن تحملها ومواجهتها بشيء من الجهد والخبرة. والأحداث العادية أحداث في نطاق الخبرة الإنسانية العادية، شائعة الحدوث في المجتمع، وتدركها معظم الأسر " أحداثًا عادية "، لا تنفعل بها كثيرًا، وتستجيب لها بردود أفعال تعوَّد الناس عليها وألفوها، حتى أصبحت جزءًا من عاداتهم الشخصية وتقاليدهم الاجتماعية، التي يحرص كل مجتمع على تعليمها لأبنائه من خلال عمليات التنشئة الاجتماعية في الأسرة والمدرسة والمجتمع. فكل مجتمع يعلم أبناءه كيف يتعاملون مع الأحداث العادية، وفق عاداته وتقاليده ومعتقداته بسلوكيات مناسبة للموقف والسن

والجنس والأعراف السائدة في المجتمع.

ومع هذا قد تدرك بعض الأسر هذه الأحداث " أحداثًا غير عادية " فتتأزم منها، وتستجيب لها بردود أفعال وكأنها أحداث ضراء أو مصائب، فيسوء توافقها، وتضطرب العلاقات فيها. فمثلًا عندما يصاب أحد أفراد الأسرة " بنزلة برد " وهذا أمر يحدث في الأسر جميعها، وتدركه معظم الأسر "حادثًا عاديًا"، ويذهب الأهل بالمريض إلى المستشفى، ولا ينزعجون بالمرض، في حين تدركه أسر أخرى "حادثًا غير عادي " لا سيما إذا كان المريض، " الطفل الوحيد " أو " الولد على مجموعة بنات "، وينزعج الأهل بالمرض وتضطرب العلاقات في الأسرة حتى يتم شفاء المريض.

وقد يعود الزوج إلى البيت ولا يجد زوجته، وهذا أمر يحدث في الأسر جميعها، وتدركه معظم الأسر "حادثًا عاديا"، ويتفاهم الزوجان حوله ، ولا يغضب الزوج من خروج الزوجة، ولا تضيق الزوجة من سؤال الزوج لها أين كنت؟. لكن في بعض الأسر قد يثور الزوج لخروج الزوجة دون إذنه، وتنفعل الزوجة من سؤال الزوج واستجوابه لها، ويدب الخلاف بينهما، وتضطرب العلاقة الزواجية، ويسوء التوافق الأسري، وتمتد الخلافات بين الزوجين إلى العلاقة بالأبناء وبالأهل والجيران. وهكذا تتحول بعض الأحداث العادية في بعض الأسر إلى أحداث ضراء أو مصائب ونكبات، بسبب الخلل في إدراك أفراد الأسرة لها، وتفاعلهم السلبي معها، وردود أفعالهم السيئة نحوها، والتي قد تجعل توافقهم الأسري سيئًا.

التوافق الأسري مع أحداث السرَّاء

يختلف التوافق الأسري في السراء من أسرة إلى أخرى، ومن فرد إلى آخر في الأسرة الواحدة، وفق ظروف كل منهم ومعتقداته وشخصيته وخبراته. فالبعض يبالغ في الفرح، وفي التعبير عنه، والتفاخر به، فيخرج عن الفرح المباح ويتوافق توافقًا سيئًا في السراء، ويعمل أعمالًا لا يقرها الشرع ولا القانون. والبعض الآخر يفرح بالخير الذي حصل عليه، ويشكر الله صاحب الفضل، ويعبر عن فرحه في

حدود المباح شرعًا، ولا يتعدى حدود الله لا في السراء ولا في الضراء، ويتوافق توافقًا حسنًا مع هذه الأحداث.

فزواج الابن أو الابنة حادث سعيد، قد تبالغ بعض الأسر في فرحها به، وتنفق الأموال الكثيرة على الحفلات والزينات من أجل التفاخر، أو تقليد الأسر الأخرى، فيتحول حادث السراء إلى حادث ضراء بسبب ما يحدث في هذه الحفلات من تجاوزات للأخلاق والعادات والقيم والدين، أو بسبب خلافات أهل العروسين على تكاليف الفرح.

ويحدثنا الواقع عن أحداث سراء تحولت بسبب الفرح الشديد بها إلى أحداث ضراء وكوارث، لا سيما عند أصحاب القلوب المريضة، الذين يعانون من ارتفاع ضغط الدم وانسداد الشرايين، والذين قد يموتون بالسكتة القلبية بسبب شدة الانفعال بهذه الأحداث السارة.

وبشكل عام فإن التوافق الأسري في السراء سهل ليس فيه مشكلات لأسر كثيرة، تعرف كيف تفرح، وتشكر ربها على نعمة التوفيق، فيكون خيرًا لها، وتجد التهنئة والمساندة الاجتماعية من الأهل والأصدقاء والجيران، فيزداد فرحهم وسعادتهم بما يحدث لهم، ولا يخرجون على المألوف في الشرع والعرف في التعبير عن الفرح، فيكون توافقهم الأسري حسنًا، فيه شكر لله، الذي يزيدهم فرحًا وسرورًا بشكر النعمة، فهو القائل : " **لئن شكرتم لأزيدنكم** " فالشكر في السراء يزيد الفرح والسرور والاستمتاع بالنعمة.

التوافق الأسري مع أحداث الأزمات

لا تخلو أية أسرة من أزمات، تضطرب فيها حياتها، وتتوتر علاقات أفرادها، وتتأزم أمورهم، ويغدو توافقهم الأسري صعبًا، يحتاج إلى الصبر والمثابرة، وإلى المساندة والمساعدة من الأهل والجيران والأصدقاء إلى أن تمر الأزمة وينتهي التأزم، وتستقر الأسرة.

ويقصد **بالأزمة في الأسرة** Family crisis وجود حادث ضاغط Stress event يصبيها في وجودها أو مالها، أو يصيب أحد أفرادها في نفسه أو ماله أو عرضه أو دينه أو عقله، أو يعرضه للحرمان من شيء أو شخص عزيز عليه، أو يمنعه من تحقيق هدف أساسي في حياته.

أما التأزم فيقصد به **انفعال أفراد الأسرة** مجتمعين أو منفردين بالحادث الضاغط وفق إدراكهم وتفسيرهم له، وتقويمهم لإمكاناتهم وقدراتهم على التعامل معه، وردود أفعالهم في مواجهة الحادث. فالأزمة تختلف عن التأزم، لأن الأزمة هي الحادث الضاغط أو المشكلة أو الكارثة التي تحدث في الأسرة. أما التأزم فهو الإحساس بالحادث أو المشكلة والانفعال بها، وهذا الاحساس مسألة نسبية ، تختلف من أسرة إلى أخرى، وتختلف في الأسرة الواحدة من فرد إلى آخر، وفق ما يدركه كل منهما في المشكلة أوفي الحادث الضاغط من تهديد، وانفعاله به، وردود أفعاله له. فقد تدرك أسرة في حادث تهديدًا خطيرًا لها، وتتأزم منه بدرجة كبيرة، في حين تدركه أسرة أخرى غير ذلك، ولا تتأزم منه، أو تتأزم منه بدرجة بسيطة . وقد يدرك أحد أفراد الأسرة في هذا الحادث تهديدًا كبيرًا له ولأسرته، ويتأزم منه بدرجة كبيرة، في حين يدركه غيره في الأسرة نفسها غير ذلك فلا يتأزم منه ، أو يتأزم تأزمًا محتملًا، ولا تظهر عليه اضطرابات التأزم الحاد Acute stress disorder

نموذج "هَلْ" في تفسير التأزم الأسري

ويقدم "هَلْ" نموذجًا للتأزم الأسري Model of the family stress يحلل فيه عملية التأزم ويفسرها ، ويبين عواملها الداخلية والخارجية، وقد قام على هذا النموذج استراتيجيات عديدة في الإرشاد والعلاج الأسري والزواجي (السهل ٢٠٠٤، كفافي، ١٩٩٩، المحارب، ٢٠٠٠) ويعرف نموذج هَلْ " ABC -X " حيث(A) الحادث الضاغط (أو المشكلة)، و (B) إدراك الأسرة للحادث الضاغط وطريقتها في التعامل معه و(C) قدرة أفراد الأسرة على مواجهة المشكلة وتعاونهم

في ذلك، و(X) مستوى التأزم في الأسرة أي إحساس أفراد الأسرة بالمشكلة وانفعالهم بها.

ووفق هذا النموذج فإن التأزم في الأسرة ليس بسبب الحادث الضاغط أو المشكلة التي حدثت فقط، ولكن بسبب تفاعل أفراد الأسرة مع الحادث، وإدراكهم لما فيه من تهديد، وما يجدونه في أنفسهم من قدرة على التعامل معه، ومواجهة نتائجه أو التعايش معه. وتتلخص عناصر هذا النموذج في الآتي :

أ- الأحداث الضاغطة (A) :

وهي أحداث قوية وشديدة، تتعرض لها الأسرة وتسبب لها الضيق والإرهاق والعنت والمشقة بدرجة تجعلها خارج نطاق خبرة الإنسان العادي أي لا يستطيع تحملها الإنسان العادي، وتتضمن تهديدًا للأسرة أو لأحد أفرادها في النفس والعرض والممتلكات. من هذه الأحداث موت أو مرض أحد أفراد الأسرة، وولادة طفل معاق، وعقم أحد الزوجين، والتعثر الدراسي لأحد الأبناء، والفصل من العمل، والإفلاس، والحوادث والإصابات ، والإدمان ، والخلافات الزوجية ، والطلاق، ومروق أحد الأبناء، والانحرافات السلوكية، وزواج رب الأسرة على زوجته، وتعرض أحد أفراد الأسرة للحرمان أو الإساءة من الآخرين، وغير ذلك من الأحداث الضاغطة على أفراد الأسرة، وتؤدي إلى اضطرابهم وتأزمهم

ب- إدراك الأسرة للحادث الضاغط وتفسيره والانفعال به (B) :

وهي عمليات عقلية وجدانية، أو معرفية مزاجية، تتضمن فَهْم أفراد الأسرة للحادث، واستيعابهم لأسبابه وظروف حدوثه، وتقديراتهم لآثاره عليهم، وانفعالهم بها. فأفراد الأسرة لا يتأزمون بالحادث الضاغط كما هو في الواقع، ولكن وفق ما يفهمونه، منه ويستوعبونه من نتائجه وآثاره. وإدراك الأسرة للحادث عملية عقلية ونفسية تختلف من أسرة إلى أخرى، ومن فرد إلى آخر في الأسرة الواحدة. فالأسرة التي تدرك أن الحادث خطير وآثاره السيئة كثيرة تنفعل به،

وتتأزم منه بدرجة أكبر من الأسرة التي تدركه غير ذلك.

ج- قدرة أفراد الأسرة مجتمعة أو منفردة على مواجهة الحادث الضاغط (C) :
وتتضمن خبرة أفراد الأسرة بإدارة الأزمات، وقدراتهم على تحمل الضغوط وأسلوبهم في مواجهتها، وما لديهم من إيمان بالله وبقضائه وقدره، وعلاقاتهم الاجتماعية ببعضهم البعض قبل الأزمة، وما يجدونه من مواساة ومساندة معنوية ومادية من الأهل والأصدقاء والجيران ومن المجتمع.

وتوجد القدرة على مواجهة الأزمة بدرجات مختلفة عند الأسر جميعها، ونتوقع في ضوء " **منحنى التوزيع الاعتدالي** " وجود هذه القدرة عند قلة من الأسر (حوالي ١٦٪ من الأسر) بدرجة عالية، وعند قلة أخرى (حوالي ١٦٪ من الأسر) بدرجة منخفضة، وعند كثير من الأسر (حوالي ٦٨٪) بدرجة متوسطة أو حول الوسط، مما يعني أن قلة من الأسر تستطيع مواجهة الضغوط الأسرية بكفاءة عالية، وقلة أخرى لا تقوى على ذلك وتتأزم كثيرًا بالمشكلة، وتصيبها الصدمة، أما أكثرية الأسر فبين هذا وذاك، أحيانًا تقدر على المواجهة فلا تتأزم كثيرًا، وأحيانًا أخرى لا تقدر وتتأزم كثيرًا.

د- التأزم في الموقف (X) :

ويقصد به الإحساس بالأزمة، أي إحساس أفراد الأسرة بالألم النفسي من الحادث الضاغط، والذي يضم مجموعة من المشاعر المزعجة والمرهقة لأفراد الأسرة، الذين يكابدون المشكلة أو الأزمة، وينفعلون بها.

أنواع مشاعر التأزم:

وتتنوع مشاعر التأزم بالمشكلة وتتداخل، ويصعب الفصل بينها، ويمكن أن نصنفها من أجل الدراسة في ثلاثة أقسام رئيسة هي :

١- **مشاعر الحزن والاكتئاب** : وتضم مشاعر الغم والكدر والهم واليأس والقنوط والعجز والدونية والذنب والحسرة، وغيرها من المشاعر التي قد تُفضي إلى

الاكتئاب النفسي أو الذهاني وقد تنتهي بالانتحار.

٢- **مشاعر الخوف والقلق** : وتضم مشاعر الهم والشك والتوجس، والتهديد والفزع والرعب والهلع والجزع وغيرها من المشاعر، التي قد تُفضي إلى الاضطرابات النفسية والأمراض السيكوسوماتية، أو تؤدي إلى الاضطراب العقلي.

٣- **مشاعر الغضب والحقد** : وتضم مشاعر الحنق والغيظ والضيق والقهر والظلم والكراهية وغيرها من المشاعر، التي قد تدفع إلى الانتقام والعدوان والعنف الأسري.

ويتحدد مقدار التأزم (شديد أو متوسط أو خفيف). وشكله (خوف وقلق أو حزن واكتئاب أو غضب و عدوان) وفق تفاعل أفراد الأسرة مجتمعين أو منفردين مع المشكلة، وفهمهم لها وقدراتهم على مواجهتها. فبعض الأسر تتأزم بشدة، وأخرى تتأزم بدرجة متوسطة، وغيرها تتأزم بدرجة بسيطة. ويغلب على مشاعر بعض الأسر في التأزم مشاعر الحزن والاكتئاب، ويغلب على مشاعر أسر أخرى مشاعر الخوف والقلق، ويغلب على مشاعر أسر غيرها مشاعر الغضب والعدوان.

دور ردود الأفعال في التأزم الأسرة:

ويقصد بردود الأفعال سلوك أو تصرفات أفراد الأسرة في موقف التأزم، ومواجهة الأزمة، وتختلف ردود الأفعال من أسرة إلى أخرى، ومن فرد إلى آخر في الأسرة الواحدة، وفق شدة التأزم وشكله . فردود أفعال الخائف تختلف عن ردود أفعال الغاضب، وردود أفعال الذي أصابه الهلع والفزع تختلف عن ردود أفعال الذي أصابه الخوف أو الحزن العادي، وردود أفعال الذي أصابه الغضب والغيظ تختلف عن ردود أفعال الذي أصابه الضيق والتوتر.

كما تختلف ردود أفعال الرجال عن ردود أفعال النساء، ورد أفعال الكبار عن ردود أفعال الصغار. فمن المتوقع أن تكون ردود أفعال الرجال والكبار أشد من ردود أفعال النساء والصغار في الغضب والحنق والعدوان والانتقام، في حين تكون

ردود أفعال النساء والصغار أشد من ردود أفعال الرجال والكبار في الخوف والحزن والاكتئاب والنكوص .

وتؤثر " ردود أفعال " الأسرة مجتمعة أو منفردة في زيادة التأزم في الأسرة أو في تخفيفه. فالأسرة التي تصبر وتحتسب ، وترضى بقضاء الله وقَدَره، لا تنفعل بشدة في المصيبة، وتكون ردود أفعالها فعالة في تخفيف التأزم ومواجهة الأزمة، ولسان حالها يردد قوله تعالى: ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَا ﴾[التوبة:٥١] وعندها قناعة بقوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة].

ولا يعني الصبر والاحتساب في التأزم القعود عن مواجهة الأزمة أو عن حل المشكلة ، لأن الصبر عملية نفسية، تتضمن تحمل الحادث الضاغط وما فيه من إحباط أو حرمان أو تهديد، وتعطي الصابر المحتسب قدرة على ضبط النفس، والتفكير في الأزمة بشكل موضوعي واقعي، يجعله يواجه المشكلة بأفعال ترضي الله، وتخفف من الانفعال بالأزمة، وتشجع على المثابرة في حل المشكلة واحتواء الأزمة، لأن الصابر يتحمل ما حدث له، ويدرك المصيبة منحة، وليست كارثة، ويفهمها ابتلاء وامتحانا وتمحيصًا لإيمانه، فيرضى بها وقد يفرح بها. وهذا المعنى في المصيبة لا يدركه إلا المؤمنون، ولا ينفعل به إلا عباد الرحمن. فالمؤمن أمره كله خير في السراء والضراء. فقد قال عليه الصلاة والسلام " **عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله خير وليس لأحد غير المؤمن إذا أصابته سراء شكر فكان خيرا له وإذا أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له** " (رواه مسلم).

أما الأسرة التي تسخط وتتذمر من المشكلة، وتعترض على ما حدث، فإنها تنفعل بشدة، وتندفع في ردود أفعالها الغاضبة أو الساخطة أو الخائفة أو القلقة إلى أفعال غير فعالة في الموقف، وغير مفيدة في مواجهة الأزمة أو حل المشكلة، فيزداد

غضبها وسخطها وخوفها وقلقها، أي يزداد تأزمها واضطرابها بسبب ردود أفعالها في الأزمة.

وهذا يجعلنا نضيف إلى نموذج "هَلْ" عاملًا رابعًا في التأزم هو العامل (D)، الذي يضم ردود أفعال أفراد الأسرة مجتمعين أو منفردين في التأزم، ودورها في زيادة التأزم أو تخفيفه ، ويصبح النموذج بعد تعديله (ABCD-X) ليكون التأزم في الأسرة(X) محصلة التفاعل بين الحادث الضاغط (A)، وإدراك الأسرة للحادث الضاغط (B)، وقدرة الأسرة مجتمعة أو منفردة على مواجهة الحادث (C)، وردود أفعال الأسرة في التأزم (D).

إدارة الأزمات في الأسرة

يقصد بإدارة الأزمات الأسرية Family crises management الأساليب التي تتبعها الأسرة – لا سيما الزوجين أو الوالدين – في التوافق مع الأحداث الضاغطة ، والتعامل معها، والتي قد تكون أساليب فعالة أو غير فعالة.

والأساليب الفعالة في إدارة الأزمة هي تصرفات حسنة تمكن الأسرة من مواجهة الحادث الضاغط، والتغلب على ما فيه من صعوبات، وحل ما يرتبط به من مشكلات، أو تمكنها من التعايش مع الحادث، وتحمله والصبر عليه، والرضا بقضاء الله وقدره، فيذهب عنها التأزم، ويعود إليها التوازن والاستقرار. بعد الحادث الضاغط أو الأزمة (Davideon & Moare, 1992).

أما الأساليب غير الفعالة في إدارة الأزمة في الأسرة فهي تصرفات سيئة، فيها سخط واعتراض على الحادث، أو استسلام وانهزام أمامه، أو يأس وجزع وشعور بالذنب، ولوم للذات والناس والقدر، وجميعها عمليات أو إجراءات لا تساعد على مواجهة الحادث، ولا التعايش معه بقدر ما تزيد الانفعال بالأزمة، واستمرار الإحساس بها.

ولا تتأزم الأسرة التي تدير أحداثها بأساليب فعالة إلا إذا كانت هذه الأحداث قوية وشديدة، تخرج عن نطاق قدرة الإنسان العادي على تحملها، وفيها تهديد حقيقي لوجود الأسرة أو وجود أحد أفرادها، أو تسلبها شيئًا أو شخصًا عزيزًا، أو تحرمها من أشياء أساسية في حياتها، أو تؤذيها في عرضها أو مالها أو دينها. وعادة تضطرب هذه الأسرة من هذه الأحداث اضطرابًا طبيعيًا مباشرًا وفق ما في الحدث من تهديد وضغوط وحرمان وإحباط لأفراد الأسرة.

ويسمى الدليل الأمريكي لتشخيص الاضطرابات النفسية المراجعة الرابعة (DSM IV) هذا الاضطراب " اضطراب التأزم الحاد " Acute stress disorder، وهو اضطراب طبيعي في الأزمات، ينتهي خلال شهر على الأكثر من حدوث الأزمة، وتختفي أعراضه إما بمواجهة الحادث وحل المشكلة، أو التعايش مع الحادث والرضا به ، والتعامل معه كحدث عادي.

أما الأسرة التي تدير أزماتها بأساليب غير فعالة، فإنها قد تتأزم من الأحداث العادية البسيطة، التي لا تتأزم منها معظم الأسر، وتتأزم كثيرًا من الأحداث الضاغطة التي فيها تهديد حقيقي، وتدرك هذه الأحداث مصائب أو كوارث أو أحداث صدمية Traumatic events، ويتحول شعور أفرادها بالأزمة إلى شعور بالصدمة، ويستمر تأزمهم بها لأكثر من شهر، ويعانون – جميعهم أو بعضهم – من أعراض اضطرابات الضغوط التالية للصدمة (PTSD) التي منها صعوبات النوم، وفقدان الشهية للأكل والتهيج وانفجارات الغضب، وعدم القدرة على التركيز، والاكتئاب، والقلق، والشعور بالرعب والهلع والفزع، وغيرها من المشاعر المؤلمة التي قد تؤدي إلى الانتحار أو العنف الأسري. أو الاضطرابات النفسية و العقلية أو الموت بالسكتة القلبية (عبد الخالق، ١٩٩٩).

وقد تظهر الأعراض التالية للصدمة في صورة أمراض جسمية يعاني منها بعض أفراد الأسرة تسمى أمراضًا سيكوسوماتية، وهي أمراض جسمية أسبابها نفسية، ناتجة عن التأزم الأسري. من هذه الأمراض: الصداع، وارتفاع ضغط الدم، وقرحة

المعدة، وأمراض القلب، وأمراض الحساسية، والأمراض الجلدية وغيرها من الأمراض التي قد تصبح أمراضًا مزمنة في الأسرة.

عوامل الإدارة الفعالة للأزمات الأسرية :

نخلص من مناقشة إدارة الأزمات الأسرية إلى أن تأزم أفراد الأسرة الشديد ولمدة طويلة يسبب لهم الكثير من الاضطرابات النفسية والأمراض الجسمية والانحرافات السلوكية، وقد يكون سببًا في شقائهم في الحياة. وإذا كانت كل أسرة لا تستطيع حماية نفسها من مصادر التأزم جميعها، فإن كل أسرة تستطيع حماية نفسها من التأزم الشديد، وحماية أفرادها من الأعراض التالية للصدمة، وذلك بإدارة الأزمات بأساليب فعالة، تخفف التأزم، وتحل المشكلة، أو تجعل أفراد الأسرة قادرين على التعايش مع الأزمة التي لا حل لها، كما في أزمات الموت والمرض المزمن والإعاقة وغيرها من الأحداث، التي يكون حلها في التعايش معها، وتحملها والرضا بها. وتقوم الإدارة الفعالة للأزمات الأسرية على الآتي :

١- **نضج شخصية كل من الزوجين أو الوالدين** : فالزوجان أو الوالدان مسئولان عن إدارة الأزمة والتعامل معها ، فإذا كان كل منهما قادرًا على تحمل المسئولية، وضبط نفسه عند الغضب، وعنده ثقة بنفسه وبالزوج الآخر، فسوف يدير الأزمة بأساليب فعالة فيها تحمل ومواجهة.

٢- **العلاقات الأسرية القوية** : فالأسرة المتماسكة المترابطة تواجه الأحداث الضاغطة بأساليب فعالة، ويساند أفرادها بعضهم بعضًا، ويتعاونون معًا في مواجهة الأزمة، ويتعاملون كجماعة مع الأحداث الضاغطة، فتزداد قدراتهم على التحمل والمثابرة في المواجهة ولا يتأزمون بشدة.

٣- **الالتزام بالاسلام** : فالأسرة التي يلتزم أفرادها – لا سيما الزوجان أو الوالدان – بالإسلام قولًا وعملًا ، يصبرون ويحتسبون في الأزمات، ويتعاملون معها بأساليب فعالة، تجعلهم قادرين على تحمل الضغط إبتغاء مرضاه الله، الذي

وعد الصابرين بالأجر العظيم.

٤ - **حجم الأسرة** : فالأسرة صغيرة الحجم أفضل من الأسرة كبيرة الحجم في العلاقات الأسرية القوية التي تعطي دعمًا نفسيًا لأفراد الأسرة في مواجهة الأزمات وتحمل النكبات.

٥- **المساندة الاجتماعية** : فالأسر التي تحصل على مساندة اجتماعية مادية أو معنوية من الأقارب والأصدقاء والجيران تتحمل الأحداث الضاغطة، وتصبر عليها، وتتعامل معها بأساليب فعالة، فلا تتأزم كثيرًا من هذه الأحداث.

٦- **الأرشاد الأسري** : فالأسر التي تحصل على الإرشاد الأسري في مواقف الضغوط النفسية والأزمات ، تدركها على حقيقتها، وتتعامل معها بأساليب فعالة تساعدها في التغلب عليها أو التعايش معها والرضا بها. فالإرشاد الأسري يساعد الأسرة المتأزمة على فهم الأزمة، وتسخير كل طاقاتها وقدراتها في مواجهة المشكلة، أو التعايش معها إذا تعذر حلها. فالتعايش مع المشكلة أو الأزمة أسلوب فعال في إدارة الأزمة، التي لا حل لها إلا بالرضا بها، لأنها بقضاء الله وقدره.

تحليل بعض نماذج من إدارة الأزمات الأسرية الواقعية :

ولتوضيح الأساليب الفعالة في إدارة الأزمات الأسرية، والتي تساعد الأسرة على الخروج من الأزمة المدمرة إلى بر الأمان، والأساليب غير الفعالة التي تضخم المشكلة، وتحولها من مشكلة أسرية بسيطة إلى مشكلة معقدة، قد تؤدي إلى تفكك الأسرة وضياع أفرادها - من أجل ذلك - نقوم بتحليل بعض النماذج الواقعية في إدارة الأزمات الأسرية على النحو الآتي:

١ - النموذج الأول : تعامل أسرة الرسول عليه الصلاة والسلام مع حديث الإفك :

الحادث الضاغط : ما قاله الناس إفكا عن السيدة عائشة رضي الله عنها.

التأزم : إحساس الرسول عليه الصلاة والسلام والسيدة عائشة رضى الله عنها، وجميع من حولها من الأهل والصحابة بالمشكلة وتأزمهم بها، لأن الحادث قوى ، ويسبب الازعاج والضيق والإرهاق لمن يحدث له، والتأزم بسببه أمر عادي.

تعامل الزوجة مع الحادث الضاغط وإدارتها للأزمة : دار حديث الإفك وعائشة رضى الله عنها مريضة ، ولم تعلم به ، لكنها شعرت بتغير في معاملة الرسول عليه الصلاة والسلام معها.. تقول رضى الله عنها: " كان الناس يُفيضون في قول أهل الإفك، ولا أشعر بشيء من ذلك ... ويريبني في وجعي أني لا أعرف من رسول الله اللطف، الذي كنت أراه منه حين أشتكى. إنما يدخل رسول الله ويسلم، ثم يقول : كيف تيكم؟ ولا أشعر بالشر، أي بما يقوله الناس في المدينة.

وعندما علمت السيدة عائشة بما يقوله الناس عنها تأزمت ، وسعت إلى التيقن مما يقولون، فذهبت إلى أهلها وسألتهم فأخبروها، فزاد ألمها وتأزمها ومرضها. تقول عائشة رضى الله عنها " فاستأذنت رسول الله ، وقلت أتأذن لي أن آتي أبوي؟ وأنا حينئذ أريد أن أتيقن الخبر. فأذن لي رسول الله ﷺ، فجئت أبوي، فقلت لأمي : يا أمتاه ما يتحدث به الناس؟ فقالت: يا بنية هوني عليك ... فقلت: سبحان الله ... وقد تحدث الناس بذلك؟. فبكيت تلك الليلة، حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع، ولا أكتحل بنوم، وازددت مرضًا إلى مرض ".

تعامل الزوج مع الحادث وإدارته للأزمة : سمع الرسول ﷺ ما يقوله الناس في المدينة عن زوجته، وهي الحبيبة إلى قلبه، فتأزم وتألم من قولهم، لكنه صبر واحتسب، وأخذ يسأل عن عائشة وسلوكها، والجميع يؤكدون عفتها وشرفها. تقول عائشة " فدعا الرسول عليه الصلاة والسلام بريرة، وقال: أي بريرة، هل رأيت من شئ يريبك من عائشة؟. قالت بريرة : والذي بعثك بالحق ما رأيت عليها أمرا قط أغمضه عليها (أي أعيبه عليها) .... واستشار عليه الصلاة والسلام أسامة بن زيد ، وعلى بن أبي طالب. فقال أسامة : يا رسول الله هُم أهلك، ولا نعلم عنها إلا خيرًا. أما على رضى الله عنه فقال : يا رسول الله لم يضيق الله عليك، والنساء

سواها كثير (يريد أن يخفف عن رسول الله).

ذهب الرسول ﷺ إلى بيت أبي بكر يسأل عن عائشة، ويناقشها فيما يقوله الناس، ويخفف من تأزمها. لكن الأمر كان صعبًا على عائشة رضى الله عنها، وعلى الرسول ﷺ، وعلى أهل عائشة، وعلى صحابة رسول الله، لأن ما قيل كان إفكا وظلما ويتطلب إسكاته دليلًا قويًا ملموسًا، يبرئ عائشة وهي البريئة. تقول عائشة "وبكيت يومي ذلك، ثم بكيت ليلتي المقبلة، ولا يرقأ لي دمع، ولا أكتحل بنوم، وأبواي يظنان أن البكاء فالق كبدي. فبينما نحن على ذلك دخل علينا رسول الله ﷺ، فسلم ثم جلس. ولم يجلس عندي منذ ما قيل لي ما قيل. فتشهد عليه الصلاة والسلام، وقال:**أما بعد : يا عائشة فإن قد بلغني عنك كذا وكذا. فإن كنت بريئة فسيبرئك الله، وإن كنت ألممت بذنب، فاستغفري الله، وتوبي إليه. فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب، تاب الله عليه "** .

زاد شعور السيدة عائشة بالظلم والقهر بعد أن فهمت من قول رسول الله ﷺ أن الجميع لا يبرئونها، وهي البريئة. فالرسول عليه الصلاة والسلام لم يبرئها، ووالداها لم يبرئانها، فزاد حزنها وألمها ، وشعرت بالعجز عن إثبات براءتها من هذا الإفك ، فسلمت الأمر لله ، القادر على الدفاع عنها، وإثبات براءتها. تقول عائشة " فلما قضى رسول الله ﷺ مقالته، قلص دمعي حتى ما أحس منه قطرة، فقلت لأبي : أجب عنى رسول الله فيما قال، فقال: والله ما أدرى ما أقول لرسول الله : فقلت لأمي : أجيبي عني رسول الله : فقالت : والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ . فقلت وأنا جارية حديثة السن، لا أقرأ كثيرًا من القرآن. إني والله لقد عرفت أنكم قد سمعتم بهذا، حتى استقر في نفوسكم، وصدقتم به، فإن قلت لكم إني بريئة، والله يعلم أني بريئة، لا تصدقوني بذلك. ولئن اعترفت لكم بأمر، والله يعلم أني بريئة تصدقونني. والله لا أجد لي ولكم مثلًا إلا كما قال أبو يوسف ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾[يوسف:١٨] ثم تحولت فاضطجعت على فراشي، وأنا والله حينئذ أعلم أني بريئة، وأن الله مبرئي ببراءتي ".

تحليل إدارة الأزمة: تسبب انتشار حادثة الإفك في أزمة أسرية حادة، أرهقت رسول الله ﷺ، وأرهقت السيدة عائشة رضى الله عنها، لكنهما أداراها بحكمة الصابرين المحتسبين والمتوكلين على الله الحكيم العليم، الذي برأ عائشة رضى الله عنها من هذا الافك، وحل الأزمة وأعاد إلى أسرة رسول الله صلى الله عليه وسلم الاستقرار والأمن والأمان. تقول عائشة " ولكن والله ما كنت أظن أن ينزل في شأني وحي يتلى ، ولشأني كان أحقر في نفسي من أن يتكلم الله عز وجل فيَّ بأمر يتلى، ولكني كنت أرجو أن يرى رسول الله في النوم رؤيا، يبرئني الله فيها. فو الله ما رام رسول الله مجلسه ، ولا خرج من أهل البيت أحد ، حتى أنزل الله على نبيه وحيا، فلما سُرِّيَ عن رسول الله كانت أول كلمة تكلم بها هي **"أبشرى يا عائشة، أما الله فقد برأك "**. فقد أنزل الله عشر آيات في سورة النور في براءة عائشة أم المؤمنين [1] بدأت بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [النور].

النموذج الثاني : تعامل أسرة أبي طلحة مع حادثة موت الابن :

الحادث الضاغط : كان لأبي طلحة إبن مريض، وخرج أبو طلحةَ في سفر فقُبِضَ الصبي.

التأزم : تأزمت أم سليم زوجة أبي طلحة لموت ابنها في غياب أبيه، وتأزم باقي أفراد الأسرة بموت أحدهم، وتأزم الأب عندما عاد وعلم بموت ابنه ، وهو تأزم طبيعي يحدث لكل الناس في موقف الموت.

تعامل الزوجة مع الحادث وإدارتها للأزمة : حزنت أم سليم لوفاة ابنها، وتأزمت كثيرا، لكنها صبرت واحتسبت، وتحكمت في انفعالها، ورضيت بقضاء الله وقدره. وعندما عاد أبو طلحة وسألها : ما فعل ابني؟. قالت : هو أسكن ما كان. فقربت له

---

(١) هذه الحالة أخذناها وحللناها من كتاب قصص المتزوجين والمتزوجات لأبي طلحة محمد يونس بن عبد الستار من ص ١٥٠ - ١٦١ وهي عن صحيح البخاري.

العشاء فتعشى، ثم أصاب منها. فلما فرغ، قالت : يا أبا طلحة عارية استعارها قوم، وكانت العارية عندهم ما قضى الله ، وأن أهل العارية أرسلوا إلى عاريتهم فقبضوها. ألهم أن يجزعوا؟. قال: لا . قالت : فإن ابنك قد فارق الحياة. قال : أين هو؟. قالت : ها هو ذا في المخدع.

تعامل الزوج مع الحادث وإدارته للأزمة : علم أبو طلحة بوفاة إبنه، فحزن على فراقه، لكنه لم يجزع، واسترجع عندما كشف عن وجه الصبي، وقال " إنا لله وإنا إليه راجعون". فلما أصبح ذهب إلى رسول الله وحدثه بقول أم سليم رضى الله عنها، فقال عليه الصلاة والسلام **" والذي بعثني بالحق لقد قذف الله تبارك وتعالى في رحمها ذكرًا لصبرها على ولدها "** قال سفيان عن رجل من الأنصار: فرأيت لهما تسعة أولاد كلهم قد قرأوا القرآن " (عبد الستار، ١٤٢١ هـ: ٢٣٩-٢٤٠). وهكذا مرت أزمة الموت وعاشت الأسرة حياتها العادية بفضل صبرها واحتسابها وتعايشها مع حادثة الموت، فقد عوض الله الزوجين بخير مما أخذه منهما.

النموذج الثالث : تعامل الأسرة مع زواج الزوج على زوجته .

الحادث الضاغط : تزوج الزوج زوجة ثانية على زوجته الأولى.

التأزم : تأزمت الأسرة عندما علمت بزواج رجلها من ثانية، واضطربت العلاقات الأسرية، وغضبت الزوجة من زوجها الذي ظلمها بزواجه الثاني، وتألم الأبناء لما حدث من أبيهم، وبكوا لبكاء أمهم، وانقطع بعضهم عن الدراسة، وغلَّظ أحدهم القول لأبيه، فهجر الأسرة، ثم تركت الزوجة الأولى الأسرة أيضًا غضبى، وخلَّفت وراءها ابنتين في الثانوي، وابنًا في المتوسط، وآخر في الابتدائي، وثالثًا بالروضة. وهكذا تفككت الأسرة واضطرب الأبناء وانقطعوا عن الدراسة، وأصاب بعضهم الهلع والفزع والقلق، فقد لزمت إحدى البنتين حجرتها تبكي بشدة، وأضربت عن الطعام لثلاثة أيام، واضطرب نومها، وشحب لونها، وأخذت تشكو الصداع وآلام في مناطق مختلفة من جسدها.

تعامل الزوجة مع الحادث وإدارتها للأزمة : غضبت من الزوج الذي خدعها وظلمها، ولم تكف عن البكاء والسخط على الرجال، واضطرب نومها، وضعفت شهيتها للطعام، ونقص وزنها، وتركت بيتها إلى بيت أختها، وهي مقهورة لا تدري ماذا تفعل.

تعامل الزوج مع الحادث وإدارته للأزمة : غضب الزوج من اعتراض الزوجة على زواجه، ومن تغليط ابنه الكبير القول له، وهرب من الموقف ليعيش مع زوجته الثانية، تاركًا الزوجة الأولى وأولادها، وانسحب من حياتهم.

المساندة الاجتماعية : حصلت الأسرة المأزومة على المساندة الاجتماعية من أسرة ابنها الكبير (وهو موظف، يعيش مع زوجته وأولاده) الذي حاول الإصلاح بين والديه، وجعل جزءًا كبيرًا من وقته لرعاية إخوته والتخفيف عنهم، لكن الحادث كان قويا، وغضب الابن من أبيه وغلَّظ القول له، ولم تتجاوب الأم معه في الرجوع إلى بيتها، واشتد الخلاف وزاد التأزم في الأسرة، وأصبحت في حاجة إلى الإرشاد الأسري. فطلب الابن الكبير المساعدة الفنية من أحد الاستشاريين في الإرشاد الأسري، الذي بحث حالة الأسرة، وحدد مهمته في مساعدة الأم على التعايش مع زواج زوجها عليها وتحمله، لا سيما وأن زوجها قد أنجب من زوجته الثانية وكون لنفسه أسرة جديدة.

وبعد عدة جلسات إرشادية مع الأم (الزوجة الأولى) فهمت الموقف، وتدبرت مصلحة أسرتها، وتحكمت في مشاعرها وانفعالاتها، ورضيت بقضاء الله وقدره الذي لا مفر منه، وعادت إلى أسرتها. وبعد جلستين مع الأبناء عادوا إلى مدارسهم واستعادت الأسرة شيئًا من الاستقرار.

لكن لم تعد الحياة الأسرية إلى ما كانت عليه قبل زواج الأب من الزوجة الثانية، فالأبناء ما زالوا يرفضون زوجة الأب، وما زالت الأم مقهورة من الحادث، ولم تنس غدر زوجها، وتحول تأزمها إلى صدمة، وظهرت عليها الكثير من الأعراض التالية للصدمة من الزواج عليها (PTSD): فنومها مضطرب، وتعاني من

الكوابيس، ويجدها أبناؤها تبكي كثيرا في حجرتها،وأخذت تشكو من ارتفاع ضغط الدم والسكر والصداع وآلام القولون وغير ذلك من الأوجاع السيكوسوماتية.

تحليل إدارة الأزمة: نجد في هذا النموذج أن ردود أفعال الزوجين نحو الحادث وأساليبهما في إدارة الأزمة لم تكن فعاله في مواجهة المشكلة. ولا في تقبلها والتعايش معها، فزاد تأزم الأسرة بها، وكان للإرشاد الأسري دور في تعديل ردود أفعال الأسرة من السخط والغضب إلى التعايش مع الحادث وتقبله، فعاد إلى الأسرة استقرارها بالقدر الذي حفظها من التصدع، وحفظ أبناءها من الضياع والإنحراف.

لكن لم يحقق الإرشاد قدرًا كبيرًا من النجاح في تعديل تفاعل الأسرة مع هذا الحادث حيث لا تزال الأم منفعلة لزواج زوجها عليها ومتألمة منه، وتعاني من الأعراض التالية للصدمة (PTSD) التي قد تستمر معها، وتصبح أمراضًا مزمنة، إن لم تتجاوب مع الإرشاد، وتتحول عن التفاعل السلبي إلى التفاعل الإيجابي مع هذا الحادث بالصبر والاحتساب والرضا بما حدث وتسليم الأمر لله، لأن حل هذه المشكلة لا يكون الا بالتعايش مع زواج زوجها عليها الذي أصبح أمرًا واقعًا.

النموذج الرابع : تعامل الأسرة مع العجز الجنسي للزوج :

الحادث الضاغط : إكتشفت الزوجة بعد زفافها أن زوجها عاجز جنسيًا، واستمرت عذراء حوالي سنتين.

التأزم : تأزمت الزوجة من الحادث، ومن سؤال الأهل والأصدقاء عن أسباب عدم الحمل. وتأزم الزوج أيضًا من نظرات الزوجة والأهل إليه، ومن محاولات العلاج الفاشلة التي استمرت حوالي السنتين.

تعامل الزوجة مع الحادث الضاغط وإدارة الأزمة : صبرت الزوجة وإعتقدت أن العجز حالة مؤقتة، سوف تنتهي بعد يوم و يومين أو أسبوع وأسبوعين، ولم تخبر أحدًا بما هي فيه، وكان جوابها للسائلين عن عدم الحمل " كل شيئ بإرادة الله ".

وشجعت زوجها على الصبر حتى يشفيه الله.

لكن مع مرور الشهور وإلحاح الأهل في السؤال عن سبب عدم الحمل، أخبرتهم بعجز زوجها، فنصحوها بالطلاق منه، وهي لا ترغب في الطلاق لا سيما زوجها مجتهد في العلاج ، ولم ينقطع الأمل في الشفاء. تقول الزوجة عن نفسها " كنت في صراع نفسي، فزوجي رجل طيب ومحترم، يحبني وأحبه، ولا أرغب في الطلاق منه، وفي الوقت نفسه أخاف أن تمر الأيام وأصل إلى سن اليأس دون إنجاب، والأهل يضغطون في الطلاق منه، ونتائج العلاج مخيبة للأمال، وقد أنفق زوجي كل ما يملك على العلاج دون فائدة. في الحقيقة كنت في صراع نفسي عنيف من الصعب الخروج منه إلا بالصلاة وقراءة القرآن ، والدعاء إلى الله بالشفاء. وكنت أصلي صلاة الاستخارة فتارة أجد نفسي مع البقاء مع زوجي والصبر والاحتساب، وتارة أخرى أجد نفسي حزينة وخائفة وغير راضية ومندفعة إلى الطلاق.

ذهبت إلى الأطباء وعلماء الشريعة والمرشدين النفسين ووجدتهم متفقين على أن الطلاق حق شرعي للزوجة في حالتي، وشجعوني عليه. لكنني لم أجد في نفسي تجاوبًا مع هذا التشجيع، ورفضت الطلاق، وطلبت من زوجي الاستمرار في العلاج وأملنا في الله كبير. "

تعامل الزوج مع الحادث الضاغط وإدارته للأزمة : واجه الزوج الموقف بشجاعة، وبحث عن العلاج عند الأطباء النفسيين ولم يجده، فتحول إلى الأطباء المتخصصين في أمراض الذكورة والعجز الجنسي، الذين عالجوه بالأدوية والعمليات الجراحية، وفشلت محاولات علاجية، عديدة كلفته أموالًا كثيرة، وهو صابر ومحتسب. يقول الزوج عن نفسه " الأمر كان صعبًا على نفسي، ولم يكن أمامي إلا الله أسأله الشفاء، لكن زوجتي المسكينة ما ذنبها، أحرمها من حقها الشرعي، ومن أن تكون أُمًا، فلم أجبرها على الاستمرار في هذا الزواج، وكنت أعرض عليها بعد كل محاولة علاجية فاشلة أن نفترق بالمعروف، وهي تواسيني، وتشجعني على البحث عن العلاج عند طبيب آخر، وتعطيني الأمل في الشفاء. وهكذا استمرت

المحاولات العلاجية لأكثر من سنتين، أنفقت عليها كل ما أملك، إلى أن أراد الله الشفاء على يد أحد الأطباء، وأنجبنا الأطفال والحمد لله الذي جعل بعد عسر يسرًا.

تحليل إدارة الأزمة: نجد في هذا النموذج الرابع أن الأزمة كادت أن تعصف بالزواج، وتؤدي إلى الطلاق لولا حكمة الزوجين في إدارة الأزمة، بأساليب قامت على صبر الزوجة ومساندتها لزوجها حتى شفاه الله، وصبر الزوج ورضاه بقضاء الله وقدره، وحرصه على العلاج والأخذ بالأسباب، واستعداده لإعطاء الزوجة حقوقها كاملة في الطلاق، وجعل الأمر بيدها ويد أهلها في إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان" حتى شفاه الله، وأنجبت الزوجة وانتهت الأزمة وكان فضل الله عليهما عظيمًا.

تعقيب على النماذج الأربعة :

كان هدفنا من عرض هذه النماذج الأربعة تقديم أدلة عملية على أهمية إدارة الأزمات الأسرية بأساليب فعالة في مواجهة الأزمة وحل المشكلة أو التعايش معها إن تعذر حلها، ونستخلص مما عرضناه الآتي :

أ- التأزم من الأحداث الضاغطة والمشكلات في الأسرة أمر طبيعي، يحدث في الأسر جميعها بدرجات مختلفة من الشدة، ويرجع الفرق في شدة التأزم بين أسرة وأخرى- في جزء كبير منه - إلى إدارة كل أسرة للأزمة. فالأسرة التي تدير أزمتها بأساليب فعالة، فيها إجتهاد في المواجهة، وحل المشكلة أو التعايش معها (إذا تعذر الحل) فإن تأزمها يكون أقل في الشدة والمدة من الأسرة التي تدبر أزمتها بأساليب غير فعالة. فشدة التأزم ومدته ليست في المشكلة نفسها ولكن في طريقة تعامل الأسرة مع الأزمة وإدارتها.

فقد تأزم الرسول عليه الصلاة والسلام، وتأزمت السيدة عائشة رضي الله عنها من حديث الإفك وهو تأزم طبيعي، ولكنهما أدارا الأزمة بأساليب فعالة فيها صبر واحتساب إلى أن أظهر الله الحقيقة. وتأزم أبو طلحة وأم سليم بموت ابنهما، لكنهما

صبرا واحتسبا، وتعايشا مع موت ابنهما، ورضيا بقضاء الله وقدره، فعوضهما الله بخير مما أخذ منهما. وتأزمت الأسرة بزواج الرجل على زوجته، واشتد التأزم بسبب ردود أفعال الأسرة غير الفاعلة، لولا سعي الابن الكبير إلى الإرشاد الأسري، وتجاوب الأم مع المرشدين الذين ساعدوها على تقبل الأمر الواقع، والتعايش معه. وتأزمت الأسرة الرابعة بالعجز الجنسي عند الزوج لكنها أدارت الأزمة بأساليب فعالة جعلت التأزم محتملا إلى أن شفى الله الزوج وأنجبت الزوجة.

ب- **تتطلب إدارة الأزمة الأسرية الأخذ بالأسباب في مواجهة المشكلة مع التوكل على الله**، الذي بيده التوفيق في حل أية مشكلة مهما كانت صعبة، وهو الذي يجعل بعد العسر يسرا. فالتوكل على الله يعطي الأمل في الحل، ويشجع على المثابرة في المواجهة مهما كانت الصعاب، فقد يأتي الحل من حيث لا يحتسب الجميع. ففي حديث الإفك جاء الحل من عند الله في قرآن يتلى، أثبت براءة أم المؤمنين، وأعاد إلى أسرة النبي ﷺ الاستقرار، وكان الرضا بقضاء الله وقدره في موت الإبن حاميًا لوالديه من اضطرابات ما بعد الصدمة، وكان السعي إلى الإرشاد الأسري والأخذ به وتعايش الزوجة مع الأمر الواقع الذي نتج عن زواج زوجها عليها من عوامل إعادة الترابط إلى الأسرة وحماية الأبناء من الضياع. كما أن مثابرة الزوج على علاج العجز الجنسي والدعاء إلى الله من عوامل الشفاء واستمرار الحياة الزوجية .

ج- **لكل أزمة أسرية عمرًا زمنيًا**، أو مدة زمنية – قد تطول أو تقصر – ولكنها في النهاية سوف تنتهي إما بحل المشكلة إما بالتغلب عليها أو التعايش معها ، وما على أفراد الأسرة إلا الصبر وعدم اليأس من الحل، لأن لكل أزمة نهاية مهما طال أمدها. وفي الصبر فائدتان للصابرين : أولهما الثواب من الله في الدنيا والآخرة، وثانيهما الحماية من زيادة التأزم ومن اضطرابات وأمراض ما بعد الصدمة، فتخرج الأسرة من الأزمة بأقل الخسائر في الدنيا وتربح الثواب من الله في الآخرة. فقد قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴿١٥٦﴾ ﴾ [البقرة:١٥٦].

د- **إذا لم تستطع الأسرة التغلب على الأزمة أو حل المشكلة فالتعايش معها والرضا بقضاء الله وقدره هو الحل لها**، وهو الأسلوب الفعال في التغلب على أثارها " فعسى أن تكرهوا شيئًا ويجعل الله فيه خيرًا كثيرًا ". والرضا في المصائب ليس بالأمر السهل، لأن النفس تحتاج إلى مجاهدة كبيرة في الترضِّي "فالرضا بالتَّرضي مثل العلم بالتعلم". وفي الرضا بقضاء الله وقدره فائدتان : أولهما الثواب من الله في الدنيا والآخرة، وثانيهما تخفيف التأزم والحماية من أعراض ما بعد الصدمة. **فقد قال ﷺ: " فمن رضي فله الرضا ومن سخط فعليه السخط ".**

* * *

تلخيص

يهدف هذا الفصل إلى تعريف القارئ بالتوافق الأسري مع أحداث الحياة التي تنقسم إلى ثلاثة أنواع:

(أ) أحداث عادية: تحدث للأسر جميعها، وتتوافق معها بأساليب مألوفة وفق العادات والتقاليد والمعتقدات ، وليس فيها صعوبات.

(ب) أحداث سراء: تحدث لبعض الأسر فيها نجاح وتوفيق وربح ونجاة من الموت، وشفاء من المرض وغيرها من الأحداث المحببة إلى نفوس أفراد الأسرة، ويتوافقون معها توافقًا سهلًا. ومع هذا قد تتوافق بعض الأسر مع أحداث السراء توافقًا أسريًا سيئًا، قد يحول الأحداث السراء إلى ضراء ويجعل التوافق السهل توافقًا صعبًا فيه مشكلات وأزمات.

(ج) أحداث ضراء : تحدث لبعض الأسر فيها خسارة وفشل وإحباط وموت ومرض وهجر وطلاق وإدمان وسجن وغيرها من الأحداث التي تؤدي الى التأزم في الأسرة.

والتأزم الأسري مسألة نسبية تختلف من أسرة إلى أخرى وفق إدراك أفراد الأسرة للأزمة وتفسيرها، والانفعال بها والاستجابة لها. فالتأزم الأسري (X)- وفق نموذج هَلْ المعدل – محصلة التفاعل بين الحادث الضاغط (A) وإدراك الأسرة لهذا الحادث وانفعالها به (B)، وقدرة الأسرة على مواجهة الحادث (C) وردود أفعال أفرادها في الموقف (D) التي قد تخفف من الإحساس بالتأزم أو تزيده، وتجعله إحساسًا بمصيبة أو كارثة.

وتحتاج كل أزمة إلى إدارتها بأساليب فعالة، تساعد على مواجهة الأزمة وحل المشكلة أو التعايش معها إذا تعذر حلها.

وتعتمد إدارة الأزمة على نضج شخصية كل من الزوجين أو الوالدين، وقوة العلاقات الأسرية، والالتزام بالدين قولًا وعملًا، وحجم الأسرة، والمساندة

الاجتماعية من الأهل والأصدقاء، والإرشاد الأسري للمأزومين.

وتشير النماذج الأربعة التي عرضناها للتأزم الأسري إلى أن مشكلة الأسرة ليست في الأزمة ولا في التأزم، وإنما في إدارة الأزمة. فالأسرة التي تدير أزمتها بأساليب فعالة لا تتأزم بشدة، ولا تتأزم لمدة طويلة. ومن أهم خصائص الأساليب الفعالة في إدارة الأزمات الأسرية الآتي :

أ- التعامل مع الحادث الضاغط بهدف التغلب على الأزمة وحل المشكلة أو التعايش معها.

ب- الأخذ بأسباب حل المشكلة مع التوكل على الله الذي بيده التوفيق في الحل.

ج- الصبر على الأزمة، وتحمل ما فيها من ضغوط حتى ينتهي أمدها، ويتم التغلب عليها.

د- التعايش مع الأزمة التي ليس لها حل إلا بقبولها، والرضا بقضاء الله وقدره.

* * *

الفصل السابع
التوافق الزواجي

يرتبط التوافق الزواجي بمجال الزواج أهم مجالات الحياة الأسرية، ويقصد به توافق الزوجين معًا ومع مطالب الزواج، ويشمل تفاعلهما معًا وردود أفعالهما في المواقف التي تتعلق بدوري: الزوج **Husband role** والزوجة **Wife role**، اللذين يقوم عليهما استقرار الأسرة وتماسكها، وينبثق منهما أدوار الأب/ الأم، والابن/ الابنة، والأخ / والأخت، وغيرها من الأدوار الأسرية الأخرى. فلا أسرة دون زواج ولا زواج دون أسرة.

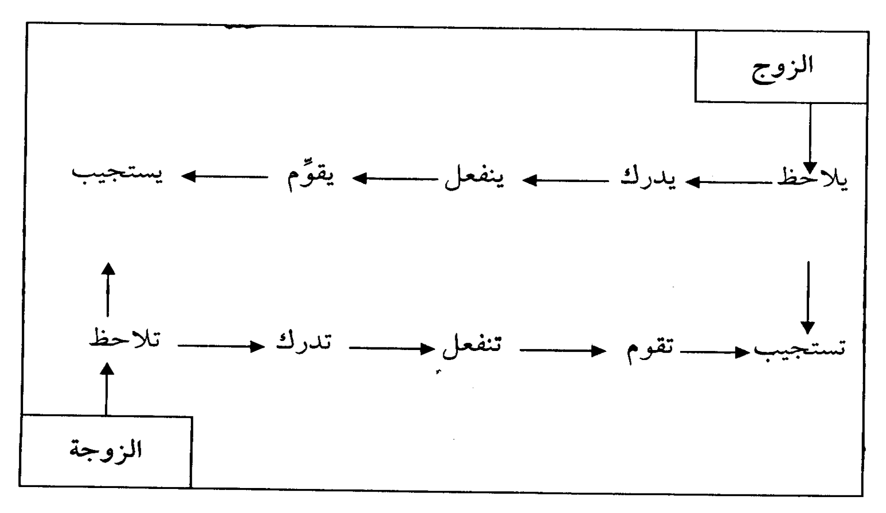
ونتناول في هذا الفصل التوافق الزواجي بالتحليل والتفسير لكي نفهمه، ونقف على عوامل التوافق الزواجي الحسن **Marital well-adjustment** والتوافق الزواجي السيئ **Marital mal-adjustment**، فنعمل على تنمية التوافق الحسن ونعالج عوامل التوافق السيئ، ونحمي أنفسنا منها، ونحافظ على تماسك الأسرة وترابطها . فإذا صلح التوافق الزواجي صلح التوافق الأسري في المجالات الأخرى، وإذا فسد التوافق الزواجي فسدت الأسرة كلها، واضطربت أحوالها وتفككت روابطها. (Beavers, 1985)

تحليل التوافق الزواجي

عملية التوافق الزواجي كأي توافق اجتماعي عملية مركبة من التفاعل وردود الأفعال بين الزوجين، ويكون **التوافق الزواجي حسنًا** إذا كان تفاعل الزوجين معًا إيجابيًا أو سلبيًا وردود أفعالهما مناسبة للموقف، وتتفق مع العادات والتقاليد والقيم والمعتقدات الإسلامية، بينما يكون **التوافق الزواجي سيئًا** إذا كان تفاعلهما معًا إيجابيا أو سلبيا وردود أفعال كل منهما تُغضب الزوج الآخر، أو لا تناسب الموقف، أو لا تتفق مع العادات والتقاليد والقيم والمعتقدات الإسلامية.

ويتكون التوافق الزواجي من خمس عمليات مترابطة ومتداخلة، لا يمكن الفصل بينها إلا من أجل الدراسة والبحث. والشكل رقم (٢-٥) يبين رسمًا تخطيطيًا لهذه العمليات الخمس، ونجد فيه أن التوافق الزواجي يتكون من ملاحظة الزوج لسلوك زوجته وتصرفاتها، وإدراكه لهذا السلوك وفهمه له وانفعاله به، ثم اختياره ردود أفعاله التي يستجيب بها، فتلاحظها الزوجة وتدركها، وتنفعل بها، ثم تستجيب لها بردود أفعال يلاحظها الزوج. وهكذا يستمر التفاعل وردود الأفعال في الموقف.

ويكون التوافق الزواجي في هذا الموقف مريحًا أو مزعجًا وفق التفاعل الزواجي، أي وفق انفعال كل من الزوجين بسلوك الزوج الآخر، في حين يكون التوافق الزواجي حسنًا أو سيئًا، وفق الزواجي ردود أفعالها المتبادلة: مناسبة أو غير مناسبة.



(الشكل رقم ٢- ٥)

عمليات التوافق الزواجي

ونوضح فيما يلي التوافق الزواجي وما يحدث فيه من تفاعل زواجي وردود أفعال بين الزوجين :

أولاً : التفاعل الزواجي :

ونقصد به عملية التأثير المتبادل بين الزوجين، بحيث يكون سلوك كل منهما مترتبًا على سلوك الزوج الآخر. وتتكون هذه العملية من أربع عمليات فرعية، تحدث داخل كل من الزوجين على النحو الآتي :

١- **ملاحظة الزوج لسلوك الزوج الآخر** : من خلال حواسه الخمس لا سيما حواس السمع والبصر والشم، فالزوج الذي يتفاعل مع الزوج الآخر، يرى مظهره وهندامه وحركاته وتعبيراته، ويسمع كلامه، ويشم رائحته. فالتفاعل الزواجي- الإيجابي والسلبي- ينطلق من إحساس كل من الزوجين بالزوج الآخر، وما تحمله أحاسيسه من إشارات ومعانٍ.

٢- **إدراك كل من الزوجين لسلوك الزوج الآخر وردود أفعاله معه**، فما يقع على الحواس ينتقل إلى المخ، ويتم إدراكه وفهمه وتفسيره، فيدرك كل من الزوجين ما يسمعه أو يراه أو يشمه من الزوج الآخر، ويعطيه المعنى المناسب وفق استيعابه له، ومعرفته به وعلاقته بالزوج الآخر ومشاعره نحوه، وظنه به.

٣- **انفعال الزوج بما يدركه في سلوك الزوج الآخر** : الذي قد يكون انفعالا سارًا إذا وجد فيه ما يرضيه، ويشرح صدره (تفاعل إيجابي) أو انفعالا مكدرًا إذا وجد فيه ما يغضبه (تفاعل سلبي).

٤- **تقويم الزوج لسلوك الزوج الآخر** : وفق ما يفهمه منه، وانفعاله به ، وتقويمه لقدراته هو في التعامل مع الزوج الآخر، وما يريده منه. وقد يكون التقويم تقويمًا إيجابيًا فتزداد انفعالاته السارة، أو تقويما سلبيًا فتزداد انفعالاته الغاضبة أو المنفرة من الزوج الآخر.

ثانيًا : رد فعل الزوج على سلوكيات الزوج الآخر :

بعد أن تكتمل عمليات التفاعل الزواجي من ملاحظة وإدراك وانفعال وتقويم، يستجيب الزوج بردود تحمل رسالته إلى الزوج الآخر في سلوكيات لفظية وحركية وتعبيرية إرادية مقصودة، قد تكون حسنة ومفرحة (توافق زواجي حسن) أو سيئة مكدرة (توافق زواجي سيئ) للزوج الآخر.

علاقة التفاعل الزواجي بردود أفعال الزوجين :

مع أن ردود أفعال الزوجين ناتجة عن تفاعلهما معًا، فليس كل تفاعل زواجي إيجابي يؤدي إلى ردود أفعال مقبولة تجعل التوافق الزواجي حسنا، ولا كل تفاعل زواجي سلبي يؤدي إلى ردود أفعال غير مقبولة تجعل التوافق الزواجي سيئا. والشكل رقم (٢-٦) يبين علاقة التفاعل بردود الأفعال.

			جانب التوافق الزواجي الخارجي ردود أفعال الزوجين	
جانب التوافق الزواجي الداخلي	التفاعل الزواجي	شكل التوافق / شكل التفاعل	حسنة أو مقبولة	سيئة أو غير مقبولة
		إيجابي	(١)	(٢)
		سلبي	(٣)	(٤)
			حالات التوافق الأسري	

(الشكل رقم ٢- ٦)

علاقة التفاعل الزواجي بردود الأفعال في التوافق الزواجي

ونجد في الشكل السابق أن حالات التوافق الزواجي كحالات التوافق الأسري

أربع حالات. حالتان للتوافق الزواجي الحسن هما (١) و (٣) عندما يكون تفاعل الزوجين معًا إيجابيًا أو سلبيًا وردود أفعالها معًا مقبولة نفسيًا واجتماعيًا، وحالتان للتوافق الزواجي السيئ هما ٢و٤ عندما يكون تفاعلهما معًا إيجابيًا أو سلبيًا وردود أفعالها معا سيئة غير مقبولة نفسيًا واجتماعيًا.

علاقة التوافق الزواجي بالرضا والسعادة في الزواج :

ونستنتج من علاقة التفاعل الزواجي بردود أفعال الزوجين معًا أن مفاهيم التوافق والرضا والسعادة في الزواج ليست مترادفة. فقد يوجد توافق زواجي حسن ولا يوجد رضا في الزواج Marital satisfaction ولا سعادة زواجية Marital happiness، وقد يوجد توافق زواجي سيئ ولا يوجد شقاء في الحياة الزواجية. والشكل رقم ٢-٧ يبين العلاقة بين التوافق والرضا والسعادة في الزواج.

حالات العلاقة بين التفاعل وردود الأفعال في الزواج	التوافق الزواجي	الرضا في الزواج	السعادة الزواجية
(١) تفاعل إيجابي مع ردود أفعال مقبولة أو حسنة	توافق حسن	رضا زواجي قوي	سعادة زواجية
(٢)تفاعل إيجابي مع ردود أفعال غير مقبولة أو سيئة	توافق سيئ	عدم رضا زواجي	
(٣) تفاعل سلبي مع ردود أفعال مقبولة أو حسنة	توافق حسن	رضا زواجي	
(٤) تفاعل سلبي مع ردود أفعال غير مقبولة أو سيئة	توافق سيئ	كراهية الزواج	شقاء في الزواج

(الشكل رقم٢- ٧)

علاقة التوافق بالرضا والسعادة في الزواج

ونجد في الشكل السابق أن التوافق الزواجي الحسن لا يدل على السعادة الزواجية إلا إذا كان التفاعل بين الزوجين إيجابيًا وردود أفعالها معًا مقبولة نفسيًا

واجتماعيًا. كما لا يدل التوافق الزواجي السيئ على الشقاء في الزواج إلا إذا كان التفاعل الزواجي سلبيًا، وردود الأفعال غير مقبولة نفسيًا واجتماعيًا.

محددات التوافق الزواجي

يتأثر التوافق الزواجي بعدة عوامل تحدد شكل التفاعل : إيجابيًا أو سلبيًا، وتحدد نوع ردود الأفعال: حسنة أو سيئة. ومع إدراكنا للتداخل والتشابك بين هذه العوامل، وصعوبة الفصل بينها نحاول مناقشة أهمها، وتوضيح تأثيرها على توافق الزوجين معًا في الحياة الأسرية. من هذه العوامل ما يلي :

١- اهتمام كل من الزوجين بالزوج الآخر :

ونقصد به سلوك كل من الزوجين مع الزوج الآخر بالكلام والحركات والتعبيرات، التي قد تجذبه إليه أو تنفره منه، ويصبح **العامل الأول في التفاعل الزواجي الإيجابي والتوافق الزواجي الحسن هو حرص كل من الزوجين على أن يُسْمِع الزوج الآخر ما يرضيه من القول الطيب، ويريه من زينته وهندامه ما يشرح صدره، ويشممه من الروائح ما يجذبه إليه،** ويحميه من سماع الكلام الغليظ غير المهذب، ومن رؤية المظهر المبتذل غير المرتب، ومن شم الروائح المنفرة الكريهة.

ويجمع خبراء الإرشاد الزواجي على تأثير مظهر كل من الزوجين مع الزوج الآخر، وأسلوبه في الكلام معه، ورائحته في القرب منه على عملية التفاعل الزواجي، وينصحون كلا منهما بالتزين للزوج الآخر، ومداعبته وملاعبته ومغازلته ومبادلته عبارات الشوق والحب، لكي يشجعه على التفاعل الإيجابي معه أو التفاعل السار pleasant interaction ، ويحميه من التفاعل السلبي (Beavers, 1985) .

وقد أدرك علماء المسلمين هذه الحقيقة قبل علم النفس الحديث، فدعوا إلى تزين الزوجة لزوجها وتزين الزوج لزوجته لكي يرتاح كل منهما للزوج الآخر، ويُقْبل عليه. فهذا ابن عباس رضى الله عنهما يقول " إني فهمت قوله تعالى **" ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف"** أن أتزين لزوجتي كما أحب أن تتزين هي لي. وكان لعمر بن الخطاب بصيرة المرشد الزواجي في علاج الخلافات الزواجية، عندما دخل عليه رجل أشعث أغبر، ومعه زوجته تريد الطلاق، فأمره عمر رضي الله عنه بالاستحمام

وتهذيب شعره وتقليم أظافره ففعل، فلما رأته زوجته رجعت عن طلب الطلاق. فقال عمر "هكذا فاصنعوا لهن ، فوالله إنهن يحببن أن تتزينوا لهن كما تحبون أن يتزين لكم" (الاستانبولي، ب ت : ٨٣).

ويقول الإمام ابن القيم في دور الحواس في التفاعل الزواجي " إن العين والأذن والأنف إذا وقعت على حَسَن أَوْصَلته إلى القلب، فيحدث الانجذاب بين الزوجين، وإذا وقعت على قبيح أوصلته إلى القلب أيضًا فيحدث النفور بينهما".

وأوصت أم ابنتها عند الزواج فقالت : أي بنية : لا تغفلي عن نظافة بدنك فإن نظافته تضيء وجهك، وتحبب فيك زوجك. أي بنية: إن المرأة الوسخة تمجها الطباع، وتنأي عنها العيون والأسماع . أي بنية : إذا قابلت زوجك فقابليه فرحة مستبشرة، فإن المودة تقوم على بشاشة الوجه " (الألباني ، ١٩٧٥ : ١٥٢) .

ومن الملاحظ في المجتمعات الحديثة أنّ بعض الأزواج والزوجات يحرصون على الزينة والمظهر والهندام والرائحة الطيبة عند الذهاب إلى العمل والأسواق والزيارات، ويهملونها في البيت في وجود الزوج الآخر، فلا يتزين الزوج لزوجته، ولا تتزين الزوجة لزوجها، فيحدث النفور بينهما، وتفتر العلاقة الزواجية، ويختل التوافق الزواجي في مواقف كثيرة.

٢- حُسْن ظن كل من الزوجين بالزوج الآخر :

فالزوج الذي يحسن الظن بالزوج الآخر يأخذ سلوكياته كلها على محمل حسن، وينظر إليها نظرة إيجابية بحلوها ومرها، ويفرح بما يرضيه منها، ويلتمس للزوج الآخر عذرًا فيما لا يرضيه، وَيقْبل بمحاسنه، ويتحمل مساوئه، ويتسامح معها، مما يجعل تفاعله مع الزوج الآخر تفاعلًا إيجابيًا في مواقف كثيرة، لأنه يُحْسن الظن به فيما يحب ويكره، فإذا وجد منه ما يحب تفاعل معه إيجابيًا، وإذا وجد منه ما يكره وتفاعل معه تفاعلًا سلبيًا، لا يستمر في تفاعله السلبي معه لمدة طويلة، ويتحول بسرعة إلى التفاعل الزواجي الإيجابي، ويسعى إلى ترضية الزوج الآخر، ويصفح عن أخطائه أو عيوبه.

أما الزوج الذي يسيء الظن بالزوج الآخر، فإنه يتوقع منه الشر ولا يتوقع منه

الخير، فإن أحسن إليه تشكك في دوافعه، واستخف بإحسانه، وإذا أساء إليه كَبَّر إساءته وضَخَّمها، وفَكَّر فيها وفهمها بطريقة تغضبه هو من الزوج الآخر، وتجعله يستجيب بردود أفعال تزعج الزوج الآخر. وهكذا يصبح التوافق الزواجي سيئًا بسبب سوء ظن كل من الزوجين بالزوج الآخر، وليس بسبب ما يحدث بينهما من خلافات.

وتصبح النصيحة الواجبة للزوجين هي " **لا يمسي أحدكما ولا يصبح إلا وهو يحسن الظن بالزوج الآخر** " فحسن الظن مفتاح السعادة في الحياة الزوجية، وسوء الظن مفتاح الشقاء فيها. وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول : **إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث** " (متفق عليه).

٣- ضبط كل من الزوجين انفعالاته وردود أفعاله في التوافق الزواجي :

مع أن ردود أفعال الزوجين في التوافق الزواجي ناتجة عن تفاعلهما معًا، فإنها — أي ردود الأفعال — تؤثر على التفاعل الزواجي وتجعله تفاعلًا إيجابيًا أو سلبيًا، أو تحوله من تفاعل إيجابي إلى سلبي، أو من سلبي إلى إيجابي، أو تجعل التفاعل الإيجابي أكثر إيجابية والتفاعل السلبي أكثر سلبية.

فعندما يستجيب كل من الزوجين في مواقف الفرح والسرور (تفاعل إيجابي) بردود أفعال مناسبة ترضي الزوج الآخر، يستمر التفاعل الإيجابي بينهما، ويزداد فرحهما وسرورهما في الموقف. أما إذا استجاب أحدهما أو كلاهما بردود أفعال غير مناسبة للفرح وتغضب الزوج الآخر، فقد يتحول التفاعل الزواجي بينهما من تفاعل إيجابي إلى تفاعل سلبي، والمثال الآتي يبين كيف يتحول التفاعل الزواجي من تفاعل زواجي إيجابي إلى تفاعل سلبي، بسبب ردود أفعال كل من الزوجين في الموقف.

فقد فرح الزوجان بالمولود الجديد، ودار بينهما الحوار الآتي :

الزوج فرحًا: مبروك السلامة يا حبيبتي.

الزوجة فرحة: بارك الله فيك، وجعله قرة عين لي ولك.

الزوج: طفل جميل مثل أمه.

الزوجة: أشكرك يا حبيبي ... جمال بعد خمس مرات ولادة!

الزوج: ستظلين جميلة طول عمرك.

الزوجة: أشكرك يا حبيبي ... يعني لن تفكر في الزواج من امرأة أخرى.

التحول من التفاعل الإيجابي إلى التفاعل السلبي

الزوج: إذا لم يكن المولود ولدًا تزوجت عليك ...

الزوجة: أدري يا حبيبي ... خاب ظنك والحمد لله .

الزوج: لا .. أستطيع الزواج ثانية، ولا شيء يمنعني .. لكن.

الزوجة: لكن ماذا ؟ تزوج وأنا أذبحك وأذبحها.

الزوج: أنا أمزح معك .

الزوجة: لكني لا أمزح، إذا تزوجت أذبحك وأذبحها.

الزوج: (غضب من حدة نبرات صوت الزوجة) لا تستطيعين ذبح دجاجة.

الزوجة: (استمرت في تحديها) تزوج وسوف ترى بنفسك. أنا أعرف من يدفعك إلى هذا؟ .

الزوج: لا زلت تفكرين في أمي بهذه الطريقة ... حرام عليك.

الزوجة: لا ... ليس حرامًا ... هي لا تحبني ... وأنت ابن أمك .

الزوج: (زاد غضبه من الزوجة) كُفِّي عن هذا التفكير الظالم.

الزوجة: (باكية) ربنا ينتقم من الظالم.

الزوج: أنت سيئة الظن ... ربنا ينتقم منك .

ودخلت الممرضة ووجدت الزوجة تبكي والزوج يعنفها، ثم ترك المستشفى

غاضبًا وهكذا تحول التفاعل الإيجابي إلى سلبي والتوافق الحسن إلى سيئ.

أما في مواقف الزعل والغضب (التفاعل السلبي) فإن ردود أفعال الزوجين في الموقف تجعل توافقهما الزواجي حسنًا أو سيئًا، أو تجعله أكثر سوءًا واضطرابا. فعندما يتفاعل الزوج مع الزوج الآخر تفاعلًا سلبيًا، ويستجيب هو بردود أفعال غاضبة تستثير غضب الزوج الآخر، الذي يستجيب له بردود أفعال أشد غضبًا، تثير غضب الطرف الآخر، الذي يستجيب بردود أفعال أشد منها غضبًا . وهكذا يتطور التفاعل الزواجي السلبي من مشكلة بسيطة إلى مشكلة كبيرة، بسبب ردود الأفعال الغاضبة التي تُؤَجج نار الغضب في التفاعل السلبي، والذي ينتهي عادة بعواقب وخيمة.

والقصة التالية تبين دور ردود الأفعال الغاضبة في **زيادة التفاعل الزواجي السلبي**. فقد عاد الزوج إلى البيت ولم يجد زوجته، فغضب (**تفاعل سلبي**). وعندما عادت سألها بغضب وسخرية: أين كنت يا هانم؟ . غضبت الزوجة من غضبه، واستهزائه بها (تفاعل سلبي) وأجابت بحدة : اسمع لا تكلمني بهذه الطريقة.

قال: أسألك يا محترمة (باستهزاء) أنا زوجك، ومن حقي **أن** أسألك، وأعرف **أين كنت حتى هذه الساعة — الزوجة المحترمة لا تترك بيتها بدون إذن زوجها.**

قالت: اسأل بأدب، أنا لست جارية عندك.

قال: أنت التي تعلميني الأدب يا قليلة ....

قالت: أنا لست قليلة ..... لكن الذي يقول عني هو قليل ....

ثم أدارت له ظهرها وتركته، ولم تخبره أين كانت، فاستشاط غيظًا ولحق بها وصفعها على وجهها، وسبها وسبته، وجرت من أمامه، وجاءت بعصا وضربته وضربها، وارتفع الصراخ والنحيب في البيت، وتجمع الأهل والجيران، وحملوهما إلى المستشفى لعلاج ما بهما من إصابات.

وهكذا زاد التفاعل السلبي بين الزوجين، وتحول من سيئ إلى أسوأ بسبب ردود أفعالهما الغاضبة، التي أسهمت في زيادة التفاعل السلبي، والذي ظهر بدوره في

زيادة العنف في ردود أفعالهما، التي بدأت بالسخرية والغضب ثم السب والإهانة، إلى الضرب والأذى البدني، وانتهت بالإصابات، ولو تحمّل أحدهما غضب الزوج الآخر، ولم يقابل غضبه بغضب، ما تطور التفاعل السلبي إلى هذا الحد.

أما عندما يتفاعل الزوج مع الزوج الآخر تفاعلا سلبيًا، ثم يكظم هو غيظه، ويسيطر على غضبه، فإن ردود أفعاله تخفف من غضب الزوج الآخر، ولا تنمي التفاعل السلبي وقد توقفه ، والأفضل من كظم الغيظ والعفو الإحسان إلى الزوج الآخر، ومقابلة السيئة منه بالحسنة، التي قد تنمى التفاعل الإيجابي، وتحول التوافق الزواجي من التوافق السيئ إلى التوافق الحسن.

والطريف في القصة التي أشرنا إليها آنفًا أن الزوجين تصالحًا في المستشفى، وتسامح كل منهما مع الزوج الآخر، واجتهد في ترضيته. ولو حدث هذا من البداية ما حدث ما حدث من ضرب وسب وإصابات ومستشفى.

وتصبح النصيحة الواجبة **عندما يحدث التفاعل الزواجي السلبي أن يعمل كل من الزوجين على تحويل هذا التفاعل من السلبي إلى الإيجابي** وذلك باتباع الآتي :

أولًا: لا يَغْضَب أي من الزوجين من الزوج الآخر، وإذا غضب منه لا يتجاوب مع الغضب، ولا يستمر فيه لمدة طويلة، وعليه أن يوقف هذا الغضب ولا يغذيه. فالغضب يزداد في الموقف عندما ينفعل الزوج بالغضب، ويفكر بطريقة تستثيره في نفسه. فهو الذي يشحن نفسه بالغضب من الزوج الآخر.

ثانيًا: تحمل غضب الزوج الآخر في مواقف الخلاف والغضب وعدم مقابلة غضبه بغضب مثله، والاجتهاد في وقف الغضب المتبادل وعدم الإسهام في زيادة غضب الزوج الآخر.

ثالثًا: مجاهدة النفس بالإحسان إلى الزوج الآخر في مواقف الخلاف والغضب. ومقابلة السيئة منه بالحسنة لتنمية التفاعل الإيجابي، وجعل ردود أفعاله جيدة وتوافقه الزواجي حسنًا.

وقد حث الاسلام على اتباع هذه النصيحة لوقف التفاعل الاجتماعي السلبي

بين الناس، ومن باب أولى وقف التفاعل الزواجي السلبي، حيث يقول تعالى: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران:١٣٤] ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾ [الشورى]. فالإسلام يطلب من الزوجين أن يصفح كل منهما عن إساءة الزوج الآخر في حقه، أو على الأقل يكظم غيظه إذا انفعل بالإساءة وغضب منها (تفاعل زواجي سلبي)، ففي كظم الغيظ وقف لردود الأفعال الغاضبة وتهدئة للزوج الآخر.

وحث رسول الله ﷺ كلا من الزوجين على تحمل الزوج الآخر في مواقف التفاعل الزواجي السلبي، ودعاهما إلى أن تكون ردود أفعالهما جيدة، تُرْضِي الزوج الآخر، ولا تستثير غضبه. فقال للزوج " **لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقًا أحب منها آخر** " (رواه أحمد ومسلم). فالزوج المؤمن لا يبغض ولا يكره زوجته في مواقف الخلاف والغضب، لأنه يتحمل عيوبها في مقابل محاسنها، فإن أحبها أكرمها (في التفاعل الإيجابي) وإن كرهها لم يظلمها (في التفاعل السلبي).

ويقول عليه الصلاة والسلام للزوجة التي غضب عليها زوجها " **فإن كان هو – أي الزوج – أظلم فلتأته حتى ترضيه، فإن قبل منها فبها ونعمت، وقبل الله عذرها وأفلج حجتها ولا إثم عليها، وإن هو لم يرض فقد أبلغت عند الله عذرها** " (رواه الحاكم). وفي حديث آخر يقول عليه الصلاة والسلام عن المرأة الصالحة " **كل ودود ولود إذا غضب زوجها قالت هذه يدي في يدك، لا أكتحل بغمض حتى ترضى** " (رواه الطبري).

وفي الحديثين الشريفين دعوة للزوجة المسلمة أن تتحمل غضب زوجها في التفاعل السلبي، ولا تبادله الغضب بغضب، وتستجيب له بردود أفعال تخفف من غضبه، وتشجعه على التفاعل الزواجي الإيجابي والتوافق معها توافقًا حسنًا، فتسعد به ويسعد بها، وتسعد برضا الله عنها في الدنيا والآخرة.

وكان أبو الدرداء رضى الله عنه من صحابة رسول الله ﷺ يقول لزوجته " إذا رأيتني غضبت فرضني، وإذا رأيتك غضبي رضيتك وإلا لم نصطحب". فمن الضروري أن يبادر أحد الزوجين إلى وقف التفاعل السلبي، بتغيير ردود أفعاله

الغاضبة نحو الزوج الآخر، إما بكظم الغيظ منه، أو بالعفو عنه، أو بالإحسان إليه حتى يرضيه، ويشجعه على وقف التفاعل السلبي، والتحول إلى التفاعل الإيجابي.

والزوج الذي يبدأ بالصلح خير من الزوج الآخر. فقد قال رسول الله ﷺ **" لا يحل لرجل أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليالٍ. يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام "** (رواه البخاري) وفي لفظ الإمام مسلم **" لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه المسلم"**. ومن باب أولى لا يحل لزوج أن يهجر الزوج الآخر، فوق ثلاث ليال، وخيرهما من بدأ بالسلام، وتحول من التفاعل السلبي إلى التفاعل الإيجابي، ومن ردود الأفعال الغاضبة إلى ردود الأفعال المهدئة والمريحة.

٤- نضج شخصية كل من الزوجين :

لكل زوج شخصيته التي تميزه عن غيره ، بما فيها من سمات ومعتقدات وميول واتجاهات وقيم ودوافع وانفعالات، وهي – أي الشخصية – إما أن تكون ناضجة متزنة أو غير ناضجة وغير متزنة انفعاليًا، أو تكون بين هذه وتلك. وتؤثر شخصية كل من الزوجين على تفاعلهما معًا، وعلى ردود أفعالهما في مواقف الحياة الزواجية. فالزوج الناضج في الشخصية يتفاعل مع الزوج الآخر تفاعلًا إيجابيًا، ويتوافق معه توافقًا حسنًا في مواقف كثيرة، لأنه يثق بنفسه، ويحسن الظن بها، مما يجعله يثق في الزوج الآخر، ويحسن الظن به (مرسي، ٢٠٠٣) ويضبط نفسه عند الغضب، ويسيطر على انفعالاته، ويتسامح مع أخطاء الزوج الآخر، ويتعامل مع مواقف الحياة الزوجية بموضوعية وواقعية، ويَتَرَوّى في اتخاذ قراراته، ويتحمل مسئولية أفعاله، فتكون ردود أفعاله مناسبة نفسيًا واجتماعيًا إذا تفاعل مع الزوج الآخر تفاعلًا إيجابيًا أو سلبيًا، ويتوافق توافقًا حسنًا في كل الأحوال، لأنه يقابل الإحسان بإحسان مثله، أو أفضل منه، ويتحمل إساءة الزوج الآخر، ويقابل السيئة بالحسنة.

فالزوج ناضج الشخصية حسن الخلق مع الزوج الآخر، يقوم بواجباته الزوجية معه، ولا يقصر فيها، ويتحمل إساءة الزوج الآخر ويتسامح مع أخطائه، ويشجعه على التفاعل الزواجي الإيجابي، لأن الزوج ناضج الشخصية يحرص على الكلام الطيب، والتعبيرات المهذبة، والحركات الرشيقة، والمظهر الجميل، والروائح الذكية،

مما يجعل تفاعله الزواجي إيجابيًا، وتوافقه الزواجي حسنًا في مواقف السراء والضراء في الحياة الزواجية (Bienvenu, 1986).

أما الزوج غير الناضج في الشخصية فيتفاعل مع الزوج الآخر تفاعلًا سلبيًا، ويتوافق معه توافقًا سيئًا في مواقف كثيرة، بسبب خلل في شخصيته وتفكيره وانفعالاته. ويعمل هذا الخلل من ناحية كمثير ذاتي يشحن الزوج غير الناضج بالغضب من الزوج الآخر لأسباب بسيطة، ويعمل من ناحية أخرى كمنشط لردود أفعاله الغاضبة التي تثير غضب الزوج الآخر منه.

والخلل في الشخصية هو الذي يجعل التفاعل الزواجي السلبي شديدًا، وردود الأفعال الغاضبة عنيفة في مواقف الخلافات الزواجية، فكل زوج غير ناضج في الشخصية يشحن نفسه بالغضب، ويستثير غضب الزوج الآخر بردود أفعاله، ولا يسيطر على انفعالاته في الغضب، ولا يتحمل غضب الزوج الآخر، فيتحول التفاعل الزواجي السلبي إلى صراع، وتتحول ردود الأفعال الغاضبة إلى الانتقام والتحطيم، وتصبح الأسرة حلبة قتال يستخدم فيها كل زوج جميع أسلحته ضد الزوج الآخر، ويحدث العنف الأسري بسبب الخلل في شخصية كل من الزوجين، وليس بسبب الخلافات بينهما. فالزوج الذي يضرب الزوج الآخر أو يؤذيه غير ناضج، وفيه خلل ما في الشخصية، ويسهم بدور كبير في تطوير التفاعل الزواجي السلبي إلى عنف مع الزوج الآخر، وقد تؤدي ردود الأفعال الغاضبة المتبادلة بين الزوجين غير الناضجين إلى الطلاق لأسباب بسيطة.

نماذج من ردود أفعال الأزواج غير الناضجين: وإذا كانت ردود أفعال الأزواج الناضجين في الشخصية متشابهة في تفاعلهم مع الزوج الآخر: الإيجابي أو السلبي، فإن ردود أفعال الأزواج غير الناضجين مختلفة وفق الخلل البارز في شخصية كل منهم.

فالزوج الذي يشعر بالنقص أو لا يشعر بالثقة في نفسه يتفاعل تفاعلًا سلبيًا مع الزوج الآخر، لأن عدم ثقته في نفسه تجعله لا يثق في الزوج الآخر، ويسيء الظن به ولا تعجبه تصرفاته، ويكثر من انتقاده، والتذمر منه، والسخط على أفعاله، وكأنه —

أي الزوج الذي يشعر بالنقص - يسقط ما في داخله من مشاعر نقص على الزوج الآخر، ويحاربها فيه، وقد ينشز عليه، ويتعالى عليه، وينفر منه.

لذا فإن معظم مشكلات هذا الزوج في الزواج تدور حول الشك والريبة والاتهامات، وقد يتجسس على الزوج الآخر، وتنقلب الحياة الزوجية إلى جحيم بسبب سوء ظنه وريبته في غير ريبة.

والزوج سريع الغضب المندفع يتفاعل تفاعلًا سلبيًا مع الزوج الآخر بسبب اندفاعيته، التي تجعله ينفعل بما يشاهده أو يسمعه من الزوج الآخر، قبل أن يدرك معناه، ويغضب منه قبل أن يفهم مغزى ما حدث منه، ويرد عليه دون تفكير وروية في عواقب ردود أفعاله، التي قد تؤذيه هو وتؤذي الزوج الآخر. وفي كتب التراث قصة طريفة لهذا الصنف من الأزواج، ففي عصر الإمام مالك رضي الله عنه في المدينة المنورة استفزت إمرأة زوجها ثم أعطته ظهرها، وصعدت السلم، فاستشاط غضبًا وصرخ فيها قائلًا : أنت طالق إن صعدت. وأنت طالق إن نزلت- وأنت طالق إن وقفت، فرمت المرأة نفسها على الأرض، فأسرع الرجل إليها ملهوفًا، وقال لها: فداك أبي وأمي ... إن مات مالك احتاجك أهل المدينة في أحكامهم الشرعية. (عبد الستار، ١٤٢١هـ:٣٠٣) فقد كان رد فعل الزوج الغاضب مندفعًا غير عابئ بطلاق زوجته، رغم أنه لا يريد طلاقها، مما جعله يفرح بذكاء زوجته وحسن تصرفها في الموقف، إذ لم تعمل ما يوقع الطلاق.

أما الزوج المتسلط الذي يتحكم في الزوج الآخر، ويتسلط عليه، فإنه يغضب منه ويتفاعل معه تفاعلًا سلبيًا، إذا عصى له أمرًا ، أو تصرف دون إذنه، أو راجعه في توجيه، أو تأخر في تلبية دعوة، أو رفض طلبًا، أو أبدى رأيا، أو ناقش موضوعًا. ومعظم مشكلات هذا الزوج في الزواج تدور حول الرئاسة والقوامة والسيطرة والأوامر في الأسرة، فهو صاحب الأمر والنهي وعلى الزوج الآخر السمع والطاعة دون مناقشة أو اعتراض.

ويغضب الزوج البخيل الشحيح المقتر من الزوج الآخر ويتفاعل معه تفاعلًا سلبيًا إذا طلب منه فلسًا أو اشترى شيئًا، أو كسر صحنًا أو استهلك ماء، أو عطل

جهازًا، أو أتلف أداة وغيرها من الأمور التي تكلف مالًا. فمشكلات هذا الزوج مع الزوج الآخر تدور حول الأمور المالية والبيع والشراء والاستهلاك في الأسرة فمبدأه في الحياة " عض قلبي ولا تعض رغيفي" .

أما الزوج المدمن فإنه يغضب من الزوج الآخر ويتفاعل معه تفاعلًا سلبيًا إذا تدخل في إدمانه، أو منعه من الإدمان، أو أفسد عليه الإدمان، أو لم يساعده في شراء مادة الإدمان، أو لم يشاركه في الإدمان. فمشكلات الزوج المدمن مع الزوج الآخر تدور حول الإدمان وما ينتج عنه من تصرفات مدمرة للحياة الزواجية.

ولا نقصد بالإدمان تعاطي المخدرات والكحوليات فقط بل كل شئ يسيطر على أحد الزوجين، ويشغله عن مسئوليات الزواج والأسرة، ويشمل إدمان أحد الزوجين على مشاهدة الأفلام الخليعة والإنترنت ولعب الورق والسهر خارج البيت وغير ذلك من حالات الإدمان، التي تفسد العلاقات الأسرية لا سيما العلاقة الزواجية.

أما الزوج الطفل فهو وإن كان راشدًا جسميًا، فإن تصرفاته مثل تصرفات الأطفال في الأسرة، اتكالي لا يتحمل مسئولية، ويعتمد على الزوج الآخر في كل شيء، يغضب منه إذا لم يعطه ما يريد، ويعنفه إذا رفض له طلبًا. ويسب ويلعن، ويضرب الأبواب في الدخول والخروج، ويُكَسّر الأشياء التي في طريقه، ولا يسكت غضبه إلا إذا خضع الزوج الآخر ولبَّى له طلباته.

والزوج الطفل أناني، متمركز حول ذاته سريع الانفعال، يجعل نفسه محور اهتمام الأسرة وطفلها المدلل، ويقوم تفاعله مع الزوج الآخر على أن يأخذ هو والآخر يعطي ، ويطلب هو والآخر يستجيب ، ويحصل هو ويعمل الآخر، ويترك هو مسئوليات الأسرة ويتحملها الآخر، ويثير هو المشكلات ويحلها الآخر.

ويفرح الزوج الطفل ويرضى ويتفاعل تفاعلًا زواجيًا إيجابيًا إذا كان الزوج الآخر يعطي ولا يأخذ، ويستجيب ولا يطلب، ويعمل ولا يحصل على شيء، ويحل له المشكلات، ويتحمل عنه المسئوليات في الأسرة. أما إذا اعترض الزوج الآخر على زوجه الطفل، وقاوم أنانيته، أو حرمه من التدليل، أو وضعه أمام مسئولياته في

الأسرة، أو طالبه بالعطاء فإنه يغضب ويثور، ويختلق المشكلات ويهجره، وقد يعاند ويعمل ما يؤذي نفسه أو يؤذي الزوج الآخر إذا لم يحاول الزوج الآخر استرضاءه.

فالحياة الزوجية بالنسبة لهذا الزوج عطاء من الزوج الآخر دون مقابل منه، وخضوع من الزوج الآخر وتسلط منه. وهو لا يفهم ولا يريد أن يفهم أن الحياة الزواجية أخذ وعطاء، وتضحية متبادلة بين الزوجين، وتحمل مسئوليات. وقصص الأزواج الأطفال كثيرة ومتنوعة في مراكز الإرشاد الزواجي، فهذه زينب (معلمة ٢٤ سنة) تقول " زوجي غضوب إذا رضي يومًا غضب أيامًا، ولا يرضى إلا إذا اعتذرت له مرات ومرات، وتذللت له بالساعات. ويغضب كثيرًا إذا تأخرت في تلبية طلبه أو إذا راجعته في الأمر. إنه يريد أن يحصل على كل شيء ولا يعطي شيئًا.

وهذه أم تركي (موظفة ٤٢ سنة) تقول أنا موظفة وأم لخمسة أطفال، وأتحمل مسئولية كل شئ في البيت، وزوجي يعتمد على راتبي في تلبية حاجاته الشخصية، رغم أن راتبه ضعف راتبي، لكنه لا يصرف منه شيئًا، ويطلب مني ثمن الدخان وبنزين السيارة، ويثور ويُكَسّر الأشياء إذا لم أدفع له، ويغضب إذا طلبت منه أن يشتري شيئًا للأولاد.

وهذه أم راشد (موظفة ٣٢ سنة) تقول " اتفقت مع زوجي من البداية على التعاون معًا في كل شيئ، لكن عندما يحدث بيننا خلاف يترك البيت لعدة شهور، ويتخلى عن كل مسئولياته في الإنفاق على الأسرة والأبناء، وعندما أرسل إليه وأسترضيه ويعود إلى البيت، يرفض الإسهام معى في مصروف البيت، ويقول " ما عندي فلوس إتصرفي أنت، فقد صرفت كل راتبي " وهكذا حاله في كل مرة يغضب ويترك البيت.

وهذه أم وائل (ربة بيت ٤٠ سنة) تقول " أسكن مع زوجي في بلد بعيد عن أهلي، وكلما حدث خلاف بيننا يضربني، وأحيانًا يطردني أنا والأطفال الخمسة من البيت، ونجلس بالساعات أمام البيت نسترضيه، ولا يعبأ ببكائي ولا بكاء الأطفال وقد يقذف لنا ملابسنا وأدواتنا من النافذة، وقد نقضي اليوم والليل عند الباب أو عند الجيران حتى يرضى.

٥- العلاقة الزواجية الحميمة:

فالزوجان المتحابان يرتبطان معًا بروابط المودة والمحبة والرحمة، ويحسنان الظن ببعضهما، ويتوقع كل منهما الخير من الزوج الآخر، ولا يتوقع منه الشر لأنه يحبه، وينتبه لمحاسنه أكثر مما ينتبه لعيوبه، ويتفاعل معه تفاعلًا إيجابيًا في مواقف كثيرة، ويفهم سلوكياته، ويفسرها تفسيرات تشرح صدره هو، ويستجيب لها بردود أفعال ترضي الزوج الآخر، وتشرح صدره أيضًا (Davidson & Moore, 1992).

وإذا غضب الزوج المحب من الزوج المحبوب وتفاعل معه تفاعلًا سلبيًا لا يتمادى المحب في الغضب، ويسعى إلى الصلح مع الزوج المحبوب، ويتحول من التفاعل السلبي إلى التفاعل الإيجابي بسرعة، لأنه يسامحه ويتحمل أخطاءه. أما إذا غضب المحبوب من المحب وتفاعل معه تفاعلًا سلبيًا، فإن الزوج المحب يتحمل غضب الزوج المحبوب، ويصبر عليه، ويسترضيه بكل الطرق، ولا يقابل غضبه بغضب، ويرد على السيئة منه بالحسنة. فالعلاقة الزواجية القوية التي تقوم على الحب المتبادل تجعل التوافق الزواجي حسنًا، سواء كان التفاعل بين الزوجين إيجابيًا أو سلبيًا، لأن كل منهما يحرص على ترضية الزوج الآخر، ويتعامل معه بسلوكيات تفرحه في التفاعل الإيجابي، ولا تغضبه في التفاعل السلبي. (Bienvenu, 1986).

أما عندما تكون العلاقة الزواجية ضعيفة، ويخلو الزواج من المودة والمحبة والرحمة، فإن الزوج لا ينتبه إلى محاسن الزوج الآخر، ويسيء الظن به، ويتوقع منه الشر ولا يتوقع الخير، ويتفاعل معه تفاعلًا سلبيًا في مواقف كثيرة، ويستجيب له بردود أفعال تثير غضبه، وتدفعه إلى التفاعل الزواجي السلبي، وتجعل توافقهما الزواجي سيئًا.

وإذا كانت ردود أفعال الزوج غير المحبوب جيدة مع الزوج غير المحب فإنه - أي غير المحب - لا يرضى بها، ويتشكك فيها، ويستخف بها، ويستجيب بردود أفعال لا تشجع الزوج غير المحبوب على التفاعل الإيجابي معه، ويصبح توافقهما الزواجي معا سيئًا. لأن كل منهما يغضب بسرعة من الزوج الآخر، ولا يتحمل

غضبه في مواقف كثيرة.

والتأثير متبادل بين العلاقة الزواجية والتوافق الزواجي؛ فكما تجعل العلاقة الزواجية القوية- التوافق الزواجي حسنًا فإن توافق الزوجين معًا توافقًا حسنًا يسهم في تنمية العلاقة الزواجية ويقويها. فالزوجان اللذان يتفاعلان معًا تفاعلًا إيجابيًا أو سلبيًا ويستجيب كل منهما للزوج الآخر بردود أفعال مقبولة (توافق زواجي حسن)، فإن العلاقة الزواجية تنمو بينهما وتقوى. أما الزوجان اللذان يتفاعلان معًا تفاعلًا إيجابيًا أو سلبيًا ويستجيب كل منهما بردود أفعال غير مقبولة من الزوج الآخر (توافق زواجي سيئ)، فإنهما ينفران من بعضهما، وتضعف العلاقة الزواجية بينهما.

ونخلص من مناقشة التأثير المتبادل بين العلاقة الزواجية والتوافق الزواجي إلى أن تنمية التوافق الزواجي الحسن يتطلب أن يحب كل من الزوجين الزوج الآخر، حتى يكون قادرًا على التعامل معه بمودة ورحمة، وعلى تحمل غضبه ، ومقابلة السيئة منه بالحسنة. في حين تتطلب تنمية العلاقة الزواجية أن يتعامل كل من الزوجين مع الزوج الآخر معاملة حسنة، وأن تكون ردود أفعاله في التفاعل الزواجي الإيجابي والسلبي مقبولة تفرح الزوج الآخر ولا تثير غضبه.

وتصبح النصيحة الواجبة لجعل التوافق الزواجي حسنًا أن يحب كل من الزوجين الزوج الآخر، فإن لم يكن يحبه فعليه أن يحبب نفسه فيه وسوف ينمو الحب بينهما بشيء من الجهد والصبر، فالحب ينمو بالتحبب، وتشجيع النفس عليه. فقد قال رسول الله ﷺ " **الحلم بالتحلم كما أن العلم بالتعلم** " كذلك الحب بالتحبب، حيث ينمو الحب بين الزوجين، وتقوى العلاقة الزوجية بينهما، إذا أحب كل منهما الزوج الآخر، أو عمل ما يحببه فيه ويقربه منه.

٦- التواصل الجيد بين الزوجين:

يقصد بالتواصل الزواجي Marital Communication لغة التفاهم التي تنقل أفكار كل من الزوجين ومشاعره ورغباته وهمومه إلى الزوج الآخر، وتشمل الكلام والتعبيرات والحركات التي يتم بها التوافق الزواجي، وتجعله توافقًا حسنًا أو سيئًا.

فالتواصل الزواجي الجيد يجعل التفاعل بين الزوجين إيجابيًا، والتوافق بينهما حسنًا، أما التواصل الزواجي الرديء فيجعل التفاعل سلبيًا والتوافق سيئًا(Davideon & Moore, 1992) (عمر،١٩٨٨).

ويتأثر التواصل الزواجي بالعلاقة الزواجية ويؤثر فيها، فالتواصل الزواجي الجيد يجعل العلاقة الزواجية قوية، والعلاقة الزواجية القوية تشجع الزوجين على التواصل الجيد. أما التواصل الزواجي الرديء فيجعل العلاقة الزواجية ضعيفة، والعلاقة الزواجية الضعيفة لا تشجع بدورها على التواصل الجيد، وقد تدفع إلى التواصل الرديء الذي يجعل التوافق الزواجي سيئًا.

ويتطلب التواصل الزواجي الجيد Good marital communication أن يكون أحد الزوجين متكلمًا جيد التعبير Good expressing، والزوج الآخر مستمعًا جيد الإنصات Good lestining. فكلما كان الزوجان ماهرين في التعبير والإنصات في تعاملهما معًا، كان التواصل الزواجي جيدًا.

وينقسم التواصل الزواجي إلى قسمين أو إلى أسلوبين رئيسين(مرسى،٢٠٠٣) هما:

أ- **التواصل العقلي** : ويقصد به لغة التفاهم بين الزوجين حول أمور الأسرة ومطالب الحياة اليومية، وهموم العمل والأبناء، وتبادل الآراء والخبرات والاهتمامات والطموحات، وغيرها من الأمور التي يرغب كل زوج أن يشارك الزوج الآخر فيها أو في توصيلها إليها.

ويحدث التواصل العقلي Mental Communication بين الزوجين بالكلام والحركات والتعبيرات العادية في وجودهما معًا أو في وجود الآخرين معهما. فالتواصل العقلي تواصل عادي في الأسرة، ليس فيه خصوصيات العلاقة الزواجية وأسرارها، ومع هذا يؤثر تأثيرًا كبيرًا في التوافق الزواجي، فعندما يكون التواصل العقلي جيدًا، ويتحدث كل من الزوجين مع الزوج الآخر بكلام طيب، وينصت إليه ويفهم رسالته، فإنه يشجعه على التفاعل الإيجابي، والاستجابة له بردود أفعال ترضيه، وتجعل توافقهما الزواجي حسنًا.

أما عندما يكون التواصل العقلي رديئًا فإن التوافق الزواجي يسوء، وتضطرب الحياة الأسرية، لا سيما العلاقة الزواجية، ففي الأسر التي يختل الكلام فيها بين الزوجين ويقل الحوار وينعدم النقاش، أو يكثر بينهما الكلام غير المهذب أو يكون أحد الزوجين سليط اللسان بذيء الألفاظ، أو يكون أنانيًا أو حنَّانًا أو ثرثارًا أو منَّانا، فإن عمليات التوافق الزواجي تختل باختلال التواصل العقلي ، ويغدو التفاعل الزواجي سلبيًا وردود الأفعال سيئة غير مقبولة، ويصبح التوافق الزواجي سيئًا.

ب- التواصل العاطفي : ويقصد به تواصل الزوجين بكلام الحب والشوق وحركات المداعبة والملاعبة، وتعبيرات الغزل والإعجاب، فيسكن كل منهم إلى الزوج الآخر، ويشعر بمودته وحنانه، وتستقر عواطفه إلى الجنس الآخر، ويتحقق في الزواج قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الروم].

والتواصل العاطفي **Affective Communication** من خصوصيات العلاقة الزواجية، ولا يحدث بين الرجل والمرأة إلا بالزواج، لا سيما في المجتمعات الإسلامية التي تشجع كلا من الزوجين على التواصل العاطفي مع الزوج الآخر بكلام الحب والغزل والملاعبة والمداعبة، وتُحَرِّم عليهما ذلك مع غير الزوج الآخر. فقد قال رسول الله ﷺ **" كل شئ يلهو به الرجل المسلم باطل إلا رميه بقوسه، وتأديبه فرسه، وملاعبته إمرأته، فإنهن من الحق"** (رواه الترمزي). وقال عليه الصلاة والسلام لجابر بن عبد الله رضى الله عنه عندما علم برغبته في الزواج، **" هلا بكرًا تلاعبها وتلاعبك تضاحكها وتضاحك "** (رواه البخاري) وفي رواية أخرى "تعضها وتعضك " .

ولا يقتصر التواصل العاطفي بين الزوجين على كلام الحب والمداعبة والملاعبة بل يشمل تعبيرات الوجه والتقاء العيون وحركات الجسد، والزينة والروائح الجميلة. فقد يقرأ الزوج في نظرات زوجته وزينتها ورائحتها رسالة حب وشوق، وقد تقرأ الزوجة الرسالة نفسها في حركات زوجها وزينته ورائحته، ولمسه لها

بعطف وحنان.

والتواصل العاطفي لا يقل أهمية عن التواصل العقلي في التوافق الزواجي إن لم يكن أكثر منه أهمية، لأن كلا من الزوجين لا يستطيع أن يشبع الكثير من حاجاته الجسمية والنفسية والاجتماعية والروحية إلا من خلال التواصل العاطفي مع الزوج الآخر، فإذا اختل هذا التواصل حُرِم كل منهما من إشباع هذه الحاجات، وانعدمت المودة والرحمة في الحياة الزوجية، وأصبحت حياة بلا روح، يحيط بها الموت من كل جانب (Bienvenu, 1986).

شروط التواصل الجيد

ويقوم التواصل الجيد بين الزوجين سواء كان تواصلًا عقليًا أو عاطفيًا على توافر الشروط الثلاثة الآتية :

أ- وجود الأنشطة المشتركة بين الزوجين :

فاشتراك الزوجين معًا في أنشطة منزلية واجتماعية وثقافية وترويحية وغيرها يجعل كلا منهما يمضي أوقاتًا طيبة ، يتواصل ويتفاعل فيها مع الزوج الآخر، فيشعر بتعاطفه معه، ومسايرته له، واهتمامه به، وجهوده في رعايته وحمايته، فتقوى العلاقة الزواجية بينهما، ويتوافق كل منهما مع الحياة الأسرية توافقًا حسنًا لا سيما في مجال الزواج.

أما إذا انعدمت الأنشطة المشتركة بين الزوجين، وانشغل كل منهما عن الزوج الآخر في العمل أو الدراسة أو الأصدقاء فإن التواصل الزواجي بينهما يقل، وتضعف العلاقة الزواجية ، ويشعر الزوج المحروم من التواصل مع الزوج الآخر بالإحباط في الحياة الزواجية، لأنه لا يجد الزوج الذي يسكن إليه، ويشاركه همومه وطموحاته، ويشبع له حاجاته في الأنس بالزوج الآخر (مرسي، ٢٠٠٣).

ويخطئ بعض الأزواج عندما يعطون وقتهم كله للعمل أو الدراسة، ويهملون الأنشطة الأسرية مع الزوجة، ولا يتواصلون معها عقليًا وعاطفيًا بالقدر المناسب، ويحرمونها من إشباع حاجاتها، ويجورون على حقها في الأنس بزوجها، وفي ذلك

ظلم كبير نهى الإسلام عنه، حتى لو كان الانشغال بأمور العبادة. فعندما وجد سلمان الفارسي أبا الدرداء رضى الله عنهما مشغولًا بالعبادة عن زوجته، فهو صائم بالنهار وقائم بالليل، نهاه سلمان وقال له " إن لربك عليك حقًا ، وإن لنفسك عليك حقًا، وإن لأهلك عليك حقًا، فأعط كل ذي حق حقه " وأيد رسول الله عليه الصلاة والسلام مقولة سلمان لأبي الدرداء وقال " **صدق سلمان** " (رواه البخاري). فالمسلم مطالب بتحقيق التوازن بين نشاطه في عمله ودراسته وعبادته ومع أهله ونفسه، وعليه أن يجعل من وقته للأنشطة المشتركة مع زوجته، حتى يأنس بها وتأنس به، وتستقر حياتهما الزواجية والأسرية.

ب- الالتزام بآداب الحديث في الحوار والتواصل العقلي :

فَيُحَدِّث كل من الزوجين الزوج الآخر بالكلام الطيب الذي يرضيه، وبالطريقة التي تشرح صدره، لكي يكون التواصل الزواجي تواصلًا جيدًا، والتفاعل تفاعلًا إيجابيًا، والتوافق بينهما توافقًا حسنًا، فيسكن كل منهما للزوج الآخر، ويأنس به. **فالتواصل العقلي الجيد أحد مفاتيح السعادة في الحياة الزوجية** (Bienvenu, 1986)، ويقوم على الآتي :

١- **مهارة التعبير expressing skill** : التي تجعل كلا من الزوجين جيدًا في التعبير عما يريد أن يقوله للزوج الآخر، وأن يكلمه في الوقت وبالقدر والكلام المناسب، فلكل مقام مقال.

٢- **مهارة الإنصات Listening skill** : التي تجعل كلا من الزوجين جيدًا في الإنصات للزوج الآخر، حتى يستمع لما يقوله، ويفهم مضمون رسالته : الصريح وغير الصريح قبل الانفعال بها، والرد عليها. فإذا تحدث أحد الزوجين وأنصت الزوج الآخر باهتمام واحترام ، وشجعه على التعبير عن رأيه، ولم يقاطعه في الكلام انتقلت الرسالة من المرسل إلى المستقبل بسهولة، وكان التواصل الزواجي جيدًا .

٣- **جودة مضمون الكلام والحركات والتعبيرات المتبادلة بين الزوجين ووضوح معناها الصريح وغير الصريح** : فالتواصل العقلي الجيد يقوم على الكلام المهذب والحركات اللطيفة، والتعبيرات الرقيقة التي يستريح لها المستمع، وتشبع

حاجاته للاستحسان والتقدير من الزوج الآخر. **فجودة مضمون الرسالة المتبادلة بين الزوجين أهم عناصر التواصل الزواجي الجيد.**

ويتفق خبراء الإرشاد الزواجي على **أهمية الحوار في الحياة الزواجية**، ويحرصون في العملية الإرشادية على تدريب الزوجين على **مهارات التواصل في التعبير** والإنصات والمضمون، ويرشدونهما إلى **تبادل الرسائل الواضحة**، والدبلوماسية في التعبير عن الرأي وفي نقل المعلومة، وتقديم النصيحة التي لا تنقص من قدر المنصوح، وتهذيب المناقشة حتى يكون الحوار الزواجي مقبولًا من الزوجين، فيه ترضيه وجبر للخاطر ومودة ومحبة واحترام متبادل (Beavers, 1985).

وقد حث الاسلام على جودة مضمون الرسائل الزواجية، ودعا كلا من الزوجين إلى أن يكون كلامه مع الزوج الآخر كلامًا طيبًا، يرضيه ويرفع معنوياته، ويأخذ بيده، حتى ولو كان في هذا الكلام كذب على الزوج الآخر. فقد رخص رسول الله ﷺ بالكذب الذي فيه إصلاح بين الناس والمجاملة بين الزوجين. فقال عليه الصلاة والسلام " **ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس، فينمى خيرًا أو يقول خيرًا** " (متفق عليه) وفي زواية مسلم رضى الله عنه زيادة. قالت أم كلثوم بنت عقبة راوية الحديث " لم أسمع رسول الله عليه الصلاة والسلام يرخص في شيء مما يقوله الناس إلا في ثلاث : **الحرب والإصلاح بين الناس وحديث الرجل امرأته وحديث المرأة زوجها** " (رواه مسلم).

وقد طبق عمر بن الخطاب رضي الله عنه دعوة الاسلام إلى الدبلوماسية الزواجية ونصح إحدى الزوجات بألا تقول لزوجها أُبْغضُك حتى ولو كانت تبغضه فعلًا. فعندما علم أن أحد الصحابة سأل زوجته : أتبغضيني؟ وقالت : نعم . سألها عمر رضي الله عنه : ما حملك على ما قلت ؟

قالت : استحلفني فكرهت أن أكذب .

فقال عمر : بلى فلتكذب إحداكن، ولْتُجَمَّل ، فليس كل البيوت تبنى على الحب، ولكن معاشرة الأحساب والإسلام (عبد الستار،١٤٢١ : ٢١٦)

ويخطئ الزوج الذي يخاصم الزوج الآخر فوق ثلاثة أيام، أو يحدثه بكلام بذيء أو مهين أو مؤذ للمشاعر حتى ولو كان مازحًا، لأن المزاح الثقيل يتحول إلى تواصل رديء وتفاعل زواجي سلبي وتوافق زواجي سيئ، وقد يؤدي المزاح إلى ما لا يحمد عقباه.

جـ- الاهتمام بالمداعبة والملاعبة، وتبادل عبارات الشوق والحب والغرام، وتزين الزوج لزوجته ، وتزين الزوجة لزوجها:

فالزوج الذي يتواصل عاطفيًا مع الزوج الآخر، يشعره بالاحترام والاهتمام، ويرسل له رسالة من القلب إلى القلب ، تجعله يسكن إليه، ويشعر بحبه ومودته. وقد أعطى الاسلام أهمية كبيرة لهذا الشكل من التواصل، وعده الرسول ﷺ من الحق، الذي يجب أن يلتزم به الزوجان المسلمان في تواصلهما معًا. فقال عليه الصلاة والسلام " **كل شيء يلهو به ابن أدم فهو باطل، إلا رميه عن قوسه، وتأديبه فرسه، وملاعبته أهله فهو من الحق** " (رواه النسائي).

وتخطئ المرأة التي تهمل في زينتها ورائحتها في البيت، أو تبخل بكلمات الحب والغزل والشوق لزوجها، لأنها تجعل تواصلها العاطفي معه رديئًا، وتحرمه من إشباع حاجاته النفسية في التواصل العاطفي معها، فيتحول عنها أو يتفاعل معها تفاعلًا سلبيًا، ويصبح توافقهما الزواجي سيئًا، وتختل العلاقة الزواجية، وقد يدفعه هذا الإهمال في الزينة إلى الزواج من أخرى، يجد عندها التواصل العاطفي الذي لم يجده عند زوجته الأولى (مرسى ،٢٠٠٣).

ويخطئ الزوج الذي لا يتزين لزوجته ولا يهتم بما تكون عليه رائحته عندما يدنو منها، أو لا يلاعبها ولا يداعبها، ولا يسمعها كلمات الحب والإعجاب، فيحرمها من إشباع حاجاتها النفسية في التواصل العاطفي معه، فتتحول عنه أو تتفاعل معه تفاعلًا سلبيًا، وقد تنشز عليه، ويصبح توافقهما الزواجي سيئًا.

فالتواصل العاطفي الجيد مفتاح آخر للسعادة الزواجية. وصدق رسول الله ﷺ

الذي جعل ملاعبة الرجل امرأته في التواصل العاطفي من الحق وليس من اللهو والسهو واللعب، فقال عليه الصلاة والسلام **"كل شيء ليس فيه ذكر فهو لغو وسهو ولعب إلا أربع خصال: ملاعبة الرجل امرأته، وتأديب الرجل فرسه، ومشي الرجل بين الغرضين، وتعلم الرجل السباحة "** (رواه النسائي).

* * *

تلخيص

يهدف هذا الفصل إلى تعريف القارئ بتوافق الزوجين معًا ومع مطالب الزواج، ويتكون التوافق الزواجي من التفاعل بين الزوجين وردود أفعالهما معًا، حيث يبدأ التفاعل الزواجي من حواس الزوجين وما يقع عليها من سلوكيات الزوج الآخر، وإدراكهما له وانفعالهما به وتقويمها له، ثم ردود أفعالهما معه التي يدركها الزوج الآخر ويرد عليها.

ويتأثر التوافق الزواجي بعدة عوامل تجعله توافقًا حسنًا أو توافقًا سيئًا. من هذه العوامل الآتي :

١- **تعامل الزوجين معًا** : فالزوج الذي يتعامل بكلام وحركات وتعبيرات ترضي الزوج الآخر، يجذبه إليه ، ويشجعه على التفاعل الإيجابي معه، وعلى التوافق الزواجي الحسن. فإذا وقعت حواس السمع والبصر والشم على حسن من الزوج الآخر أوصلته إلى القلب، فيحدث الانجذاب، وإذا وقعت على قبيح أوصلته إلى القلب أيضًا فيحدث النفور.

٢- **حسن ظن كل من الزوجين بالزوج الآخر**: فحسن الظن مفتاح السعادة الزواجية وسوء الظن مفتاح الشقاء فيها.

٣- **ردود الأفعال الحسنة في التفاعل الزواجي** : فالزوج الذي يسيطر على انفعالاته، فيستجيب في التفاعل الإيجابي بردود أفعال ترضي الزوج الآخر، وفي التفاعل السلبي بردود أفعال لا تغضب الزوج الآخر، يجعل التوافق الزواجي الحسن أكثر حسنًا، ويوقف التفاعل السلبي، وقد يحوله إلى تفاعل إيجابي ويجعل التوافق الزواجي حسنًا.

٤- **نضج شخصية كل من الزوجين وثقة كل منهما في نفسه** : فثقة الزوج في نفسه تجعله يثق في الزوج الآخر، ويتوافق معه توافقًا حسنا، أما عدم ثقته بنفسه فتجعله لا يثق في الزوج الآخر، ويتوافق معه توافقًا سيئًا. فمشكلات سوء التوافق في الحياة الزوجية ترجع في جزء كبير منها إلى خلل في شخصية الزوجين أو أحدهما.

٥- **العلاقة الزواجية القوية** : فحب الزوج للزوج الآخر يجعله يتوافق معه توافقًا حسنًا في مواقف كثيرة، لأن المحب يحسن الظن بالحبيب، ويثق به ويعامله معاملة حسنة، ويتحمل غضبه ويسعى إلى رضاه، ويقابل الحسنة منه بأحسن منها ويُقابل السيئة منه بالحسنة .

٦- **التواصل الجيد بين الزوجين يجعل التوافق الزواجي حسنًا** : ويتضمن التواصل الزواجي الجيد التواصل العقلي والتواصل العاطفي ، ويقوم على مهارتي التعبير والاستماع ومضمون الرسالة بين الزوجين.

ويشترط في التواصل الجيد الآتي :

أ- وجود أنشطة مشتركة بين الزوجين.

ب- الالتزام بأداب الحديث في الحوار بين الزوجين.

ج- الاهتمام بالمداعبة والملاعبة والمضاحكة وتبادل عبارات الشوق والحب والغزل، وتزين الزوج لزوجته والزوجة لزوجها.

* * *

الفصل الثامن

الارشاد والعلاج الأسري (*)

مقدمة

يتفق علماء النفس الأسري – لا سيما أصحاب المنحى الارتقائي – على أن الأسرة كائن له حياة تبدأ صغيرة، وترتقى في مراحل ، وتحتاج في ارتقائها إلى جهود في التنمية والوقاية والعلاج، لكي يسير نموها أو ارتقاؤها في المسار الطبيعي إلى الترابط والتماسك، ولا يسير في المسار غير الطبيعي إلى التفكك والتصدع. وهذا ما يجعل الأسرة – أية أسرة – في حاجة إلى " الإرشاد والعلاج الأسري Family Counseling and Therapyطوال حياتها.

ونقصد عندما نقول " **الأسرة في حاجة إلى الإرشاد والعلاج** " أن أفراد الأسرة هم الذين في حاجة إلى هذه الخدمات، لكي يفهموا الحياة الأسرية ومراحل نموها، وخصائص كل مرحلة، ومطالب النمو الخاصة بها، ومسئوليات كل منهم في النهوض بهذه المسئوليات. فالإرشاد والعلاج في **شقه الأول " عملية تعليم وتعلم"**، يتعلم فيها كل فرد واجباته وحقوقه الأسرية، ويكتسب مهارات التواصل والتعامل والتفاعل مع الآخرين في الأسرة، ومهارات تكوين العلاقات وتنميتها ، لكي يكون هو وَمنْ معه في الأسرة كالجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له باقي الأعضاء بالسهر والحمى ، أو كالبنيان يشد بعضه بعضًا، فيسكن إلى أهله ، ويأنس بهم ، وينعم بالمودة والرحمة في كنفهم، ويسود الأسرة الأمن والأمان، ويصبح المناخ النفسي والاجتماعي فيها صحيا وصالحًا لتنمية الصحة النفسية عند أفرادها – الصغار والكبار – وحمايتهم من الوهن النفسي والانحراف.

ويُقَدم الإرشاد والعلاج الأسري بشقه الأول للأسر جميعها ، من أجل تنمية

(*) هذا الفصل كان بحثًا نوقش في مؤتمر الإرشاد الأسري والزواجي بالكويت سنة ٢٠٠٦م، وقمنا بتعديله ليناسب موضعه في هذا الكتاب.

العلاقات الأسرية، وتشجيع التواصل والحوار بين أفرادها، وحمايتهم من التفاعل السلبي والتوافق السيئ، ووقايتهم من الاضطرابات والانحرافات.

أمّا **الشق الثاني** في الإرشاد والعلاج الأسري فهو **" عملية علاجية " أو "عملية إكلينيكية "** لعلاج الأسر التي اختلت العلاقات فيها، واضطرب التواصل بين أفرادها، وأصبح تفاعلهم معًا سلبيًا، وتوافقهم الأسري سيئًا، أو لعلاج الأسر التي انحرف أحد أفرادها، أو التي نزلت بها مصيبة أو حلت بها كارثة، وعانى أفرادها أعراض الصدمة أو أعراض ما بعد الصدمة. فاضطراب العلاقات وانحراف أحد الأفراد وحلول المصيبة تجعل الأسرة في حاجة إلى المساندة والمساعدة والعلاج، لكي تسترد عافيتها، وتستقر أمورها، وينعم أفرادها بالأمن والسلام.

فالإرشاد والعلاج الأسري من ضروريات الحياة الأسرية، لا سيما في المجتمعات الحديثة، التي تعقدت فيها أمور الحياة ومطالبها، وأصبح الإنسان فيها في حاجة إلى مَنْ يرشده ويساعده في ميادين الحياة جميعها، وفي مقدمتها ميدان الحياة الأسرية. وأصبحت الأسرة كأي كائن له حياة، في حاجة إلى مَنْ يرشدها في التكوين والبناء، وفي القيام بوظائفها في رعاية أفرادها. وهي – أي الأسرة – في حاجة إلى " الإرشاد والعلاج الأسري"من بداية نشأتها، وفي مراحل نموها وارتقائها، وفي حاجة إليه سواء كانت قوية متماسكة أو ضعيفة مفككة. فالأسرة القوية المتماسكة في حاجة إلى الإرشاد من أجل التنمية والوقاية، لكي يسير ارتقاؤها ويستمر نموها في مساره الطبيعي، ولا يتعرض أفرادها في الأزمات أو الخلافات إلى اضطرابات الصدمة أو اضطرابات ما بعد الصدمة، أما الأسرة الضعيفة المفككة ففي حاجة إلى الإرشاد والعلاج الأسري من أجل **إصلاح ذات البين**، وتنمية العلاقات فيها، وتعديل أساليب التواصل والحوار، وتصحيح طرق التفكير والانفعال في الأزمات والضغوط، لكي تتماسك الأسرة وتحل مشكلاتها، ويبرأ أفرادها من الانحرافات، ويسير ارتقاؤها من جديد في المسار الطبيعي، ونحميها من الاضطراب مرة أخرى.

وإذا كانت المجتمعات الحديثة تخطط لإنشاء المراكز الصحية في كل منطقة سكنية لعلاج ساكنيها من الأمراض ووقايتهم منها، وإرشادهم إلى ما يحفظ صحة أبدانهم،

فإن الحاجة باتت قوية الآن إلى أن يخطط كل مجتمع لإنشاء مراكز للإرشاد والعلاج الأسري في كل منطقة، لتنمية الأسر في هذه المنطقة، ووقايتها من الخلافات والمشكلات، وعلاج اضطرابات وانحرافات أفرادها. فالرعاية الأسرية لا تقل أهمية عن الرعاية الصحية. ونتناول في هذا الفصل مفهوم أو معنى الإرشاد والعلاج الأسري ومجالاته ومنطلقاته وأهدافه وإجراءات تقديمه.

تعريف الإرشاد والعلاج الأسري

يؤخذ الإرشاد والعلاج الأسري بمفهومين أو تعريفيين: أحدهما تعريف نفس تربوي، والثاني تعريف إكلينيكي عيادي. ونناقش فيما يلي هذين التعريفيين بشيء من التفصيل .

التعريف النفس تربوي :

وهو تعريف قديم قِدَم الأسرة، ويقصد به تبصير كل فرد بواجباته وحقوقه في الأسرة، وإكسابه مهارات التواصل مع الأهل، والتوافق مع الحياة الأسرية، والتجاوب مع متطلباتها، ومساعدته على القيام بواجباته في الأسرة، والتواصل الجيد مع أفرادها، وتنمية علاقات المودة والرحمة والمحبة بينهم.

منطلقات هذا التعريف : ينطلق التعريف النفس تربوي Pscho-Educational definition من أربعة مبادئ أساسية هي :

أولًا : الواجبات والحقوق في الأسرة متقابلة، فواجبات الزوج حقوق للزوجة، وواجبات الزوجة حقوق للزوج، وواجبات الوالدين حقوق للأبناء، وواجبات الأبناء حقوق للوالدين، وواجبات الأخ حقوق لأخيه.

ثانيًا : إذا قام كل فرد في الأسرة بواجباته وحصل على حقوقه، استقامت الأدوار الاجتماعية فيها (دور الزوج/ الزوجة، دور الأب/ الأم، دور الابن/ الابنة، دور الأخ/ الأخت) وقويت العلاقات الأسرية (الزواجية والوالدية والبنوة والأخوة) واستقرت الأسرة في حياتها.

أما إذا قَصَّر أحد أفراد الأسرة في واجباته، فسوف يُحْرم الطرف الآخر المقابل له من حقوقه. فتقصير أحد الزوجين في واجباته يحرم الزوج الآخر من حقوقه، وتقصير الوالدين في واجباتها الوالدية يحرم الأبناء من حقوقهم، وتقصير الأبناء في واجبات البنوة يحرم الوالدين من حقوقهما على الأبناء، وتقصير الأخ في واجبات الأخوة يحرم أخاه من حقوقه عليه.

ثالثًا : التأثير متبادل بين التقصير في الواجبات الأسرية والخلل في العلاقات الأسرية، فالتقصير يؤدي بدوره إلى الخلل في العلاقات، والخلل في العلاقات يؤدي إلى التقصير في الواجبات، الذي يؤدي إلى الحرمان من إشباع الحاجات، وإلى الاضطراب في التفاعل والتواصل في الأسرة، وإلى انعدام المودة والرحمة بين أفرادها، وقد يدفع إلى العنف الأسري أو الجرائم الأسرية.

رابعًا: التأثير متبادل بين القيام بالواجبات الأسرية وتنمية العلاقات بين أفراد الأسرة. فالقيام بالواجبات يؤدي إلى التفاعل الإيجابي، والتواصل الجيد، وتنمية العلاقات الأسرية، يُشجع على القيام بالواجبات والتضحية والتنافس الشريف بين أفراد الأسرة ، فيسعد الجميع بالحياة فيها، ويقوى المجتمع بقوة الأسرة.

محور التركيز في هذا التعريف:

يركز " الإرشاد والعلاج الأسري " بمعناه النفس تربوي على **ارتقاء الأسرة** والنهوض بالأدوار الاجتماعية فيها، فيعمل المرشد على تبصير أفرادها بالواجبات والحقوق، وإكسابهم المهارات في التواصل والتفاعل الأسري، وتنمية العلاقات الثنائية في الأدوار الاجتماعية، والتي من أهمها الآتي :

أ- **دور الزوج / الزوجة** : ويسمى الإرشاد والعلاج الأسري في هذا المجال **" الإرشاد والعلاج الزواجي "** ويقدم للزوجين، ويهدف إلى مساعدتهما على تنمية العلاقة الزواجية، وقيام كل منهما بواجباته، لكي يحصل الزوج الآخر على حقوقه، ويشعر بالأمن والطمأنينة في علاقته الزواجية.

ب- **دور الأب / الأم** : ويسمى الإرشاد والعلاج الأسري في هذا المجال

" **إرشاد وعلاج الوالدية** " ويُقَدَّم للوالدين، ويهدف إلى مساعدتهما على القيام بمسئوليات الوالدية في تنشئة الأبناء، وتنمية علاقتي الأبوة والأمومة، ووقايتهما من الانحراف، وعلاج مشكلاتهما مع الأبناء، لكي يحصل الأبناء على حقوقهم من الوالدين، ويشعرون بالأمن والأمان في أحضانهما.

ج- **دور الابن/ الابنة** : ويسمى الإرشاد والعلاج الأسري في هذا المجال " **إرشاد وعلاج البنوة** " ويقدم للأبناء ، ويهدف إلى مساعدتهم على القيام بواجبات البنوة في بر الوالدين، وصلة الرحم، وتنمية علاقة البنوة، وحمايتها من الانحراف، وعلاج العقوق والجحود، لكي يحصل كل من الأب والأم على حقوقه في الرعاية والاهتمام، ويشعر بالأمن والأمان مع أبنائه، لاسيما في مرحلة الكبر.

د- **دور الأخ/ الأخت**: ويسمى الإرشاد والعلاج الأسري في هذا المجال " **إرشاد وعلاج الأُخوة** " ويهدف إلى مساعدة الإخوة والأخوات على القيام بواجبات الأخوة، وتحمل مسئوليات رباط الدم وصلة الرحم، وتنمية علاقات المودة المتبادلة بين الأخ وأخيه في الأسرة، وحمايتها من التنافس غير الشريف والغيرة والعداوة، وعلاج مشكلات الأخوة، لكي يحصل كل أخ/ أخت على حقوقه عند إخوته وأخواته، ويشعر بالأمن والأمان معهم، فيزداد التماسك في الأسرة، وتقوى روابط الدم فيها.

التعريف الإكلينيكي العيادي

هذا التعريف حديث نسبيًا، نشأ في أحضان الإرشاد والعلاج النفسي، وظهر في النصف الثاني من القرن العشرين، بعد ما تبين للمعالجين النفسيين أمران في علاج الانحرافات السلوكية والاضطرابات النفسية والعقلية : أحدهما أن أسباب انحراف الفرد واضطراباته ليست عوامل نفسية فيه هو فقط، وإنما بسبب خلل في أسرته، واضطراب علاقاته مع أفرادها. **وثانيهما**: تجاوب كثير من المضطربين نفسيًا وعقليًا مع العلاج النفسي، الذي امتد إلى تنمية العلاقات في أسرهم، وتعديل أساليب التواصل بين أفرادها، فتحول المعالجون النفسيون من التركيز على

" **الإرشاد والعلاج النفسي الفردي** " للفرد المضطرب، في جلسات علاجية ثنائية تضم المعالج مع صاحب المشكلة، إلى " **الإرشاد والعلاج الأسري** " في جلسات علاجية جماعية، تضم المعالج مع الفرد صاحب المشكلة وأفراد أسرته.

ويقصد بالإرشاد والعلاج الأسري في التعريف الإكلينيكي العيادي Clinical definition " **عملية فنية علاجية** " للأسرة التي انحرف أحد أفرادها أو تأزمت الحياة الأسرية فيها بسبب الخلافات والمشكلات والصدمات، ويهدف إلى علاج انحراف الفرد من خلال إصلاح ذات البين في أسرته، وتنمية العلاقات والتواصل بين أفرادها، ومساعدة الأسرة على حل مشكلاتها ومواجهة الصدمات بأساليب فعالة، أو التعايش معها وتحملها والرضا بها إذا لم تحل المشكلات.

منطلقات هذا التعريف : نمت فكرة " الإرشاد والعلاج الأسري " بمعناه الجديد من علم النفس الإرشادي، وعلم النفس الأسري، ونظريات الإرشاد والعلاج النفسي، والمداخل الحديثة في دراسة الأسرة. وانطلقت من ملاحظات المعالجين النفسيين، ونتائج دراساتهم على علاج المضطربين نفسيًا وعقليًا، والتي خلصوا منها إلى الآتي :

١- توجد علاقة وثيقة بين انحراف أحد الأبناء في الأسرة واضطراب العلاقات فيها، واختلال التواصل بين أفرادها.

٢- لا يرجع انحراف الفرد إلى عوامل نفسية فيه هو، بقدر ما ترجع إلى عوامل اجتماعية في الأسرة التي نشأ فيها.

٣- الابن المنحرف في الأسرة هو الحلقة الضعيفة فيها، التي عبَّرت عما في الأسرة من خلل أو اضطراب في العلاقات والتواصل والأدوار الاجتماعية. فالابن المنحرف ضحية الخلل في الأسرة.

٤- لا يحتاج الفرد المنحرف إلى العلاج النفسي الفردي بقدر ما يحتاج إلى العلاج النفسي الأسري Family psycho-therapy في جلسات علاجية جماعية تضمه هو مع أفراد أسرته.

٥- يهدف الإرشاد والعلاج الأسري إلى علاج ما في أسر المنحرفين من خلل في العلاقات والتواصل والأدوار الاجتماعية، وإلى جعل التفاعل الأسري فيها إيجابيًا، والتوافق الأسري حسنًا، فتزول عوامل الانحراف والاضطراب التي كانت فيها.

محور التركيز في هذا التعريف:

في بداية الإرشاد والعلاج الأسري بمعناه الجديد أرجع المرشدون والمعالجون النفسيون انحراف أحد أبناء الأسرة إلى خلل في شخصية الأم، وعلاقاتها السيئة بأفراد أسرتها، وتفاعلها السلبي معهم، وردود أفعالها السيئة نحوهم. وتأيد هذا التفسير في دراسات عديدة على مرضى الفصام، حيث وجدوا خللا في علاقة مريض الفصام بأمه، وفي شخصيتها وفي أدوارها الاجتماعية في الأسرة، فأطلقوا على هذه الأم " **الأم المولدة للفصام عند أبنائها** " وركزوا في " الإرشاد والعلاج الأسري " على تنمية التواصل الأسري، وإصلاح علاقات الأم مع أفراد الأسرة.

وبعد عدة سنوات تبين للباحثين أن انحراف الأبناء ليس بسبب في الأم وحدها، وإنما بسبب الخلل في الأسرة ككل، واضطراب العلاقات فيها، واختلال التواصل بين أفرادها وفي أدوارهم الاجتماعية الأسرية، فتحولوا في تفسير انحراف الأبناء من مفهوم " **الأم المولدة للفصام** (١) " إلى مفهوم " **الأسرة المولدة للفصام** ".

ثم امتدت الدراسات في الارشاد والعلاج الأسري إلى أسر حالات القلق والاكتئاب والجناح والإدمان، وتبين أن " الخلل الذي في أسر الفصاميين " موجود هو نفسه في أسر الانحرافات الأخرى. فالعملية الباثولوجية أو المرضية التي تقف

---

(١) استخدم فروم ريتشمان F. Reichman أحد مؤسسي " الإرشاد والعلاج الأسري" بمعناه الجديد – مفهوم "الأم المولدة للفصام " وأشار إلى أنها أم عدوانية متسلطة نابذة لأبنائها، وقد يكون نبذها لهم صريحًا، يظهر في عقابها لهم بقسوة، لا سيما في عقاب البنات. وقد يكون نبذا غير صريح ، يظهر في سخطها عليهم دون سبب، وندمها على الزواج من أبيهم، وشعورها بالذنب. لمزيد من المعلومات يرجع إلى:

علاء الدين كفافي (١٩٩٩) **الإرشاد والعلاج الأسري**. القاهرة : دار الفكر العربي.

وراء انحراف الأبناء واحدة في الأسر جميعها، سواء كان الأبناء فصاميين أو غير فصاميين، فهذه الأسر تعاني من خلل في العلاقات الأسرية وفي التواصل بين الأفراد وفي الأدوار الاجتماعية. وهذا الخلل يولد عند أحد الأبناء الفصام، وعند آخر الجناح وعند ثالث القلق، وعند رابع الاكتئاب، وعند خامس الإدمان وغيرها من الانحرافات، فهذه الأسر " **مولدة للانحرافات بعامة** ".

خصائص الأسرة المولدة للانحراف : وتتكون هذه الأسرة عادة من أم سيئة في أمومتها The pathogenic mother ، وأب غير سوي في أبوته The inadequate father، وعلاقة زواجية مضطربة [١]، وتواصل رديء بين أفراد الأسرة، وتفاعل سلبي بينهم.

كما لا يوجد توازن بين الزوجين أو الوالدين في تحمل المسئوليات الأسرية، حيث تتحمل الزوجة أو الأم كل شيء في الأسرة ، وتقع عليها وحدها مسئولية تربية الأبناء، وهي صاحبة السلطة والتأثير في الأسرة، و كل شيء في يدها، أما الأب فليس له دور فاعل في الأسرة، ولا في حياة أبنائه إلا معاقبتهم على الأخطاء أو مخالفة الأوامر، وهو ضعيف أمام تسلط الأم على الأبناء، وقد يعمل تحالفات معهم ضد الأم، وهو عادة منشغل بعمله عن مسئولياته الأسرية، وليس له دور حقيقي في حياة زوجته أم العيال.

وتشير الدراسات على هذه الأسرة إلى أن دور الأم كبير في الخلل الذي يحدث في الأسرة وفي تربية الأبناء، فهي عادة أم عصبية المزاج، سريعة الغضب، باردة في علاقتها الزواجية، ومتسلطة على زوجها، وتستخف به وبأدواره الأسرية في الزواج ومع الأبناء. وهي أيضًا متسلطة على أبنائها، وتتدخل في كل صغيرة وكبيرة في

---

(١) قد تبدو العلاقة الزواجية في الأسر المولدة للانحراف علاقة عادية لطيفة، لكنها في حقيقة أمرها علاقة فاترة هشة ضعيفة، خالية من المودة والمحبة. فالزوجان في هذه الأسر منفصلان عاطفيًا، ويعيشان حالة طلاق عاطفي. لمزيد من المعلومات يرجع إلى المرجع السابق.

حياتهم، وتلغى شخصياتهم، كما أنها باردة في عواطفها نحوهم، ومستبدة في التعامل معهم، وتقسو في ضربهم إذا أخطأوا أو خالفوا أوامرها، ولا تشجعهم على الارتباط بها .

وقد تحب هذه الأم أطفالها حبا قويا ، وتوفر لهم الحماية الزائدة وتعطف عليهم بشدة. ولكنها في الوقت نفسه تسيطر عليهم، وتدفعهم إلى الاذعان لها، والالتصاق بها (1)، وتجبرهم على الدوران في فلكها، ولا تسمح لهم أن يَرَوْا الا ما ترى هي، فيعيشون في خوف من معارضتها أو إثارة غضبها، ويزداد التصاقهم بها بشكل مرضى، ويعجزون عن تكوين علاقات اجتماعية مع الآخرين من الأهل والجيران والزملاء، وينشأون على الشعور بالعجز والخوف والاتكالية، وعدم القدرة على اتخاذ القرارات، فهم ضعاف وهم مع أمهم، وضعاف من دونها، فيعيشون في ضغوط تجعلهم عرضة للصراع والإحباط والاضطرابات النفسية والانحرافات السلوكية.

التكامل والتداخل بين التعريفين :

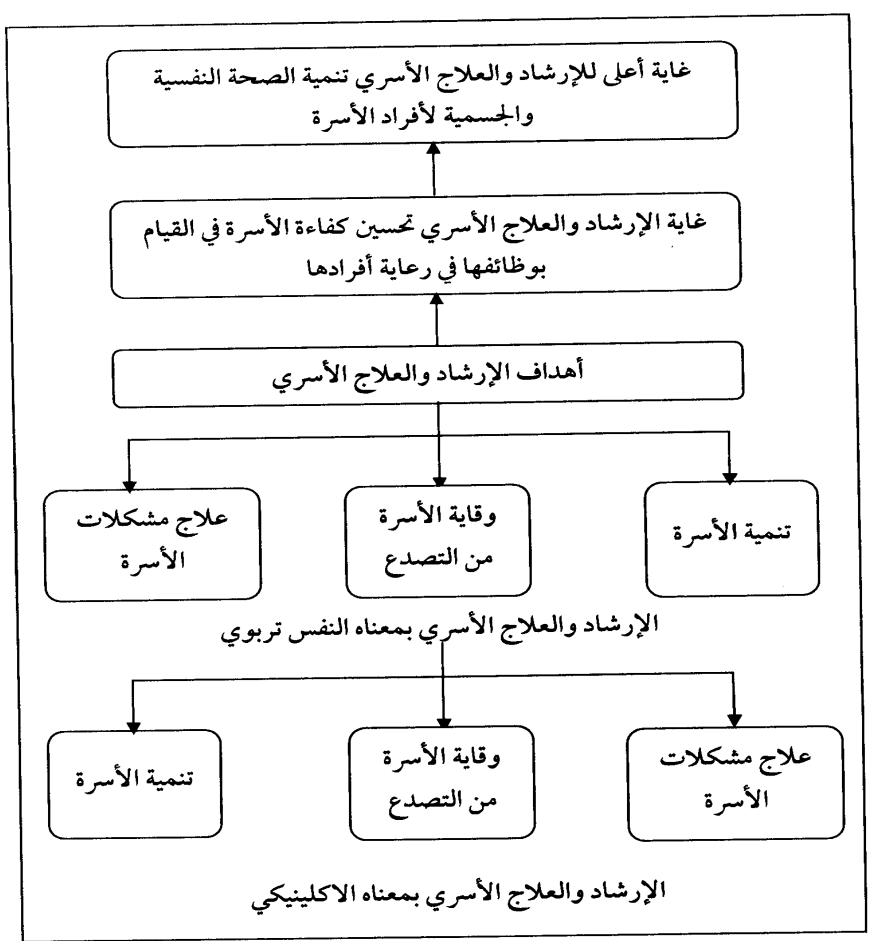
ولا يعني استخدام الارشاد والعلاج الأسري بمعنيين أن المعنيين مختلفان، بل متكاملان ومتداخلان في تحقيق أهداف الإرشاد والعلاج الأسري: **النمائية والوقائية والعلاجية.** فالتعريف الأول يركز على تنمية العلاقات الأسرية، والتواصل بين أفراد الأسرة، والارتقاء بأدوارهم الاجتماعية من أجل تماسك

(1) يُرْجع بعض الباحثين حماية الأم المبالغ فيها للأطفال في الأسر المولدة للانحراف إلى أن الأم غير راضية عن زواجها وزوجها، وتشعر بعدم الكفاءة والعجز، ثم تسقط هذه المشاعر على طفلها، وتغرسها فيه، فيشعر بالعجز، وبالحاجة الشديدة إلى حماية أمه له. ويصبح الدافع اللاشعوري لحماية هذه الأم لطفلها ليس حبها له، وإنما شعورها بالعجز الذي أسقطته على طفلها، ثم أقنعت نفسها بأنه هو العاجز وليست هي، فتبالغ في توفير الحماية له. لمزيد من المعلومات يرجع إلى علاء الدين كفافي (١٩٩٩) المرجع السابق.

الأسرة، والنهوض بالحياة الأسرية، ووقايتها من التفكك والتصدع، ومن التقصير في رعاية أفرادها وحمايتهم من الانحراف.

أما التعريف الثاني للإرشاد والعلاج الأسري فيركز على علاج أسر المنحرفين والمضطربين نفسيًا وعقليًا، وإصلاح ذات البين بين أفرادها، وتنمية العلاقات والتواصل بينهم، لكي تستعيد هذه الأسر عافيتها واستقرارها، وتقوم بوظائفها في رعاية أفرادها وعلاج مشكلاتهم وانحرافاتهم .

والشكل رقم (٢-٨) يبين التكامل والتداخل بين تعريفي " الإرشاد والعلاج الأسري" ونجد فيه أن التعريف الأول يسير من التنمية فالوقاية ثم العلاج، أم التعريف الثاني فيسير من العلاج ثم التنمية والوقاية.



(الشكل رقم ٢-٨) التداخل والتكامل بين تعريفي الإرشاد والعلاج الأسري: النفس تربوي والاكلينيكي

ونجد في الشكل السابق أن الإرشاد والعلاج الأسري بمعنييه يهدف إلى تحقيق ثلاثة أهداف رئيسة، نلخصها في الآتي:

أ- الهدف النمائي :

والذي تُعدِّه منظمة الصحة العالمية : " **الوقاية من الدرجة الأولى** " The primary prevention " ويقصد به مساعدة أفراد الأسرة على تنمية العلاقات الأسرية، والتواصل الجيد بينهم، والارتقاء بأدوارهم الاجتماعية، والنهوض بتفاعلهم معًا، وتوافقهم مع الحياة الأسرية.

ويتطلب تحقيق الهدف النمائي الاستفادة من الإرشاد والعلاج الأسري في مراحل دورة حياة الأسرة جميعها، فيتدخل المرشد الأسري في مساعدة المقبلين على الزواج، والمتزوجين الجدد، وعند الإنجاب ورعاية الأطفال والمراهقين والشباب، وبر الوالدين وصلة الرحم.

كما يتطلب تحقيق هذا الهدف تقديم الإرشاد والعلاج الأسري لأفراد الأسرة جميعهم من أجل تبصير كل منهم بواجباته وحقوقه، ومساعدته على اكتساب المهارات التي تمكنه من النهوض بمسئولياته في الأسرة، وتنمية علاقاته بأهله، والتواصل معهم، والتفاعل والتوافق مع متطلبات الحياة الأسرية.

وقد بات علماء علم النفس الأسري مقتنعين الآن بأهمية الجهود النمائية Promotive actions في الإرشاد والعلاج الأسري، لأن الحياة الأسرية لم تعد بسيطة كما كانت في الماضي، وتتعرض لضغوط كثيرة تجعل للمرشد الأسري دورًا مهمًا في مساعدة الناس على التوافق مع الحياة الأسرية، وعلى التواصل الجيد والتفاعل الإيجابي والتوافق الحسن، وتجعل الأسرة مترابطة، وتقلل من احتمالات

التفكك والتصدع في العلاقات، ومن اختلال الأدوار الاجتماعية، التي قد تؤدي إلى الشقاء في الحياة الأسرية أو انحرافات الأفراد واضطراباتهم.

ويدعو هذا الهدف النمائي إلى أن يكون المرشد الأسري قادرًا على الحديث مع أفراد الأسرة الحديث العادي في أمور الحياة اليومية، وليس حديث العيادات والجلسات العلاجية، وأن يكون قادرًا على تقديم الاستشارات في شئون الأسرة والزواج، والأدوار الاجتماعية، والتنشئة الاجتماعية والتواصل والتفاعل والتوافق الأسري، وقادرا على الإسهام في تثقيف أفراد الأسرة في هذه الأمور، وتبصيرهم بها، وتنمية اتجاهاتهم الإيجابية نحوها.

ب- الهدف الوقائي:

والذي تُعدِّه منظمة الصحة العالمية " **وقاية من الدرجة الثانية** "Secondary prevention" " ويقصد به تقديم خدمات الإرشاد والعلاج الأسري للأسرة المعرضة للاضطراب At risk family ، فيقدم المرشد الأسري المساعدة لأفراد هذه الأسرة لكي يواجهوا الضغوط أو التهديدات، ويرشدهم إلى الاستفادة بما لديهم من استعدادات وقدرات وإمكانات، ومما يقدمه المجتمع من خدمات ومساعدات مادية ومعنوية في مثل هذه الظروف، حتى تزول الضغوط، وتختفي التهديدات، ويعود للأسرة استقرارها وترابطها.

وتأتي خدمات الإرشاد والعلاج الأسري الوقائية The prevention actions في الأهمية بعد خدمات الإرشاد والعلاج الأسري النمائية، لأنها تقوم على التدخل المبكر في مساعدة الأسرة قبل أن تفعل الضغوط فعلها في اضطراب العلاقات الأسرية، واختلال التواصل بين أفراد الأسرة، وتستمر خدمات الإرشاد الوقائي إلى أن تعود الأمور في الأسرة إلى وضعها الطبيعي، بأقل جهد وأخف الأضرار النفسية والاجتماعية، **فالوقاية خير من العلاج**.

ج- الهدف العلاجي :

والذي تُعدّه منظمة الصحة العالمية " **وقاية من الدرجة الثالثة** The tertiary prevention " ويقصد به تقديم خدمات الإرشاد والعلاج النفسي للأسر المأزومة، والتي أصابها الخلل في العلاقات بين أفرادها وفي التواصل بينهم، وأصبح تفاعلهم معًا سلبيًا، وتوافقهم الأسري سيئًا، والذي قد يفصح عن نفسه في انحراف أحد أفراد الأسرة واضطرابه النفسي، أو إدمانه على المخدرات، أو يظهر في الخلافات والمشكلات الأسرية، والتي قد تعصف بالأسرة ووجودها.

وتهدف الخدمات العلاجية Therapeutic actions إلى إيقاف التواصل الرديء والتفاعل السلبي والتوافق السيىء، والاستفادة بما لدى الأسرة من قدرات وإمكانات في تنمية التواصل الجيد، والتفاعل الإيجابي، والتوافق الحسن، من خلال إصلاح ذات البين بين أفراد الأسرة، وتبصير كل منهم بواجباته وحقوقه، ومساعدته على تنمية الاتجاهات الإيجابية نحو الحياة الأسرية، لكي يَقْبل الآخرين في الأسرة، ويرضى عنهم، ويتواصل معهم تواصلًا جيدًا، ويتفاعل معهم تفاعلًا إيجابيًا، ويتوافق معهم توافقًا حسنًا.

مستويات الإرشاد والعلاج الأسري

يقدم الإرشاد والعلاج الأسري على مستويين :

(أ) المستوى الثنائي :

الذي يهدف إلى تنمية العلاقات الثنائية في الأسرة، ووقايتها من الخلافات، وعلاج مشكلاتها، ويقدم : (١) **إلى الزوجين** في الإرشاد الزواجي، الذي يهدف إلى تنمية العلاقة الزواجية، ووقايتها من الخلافات، وعلاج الخلافات إن وجدت، (٢) **إلى الوالدين** في الإرشاد الوالدي، الذي يهدف إلى تنمية علاقة الآباء بالأبناء، ووقاية الأبناء من الإهمال والتدليل والقسوة، وعلاج مشكلاتهم مع الآباء، (٣) إلى

الأبناء في إرشاد البنوة، الذي يهدف إلى تنمية علاقة الأبناء بالآباء، ووقاية الآباء من العقوق والجحود، وعلاج مشكلات الآباء مع الأبناء، (٤) إلى **الأخوة والأخوات** في إرشاد الأُخوة وصلة الرحم، الذي يهدف إلى تنمية علاقات الأخوة وصلات الرحم، ووقايتها من القطيعة والمنافسات غير الشريفة أو الصراعات، وعلاج خلافات الأخوة والأخوات معًا، وإيجاد حلول لمنافساتهم وصراعاتهم في الأسرة.

ولا يعني تقديم الإرشاد والعلاج الأسري على المستوى الثنائي أن العلاقات الأسرية مستقلة أو منفصلة عن بعضها البعض، لأنها علاقات مترابطة ومتداخلة، تؤثر كل منها في العلاقات الأخرى وتتأثر بها، لا سيما **العلاقة الزواجية التي تُعَد أم العلاقات الأسرية**، ومصدر سعادة الأسرة أو شقائها. فالإرشاد والعلاج الزواجي مرتبط بالإرشاد والعلاج الوالدي ويمتد إليه، والإرشاد والعلاج الوالدي مرتبط بإرشاد وعلاج البنوة والأخوة ويمتد إليهما ويدخل فيهما. وهذا يعنى أن ممارسة "الإرشاد والعلاج الأسري" على المستوى الثنائي يمتد في حالات كثيرة إلى العلاقات الأسرية جميعها، وإلى تحسين التفاعل والتواصل بين أفراد الأسرة من أجل إصلاح العلاقة بين فردين في الأسرة التي هي كالجسد الواحد، وأي تغيير في العلاقة بين اثنين يؤثر على العلاقات الأخرى، وأي تغيير في العلاقات الأخرى يؤثر بدوره على العلاقات الثنائية في الأسرة.

(ب) المستوى الجماعي:

الذي يُقَدمّ للأسرة ككل، في جلسات جماعية، تضم المعالج وأفراد الأسرة جميعهم أو أغلبهم أو بعضهم، ويهدف إلى علاج نسق الأسرة وليس علاج أحد أفرادها أو علاج العلاقة الثنائية فيها. ويركز هذا المستوى على تنمية العلاقات والتواصل والتفاعل في الأسرة جميعها، ويسعى إلى تعديل طرق التفكير غير المنطقية، والسلوكيات الخاطئة ، والانفعالات السلبية، وإكساب أفراد الأسرة عادات جديدة في التفكير والسلوك والانفعال، وتنمية التفاعل الإيجابي والحوار

البناء، حتى تستطيع الأسرة مواجهة مشكلاتها وخلافاتها، وتدير أزمتها بأساليب فعالة في حل المشكلات، وإصلاح ذات البين، والتعايش مع الأزمات التي لا تحل، وتحمل الإحباطات التي لا ترد إلا بالصبر عليها، والرضا بالقضاء والقدر، دون يأس أو سخط أو ضجر.

ويضم الإرشاد والعلاج الأسري على هذا المستوى أفراد الأسرة جميعهم أو بعضهم حتى ولو كان فردًا واحدًا منهم، على أساس أن الأسرة وحدة اجتماعية بيولوجية مترابطة، وما يحدث في أحد أفرادها من تغيير - لا سيما إذا كان أحد الوالدين - يؤدي إلى تغيير عند باقي أفرادها، ويسهم في تحقيق التوازن الداخلي، وتنمية التواصل وإصلاح العلاقات الأسرية.

أساليب تقديم الإرشاد والعلاج الأسري

ويختلف تقديم الإرشاد والعلاج الأسري من أجل التنمية والوقاية عن تقديمه من أجل العلاج. ففي **التنمية والوقاية** يقدم الإرشاد والعلاج الأسري للشباب من بداية التفكير في الزواج، لمساعدتهم في عملية الاختيار ، والاستعداد للزواج، ومعرفة الواجبات والحقوق الزواجية، واكتساب مهارات التواصل الزواجي والتفاعل مع الزوج الآخر والتوافق معه، لا سيما ليلة الزواج وما يحدث فيها من تفاعل ومعاشرة جنسية.

ويقدم للشباب أيضًا عند الزواج وبناء الأسرة الجديدة، لمساعدتهم على بنائها وتنمية روابطها بأسرة التوجيه للزوج والزوجة، وبمؤسسات المجتمع، وتزويدهم بالمعلومات عن الواجبات والحقوق الزواجية، وصقل مهاراتهم في القيام بمسئوليات الحياة الأسرية الجديدة (الواجبات والحقوق الزواجية - والأعمال المنزلية - والقوامة - والإنفاق) وفي التواصل والحوار مع الزوج الآخر.

ويقدم الإرشاد والعلاج الأسري للمتزوجين عند التفكير في الإنجاب،

وتبصيرهم بظروف الحمل والولادة ومتطلباتها، والاستعداد للوالدية والتعامل مع الطفل الرضيع في الصحة والمرض والرضاعة والفطام، ومواقف التغذية، والنشاط والنوم والإخراج وغيرها. كما يقدم الإرشاد والعلاج الأسري لتعريف الشباب بمسئوليات الأبوة والأمومة، وإكسابهم مهارات الوالدية في رعاية الأطفال وحمايتهم في مرحلة ما قبل الروضة.

ويقدم أيضًا إلى الوالدين في التعامل مع الطفل في الروضة والابتدائي والمتوسط والإعدادي وتزويدهم بالمعلومات عن خصائص الطفولة ومطالب نموها، ومشكلاتها الصحية والنفسية والاجتماعية والتربوية، ومسئوليات كل من الأب والأم في تنمية الطفل ووقايته وعلاج مشكلاته.

ويقدم الإرشاد للوالدين في التعامل مع المراهقين والشباب في الثانوي والجامعة ومراكز التدريب والتأهيل، من أجل تزويدهم بالمعلومات عن خصائص المراهقة والرشد المبكر ومطالب النمو، والمشكلات الجنسية والنفسية والاجتماعية والتربوية، ومسئوليات كل من الأب والأم في تنمية المراهق والراشد، ووقايتهما من الانحرافات، وعلاج انحرافاتهما لا سيما الإدمان ومشكلات الجنس والعدوان والتعثر الدراسي والجناح.

كما يقدم الإرشاد للوالدين المقبلين على زواج أحد أبنائهما أو إحدى بناتهما، وتبصيرهما بمسئولياتهما في اختيار زوج الابنة أو زوجة الابن دون ضغوط أو إجبار، وفي بناء أسرة الابن أو الابنة دون تسلط، وفي تنمية هذه الأسرة وحمايتها ورعايتها والتواصل معها، بما يحقق الانسجام بينها وبين أسرة التوجيه للزوج والزوجة.

وأخيرًا يقدم الإرشاد والعلاج الأسري للأبناء في بر الوالدين ووقايتهم من عقوقهما وقطيعة الرحم، وتبصير الأبناء بخصائص كبار السن في الأسرة ومطالب نموهم، وإكساب الأبناء مهارات التعامل والتواصل مع الآباء، بما يحقق للآباء

الاستقرار الأسري والأمن النفسي، ويحقق للأبناء بر الوالدين، ورضا الله سبحانه وتعالى، فيسعد الأبناء في الدنيا والآخرة.

ويمارس الإرشاد والعلاج الأسري من **أجل التنمية والوقاية** من خلال برامج وخدمات إرشادية، ولقاءات تعليمية وتنويرية، ومحاضرات تثقيفية، وورش عمل، وزيارات ميدانية ومقابلات فردية وجماعية وليس في جلسات علاجية فقط كما يعتقد البعض.

ويشارك في تقديم الإرشاد والعلاج الأسري من أجل **التنمية والوقاية** فريق من المتخصصين في الإرشاد والعلاج الأسري، والخدمة الاجتماعية، والعلوم الشرعية والتربوية والطبية والقانونية والاقتصادية، وغيرها من المجالات ذات العلاقة بالزواج والحياة الأسرية.

أما **الإرشاد والعلاج الأسري من أجل العلاج** فيقدم للأسر المأزومة بسبب الخلافات بين الزوجين في النشوز أو الشقاق أو الطلاق، أو بسبب مشكلات الأبناء في الجناح والإدمان والتعثر الدراسي والإعاقات، أو بسبب معاناة أحد أفراد الأسرة من الاضطراب النفسي أو العقلي أو الشذوذ، أو بسبب تعرض الأسرة للكوارث أو المصائب أو الصدمات، ومعاناة أفرادها جميعًا أو بعضهم من اضطرابات الصدمة أو ما بعد الصدمة، التي تجعلهم في حاجة إلى العلاج، وإدارة الأزمة بأساليب فعالة في حل المشكلات، وإصلاح ذات البين، ومواجهة الصدمات أو التعايش معها.

ويقدم الإرشاد والعلاج الأسري من **أجل العلاج** في جلسات علاجية في الأسرة أو في مراكز الإرشاد والعلاج الأسري، ويحضرها المعالج وأفراد الأسرة جميعهم أو بعضهم، وتبدأ هذه الجلسات عادة باتصال الأسرة بالمعالج أو باتصال المعالج بالأسرة، والتعرف على أفرادها، وتشجيعهم على المشاركة في الجلسات، والتعاون في مواجهة الأزمة أو المشكلة أو الانحراف.

وتخصص الجلسة الأولى عادة لتخفيف التوتر والقلق، وكسر مقاومة الأسرة وكسب صداقة أفرادها، وتبصيرهم بالعملية الإرشادية، وجَمْع معلومات عن التواصل والعلاقات فيها، وتحديد مصدر السلطة والضبط فيها، ووضع خطة لجلسات الإرشاد والعلاج التالية.

أما الجلسة الثانية فتكون لتحديد المشكلة أو الأزمة وتاريخها، ومعرفة رأي أفراد الأسرة في المشكلة أو الأزمة أو الانحراف، ومدى انزعاج كل منهم بها، وصياغة المشكلة بطريقة تساعد على حلها، ومعرفة أسبابها، وعمل اتفاق رسمي مع الأسرة على حضور الجلسات، والتعاون في العلاج إلى أن تحل المشكلة، ويعود الاستقرار والترابط بين الأفراد.

وتستمر جلسات العلاج إلى أن تنتهي الخلافات وتحل المشكلة، أو يبرأ الفرد المنحرف، أو تختفي أعراض الصدمة أو ما بعدها. وقد تستغرق عملية العلاج عشر جلسات أو أكثر وفق المشكلة وحجمها وتجاوب أفراد الأسرة مع العلاج، وما يحدث فيه من تفريغ للتوترات، وتعديل للأفكار والانفعالات والسلوك والاتجاهات والعواطف، واستيعاب للمشكلة وأبعادها وأسبابها وتوابعها، وما ينتج عن هذا من قناعات ورضا وتقبل، وإصلاح ذات البين واكتساب مهارات التواصل والتفاعل الإيجابي، وتنمية للعلاقات الأسرية، وقيام كل فرد بواجباته وحصوله على حقوقه، وتستمر الجلسات العلاجية إلى أن تستقيم الحياة الأسرية، ويشعر أفراد الأسرة بالأمن والأمان.

ويحتاج الإرشاد والعلاج الأسري بمفهومه الإكلينيكي إلى متخصص على درجة عالية من الكفاءة والعلم في مجالات علم النفس الإكلينيكي وعلم النفس الإرشادي والأسري والاجتماعي، ولا يجوز أن يمارسه إلا الحاصلون على درجة الدكتوراه في الإرشاد والعلاج النفسي أو علم النفس الاكلينيكي أو الطب النفسي

– المدربون على فنيات وأساليب ومهارات العلاج النفسي بعامة والعلاج الأسري والزواجي بخاصة.

عوامل نجاح الإرشاد والعلاج الأسري

ويعتمد **نجاح الإرشاد والعلاج الأسري** في حل المشكلات وإصلاح العلاقات الأسرية وتنمية مهارات التواصل والتفاعل في الأسرة على عدة عوامل نلخصها في الآتي:

١ – اكتشاف المشكلة أو الخلافات أو الانحرافات في الأسرة في وقت مبكر.

٢ – إدراك أفراد الأسرة للمشكلة أو الخلاف أو الانحراف ورغبتهم في العلاج وتعاونهم مع المعالج وتقبلهم له.

٣ – تعاون أهل الزوجين في العلاج، وتجاوبهم مع المعالج، وتقديرهم للعملية الإرشادية والعلاجية.

٤ – كفاءة المرشد أو المعالج في تناول المشكلة أو الخلاف، وتمكنه من علوم الإرشاد والعلاج النفسي ونظرياته وفنونه.

٥ – نضج شخصية المرشد أو المعالج وأخلاقه، والتزامه بالدين قولًا وعملًا حتى يكون آلفًا ومألوفًا، وأمينًا في التعامل مع أفراد الأسرة.

* * *

تلخيص

للإرشاد والعلاج الأسري تعريفان أحدهما : **التعريف النفس تربوي** ويقصد به "**عملية تعليم وتعلم**" لأفراد الأسرة بالواجبات والحقوق، ومساعدتهم على القيام بأدوارهم الاجتماعية، وتوطيد العلاقات الأسرية، واكتساب مهارات التواصل والتفاعل والتوافق مع مطالب الحياة الأسرية. وينطلق هذا التعريف من أربعة مبادئ هي :

١- الواجبات والحقوق الأسرية متقابلة..

٢- إذا قام كل فرد في الأسرة بواجباته وحصل على حقوقه استقامت الحياة الأسرية.

٣- التأثير متبادل بين التقصير في الواجبات و**التفكك الأسري**.

٤- التأثير متبادل بين القيام بالواجبات و**التماسك الأسري**.

ويركز التعريف النفس تربوي على تنمية الأدوار الاجتماعية في الأسرة التي من أهمها :

دور الزوج / الزوجة في الإرشاد والعلاج الزواجي

دور الأب / الأم في الإرشاد والعلاج الوالدي

دور الابن/ الابنة في إرشاد وعلاج البنوة

دور الأخ/ الأخت في إرشاد وعلاج الأخوة

أما **التعريف الاكلينيكي العيادي** فيجعل الإرشاد والعلاج الأسري "**عملية فنية علاجية**" للأسرة التي انحرف أحد أفرادها أو تأزمت بسبب الخلافات أو

المشكلات أو الصدمات، ويهدف العلاج إلى إصلاح ذات البين، وتنمية التواصل بين أفراد الأسرة، وتقوية الروابط بينهم، ومساعدتهم على حل مشكلاتهم أو مواجهة أزماتهم بأساليب فعالة.

وينطلق التعريف الاكلينيكي العيادي من نتائج الدراسات على علاج المنحرفين، والتي أشارت إلى وجود علاقة وثيقة بين انحراف الأبناء واضطراب العلاقات في أسرهم، حيث تبين أن الابن المنحرف ضحية انحراف أسرته، ونقطة الضعف فيها، وعلاجه يتطلب علاج أسرته معه،مما أدى إلى التحول في علاج الانحرافات النفسية من **العلاج النفسي الفردي إلى العلاج النفسي الأسري الجمعي**.

وكان التركيز في العلاج الأسري على الأم المولدة للفصام ثم تحول إلى الأسرة المولدة للانحراف، والتي فيها الأم سيئة في أمومتها، والأب غير سوي في أبوته، والأدوار الاجتماعية مختلة، فالأم متسلطة وتقوم بكل شيء في الأسرة، والأب ضعيف مستسلم ليس له دور فعال في الأسرة.

ولا يعني استخدام الإرشاد والعلاج الأسري بمعنيين أن التعريفين مختلفان ، بل هما متكاملان ومتداخلان في تحقيق أهداف الإرشاد والعلاج الأسري النمائية والوقائية والعلاجية.

ويقدم **" الإرشاد والعلاج الأسري "** على مستويين : **المستوى الثنائي** في التعريف النفس تربوي، ويهدف إلى تنمية العلاقات الثنائية في الأسرة من خلال الإرشاد والعلاج الزواجي والوالدي والبنوة والأخوة. **والمستوى الجماعي** في التعريف الاكلينيكي العيادي، والذي يقدم للأسرة كوحدة بيولوجية مترابطة، ويهدف إلى علاج انحرافات الأفراد وحل المشكلات وإدارة الأزمات بأساليب فعالة.

ويقدم الإرشاد والعلاج الأسري من أجل **التنمية والوقاية** قبل الزواج، وعند

الزواج، وفي مراحل ارتقاء الأسرة ونمو أفرادها نفسيًا وجسميًا واجتماعيًا وروحيًا بدءا من الحمل والولادة والطفولة، ثم المراهقة والرشد والشيخوخة.

بينما يقدم الإرشاد والعلاج الأسري من **أجل العلاج** عند انحراف أحد أفراد الأسرة، أو عندما تحدث الخلافات والمشكلات، أو تقع الصدمات، ويعاني أفراد الأسرة أعراض الصدمة أو ما بعد الصدمة.

* * *

المراجع

١ - ابن القيم ، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (ب ت) **تحفة المولود**. بيرون : مؤسسة الرسالة .

٢ - أبو زهرة ، محمد (ب ت) . **الولاية على النفس** . القاهرة : دار النهضة العربية.

٣ - الجرداوي ، عبد الرؤوف (١٩٨٦) **الإسلام وعلم الاجتماع العائلي** . الكويت: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية .

٤ - الرازي ، محمد بن أبي بكر (١٩٨٧) **مختار الصحاح** . دمشق : دار اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع .

٥ - **السهل، راشد على (٢٠٠٤) المستشار الوافي في حل الخلافات الزوجية.** الكويت : دار الفكر الحديث.

٦ - اللجنة التربوية (٢٠٠٣) **موسوعة الأسرة ، الجزء الأول** . الكويت : اللجنة الاستشارية العليا للعمل على استكمال تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية .

٧ - المحارب، ناصر إبراهيم (٢٠٠٠) **العلاج الاستعرافي السلوكي**. الرياض: دار الزهراء.

٨ - بيرى ، الوحيشى أحمد (١٩٩٨) **الأسرة والزواج : مقدمة في علم الاجتماع العائلى** . طرابلس : منشورات الجامعة المفتوحة .

٩ - جلال، سعد (١٩٧٢) **علم النفس الاجتماعي** . طرابلس ليبيا : منشورات الجامعة الليبية.

١٠ -راجح، أحمد عزت (١٩٦١) **علم النفس الصناعي**. القاهرة : المكتب الحديث

١١ -سوين، ريتشارد (١٩٧٩) **علم الأمراض النفسية والعقلية** . ترجمة الدكتور أحمد عبد العزيز سلامة. القاهرة: دار النهضة العربية.

١٢ -عبد الخالق، أحمد محمد (١٩٩٨) الصدمة النفسية. الكويت: مطبوعات جامعة الكويت

١٣ -عبد الستار، أبو طلحة محمد يونس (١٤٢١هـ) **قصص المتزوجين والمتزوجات**. المدينة المنورة : لم يذكر الناشر.
١٤ -عفيفي ، عبد الخالق محمد (١٩٩٦) **رؤية الخدمة الاجتماعية في الأسرة الطفولة**. القاهرة : مكتبة عين شمس .
١٥ -على ، محمود عبد القادر (١٩٧٠) الدفء والانسجام الأسري وعلاقتهما بشخصية الطفل في لويس كامل ملكية. **قراءات في علم النفس الاجتماعي في البلاد العربية المجلد الثاني**. القاهرة : الهيئة المصرية للكتاب، ص ص١٢٦-١٣٧.
١٦ -عمر ، محمد ماهر (١٩٨٨) سيكلوجية العلاقات الإجتماعية. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.
١٧ -عودة ، محمد ومرسي ، كمال إبراهيم (٢٠٠٠) **الصحة النفسية في ضوء الإسلام وعلم النفس** . الكويت : دار القلم .
١٨ -كفافي، علاء الدين (١٩٩٩) **الارشاد والعلاج النفسي الأسري**. القاهرة : دار الفكر العربي.
١٩ -لازاروس ، س (١٩٨٥) **الشخصية**. ترجمة الدكتور السيد محمد غنيم. القاهرة . دار الشروق.
٢٠ -محمد، محمد عودة ومرسى، كمال إبراهيم (٢٠٠١) **الصحة النفسية في ضوء الاسلام وعلم النفس**. الكويت : دار القلم.
٢١ -مرسي، كمال إبراهيم (١٩٨١) علاقة سمة القلق في المراهقة والرشد بإدراك الخبرات المؤلمة في الطفولة. **مجلة كلية الآداب جامعة الملك سعود**، (٨) ٣٢٩-٣٥١.
٢٢ -مرسي ، كمال إبراهيم (١٩٨٥) **الحضانة العائلية في الكويت** : فلسفتها وإجراءاتها . الكويت : وزارة الشئون الاجتماعية والعمل.
٢٣ -مرسي ، كمال إبراهيم مرسي (١٩٩٠) موقف الإسلام وعلم النفس من التمردِ على الزواج . **مجلة دراسات تربوية** . العدد ٥ ص ص ١٢١ ـ ١٥٤ .

٢٤ -مرسى، كمال إبراهيم (١٩٨٥) الفروق بين الأحداث الجانحين وغير الجانحين في إدراك الخبرات المؤلمة في الطفولة . المجلة التربوية جامعة الكويت.

٢٥ -مرسي ، كمال إبراهيم (١٩٩٥) **المدخل إلى علم الصحة النفسية**. الكويت :دار القلم

٢٦ -مرسى ، كمال إبراهيم (١٩٩٩) التأصيل الإسلامي للإرشاد والعلاج النفسي لاضطرابات ما بعد الصدمة. **المجلة التربوية جامعة الكويت**. العدد ٥٠، ١٠٣-١٣٩.

٢٧ -مرسي، كمال إبراهيم (٢٠٠٠) **السعادة وتنمية الصحة النفسية : مسئولية الفرد في الاسلام وعلم النفس**. الكويت : دار القلم.

٢٨ -مرسي، كمال إبراهيم (٢٠٠٢) **العلاقة الزوجية والصحة النفسية** (ط٤). الكويت: دار القلم.

٢٩ - مرسى كمال إبراهيم (٢٠٠٤) **الزواج وبناء الأسرة**. الكويت : دار القلم.

٣٠ -وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية (١٩٨٤) **الموسوعة الفقهية**. الكويت : وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية .

* * *

المراجع الأجنبية

1- Andlin , H. (1981) **All about raising children**. New York: Pacific Press.
2- Asen, Eia. (1995) **Family therapy for everyone**. London: BBC Books.
3- Beavers, W.R. (1985) Successful marriage: A family systems approach to couples therapy. Now York : Norton.
4- Bienvenu M. Sr (1986) Strenthen your marriage through better communication. New York : Public Affairs Committee.
5- Broderick, C.B. (1988) Marriage and the family (3rd ed.) Englewood Cliffs' NJ:Prentic Hall.
6- Cooper, D. (1972) **The death of the family**. London: Penguin.
7- Dallos, R. & Sapsford, R. (2000) Patterns of diversity and lived realities. In J. Muncie et al. **Under-Standing of the family**. London : Sage Publ. PP.125-170.
8- Davidson, J.K. & Moore, N.B (1992) Marriage and Family. Washington: Brown Publ.
9- Dicknson , G.E. & Leming, M. R. (1990) **Understanding Family**. Boston: Allyn & Bacon.
10- Duvall, E.M. & Miller, B. C. (1985) **Marriage and family development**. New York: Harper Collins Publ.
11- Elliot , F. R. (1986) **The family: Change and Continuity**. London : Allen and university.
12- Fitzparick, M. A. & Vangelisti, A. L. (1995). **Explaining family interactions**. London: Sage Publ.
13- Fletcher, R. (1966) **The Family and marriage in Britain**. London: Penguin Books.
14- Fletcher, R. (1988). **The abolitionists. The family and**

marriage under attack. London: Rutledge.

15- Gaesser, D.L. & Whitbourne, s.k. (1985) Work identity and marital adjustment in blue – collar men. Journal of Marriage and the Family, 42, 747-751.

16- Gallo, L.C. & Troyelk, W.M (2003) Marital status and quality in middle – aged women: Associations with levels and trajectories of cardiovascular risk factors. Health Psychology. Vol.22(5) 453-463.

17- Ingoldsly, B. B. & Smith, S. (1995) **Family in multi – cultural perspective**. New York : The Guilford Press.

18- Janosik, E. & Green, E. (1992) **Family life: Processes and practice**. Boston : Jones & Bartlett Publ.

19- Kowal, A.K., Krull, J.I. & Kramer, L. (2004) How the differential treatment of siblings in linked with parent – child relationship quality. Journal Family Psychology, 18 (4) 201 – 230.

20- Laing, R. D (1971) **The politics of the family and other essays**. London: Tavistock.

21- Muncie, J. & Sapsford, R. (2000) Issues in the study of the family. In J. Muncie et al. **Under standing of the family**. London: Sage Publ. Pp.7-37.

22- Muncie, J. & Wetherell, M. (2000). Family policy and political discourse. In J. Muncie et al. **Under Standing of the family**. London: Sage Publ. Pp.40-80.

23- Muncie, J. Wetherell M. Langman, M., Dallos, R. & Cochrane, A. (2000) **Under Standing of the family** (2ed.) London: Sage Publ.

24- Pears all, P. (1990). **The power of the family**. New York: Doubleday Comp.

25- Rigby, A. (1974) **Alternative realities: Study of Communes and their members**. London : Rutledge & Kagan Paul.

26- Shorter, E. (1977). **The making of modern family**. London: Longman.

27- Vinich, B. & Ederdt, D. (1991) Retirement: What happens to the husband – wife relationship. Journal of geriatric

Psychiatry, 24 (1), 23 – 40.

28- Walsh, F. (1982) **Normal family Processes**. New York: the Guilford press.

29- Wilcox, Sara, Evenson, K. & Aragaki, A (2003) The effects of widowhood on physical and mental health, health behaviour, health outcomes: The women's health initiative. Health Psychology, Vol. 22 (5) 513-522.

30- Zill, N., Marrison, D. & Coiro, M. (1993) Long term effects of parental divorce on parent – child relationships, adjustment and achievement in young adulthood. Journal Family Psychology, 7,. 91-103.

* * *